

## الباب الأول

في ذكر التنويه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من زمن آدم عليه السلام  
عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ  
آدَمَ لَمُنْجِلٌ فِي طِينَتِهِ» .

عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟

قال: «وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟

قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ، وَاسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَخَلَقَ الْعَرْشَ، كَتَبَ  
عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ،  
فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْأُورَاقِ وَالْقَبَابِ وَالْخِيَامِ، وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ  
تَعَالَى نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ فَرَأَى اسْمِي، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيِّدٌ وَلَدَكَ. فَلَمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا  
وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ» .

1/1

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا أَصَابَ آدَمُ  
الْخَطِيئَةَ، رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتُ لِي. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: وَمَا مُحَمَّدٌ، وَمَنْ  
مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: رَبِّ، إِنَّكَ لَمَّا أَثَمَمْتَ خَلْقِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ، فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيَّكَ، إِذْ قَرِئَتْ اسْمُهُ مَعَ اسْمِكَ. قَالَ: نَعَمْ قَدْ غَفَرْتُ  
لَكَ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَلَوْلَا مَا خَلَقْتُكَ» .

وقال سعيد بن جبير: اختصم ولد آدم: أي الخلق أكرم على الله تعالى؟

فقال بعضهم: آدم، خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته.

وقال آخرون: بل الملائكة الذين لم يعصوا الله.

فذكروا ذلك لآدم، فقال آدم: لَمَّا نَفَخَ فِي الرُّوحِ لَمْ تَبْلُغْ قَدَمِي، فَاسْتَوَيْتَ جَالِساً، فَبَرَقَ لِي الْعَرْشُ،  
فَنَظَرْتُ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَذَاكَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ.

عن وهب قال: أوحى الله تعالى إلى آدم: أنا الله ذو بكة، أهلها خيرتي، وزوارها وفدي وفي كنفِي،  
وفيها بيتي أعمره بأهل السماء وأهل الأرض، يأتونه أفواجا شعثاً غبراً، يَعْبُجُونَ بِالتَّكْبِيرِ عَجِيجاً،  
ويزجون بالتلبية زجيحاً، ويشجون بالبكاء ثجيحاً، فمن اعتمده لا يريد غيره فقد زارني، وضافني،

ووفد إليّ، ونزل بي، وحقّ لي أن أتخفه بكرامتي، أجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وسنائه لنبيّ من ولدك يقال له: إبراهيم، أرفع له قواعده وأقضي على يديه عمارته، وأنبط له سقايته، وأريه حلّه وحرّمه، وأعلّمه مشاعره، ثمّ تَعْمُرْهُ الأُمم والقرون حتى ينتهي إلى نبي من ولدك يقال له: محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خاتم النبيين، أجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقائه، فمن سأل عني يومئذ فأنا مع الشُعْتِ الثُّبْرِ الموفين بنذرهم المقلين إلى ربهم.

2/1

عن ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: لولا محمد ما خلقت آدم، ولقد خلقت العرش فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

## الباب الثاني

في ذكر الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمجت بماء التسنيم، ثم غمست في أنهار الجنة، وطيف بها في السموات والأرض، فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم، ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في غرة جبهة آدم. وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين.

فلما حملت حواء بشيت انتقل عن آدم إلى حواء، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلا شيتاً، فإنها ولدته وحده، كرامة لحمد صلى الله عليه وسلم.

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم.

عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟

قال: «كُنْتُ فِي صَلْبِهِ، وَأُهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنَا فِي صَلْبِهِ، وَرَكِبْتُ السَّفِينَةَ فِي صَلْبِ أَبِي نُوحٍ، وَقُدِفْتُ فِي النَّارِ فِي صَلْبِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَلْتَقِ لِي أَبَوَانِ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ النَّقِيَّةِ مُهْدَبًا لَا تَشْعَبُ شُعَبَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا، أَخَذَ اللَّهُ لِي بِالنُّبُوَّةِ مِيثَاقِي، وَفِي التَّوْرَةِ بَشَرِي، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَهْرَ اسْمِي، تُشْرِقُ الْأَرْضُ لَوَجْهِهِ وَالسَّمَاءُ لِرُؤْيَايَ» .

وقال العباس: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك.

فقال له: «قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكً» .

فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي

مستودع حيث يُخَصَف الورقُ  
ثم هبطت البلادَ لا بشرٌ أنت  
ولا مضغةٌ ولا علقُ

3/1

بل نطفةٌ تركب السفين وقد  
أجلم نسرًا وأهله الغرق  
وردت نار الخليل مُكتسماً  
تجولُ فيها ولست تحترقُ  
تُنقل من صُلبٍ إلى رحم  
إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ  
حتى احتوى بيتك المهيمن من  
خندقٍ علياء تحتها النطقُ  
وأنت لما وردت أشرقَت الأَر

ضُ وضاءَتُ بنورك الأفق  
فنحن في ذاك الضياء وفي النو  
ر وسُبل الرشاد تحترقُ

### الباب الثالث

في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم  
لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال: {س2ش129 رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ  
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }  
البقرة: 129.

قال السدي عن أشياخه: هو محمد صلى الله عليه وسلم.  
عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ  
أَدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَبِئَتِهِ وَسَأْخِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ:  
أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمّهَاتُ النَّبِيِّينَ يُرَيْنَ». .  
ورواه ليث عن معاوية فقال: وإن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام.

قال الله تعالى: {س7ش157 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الأعراف: 157  
والمراد: أنهم يجدون نفعه.

{س7ش157 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}  
الأعراف: 157

وهو: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام.

{وينهاهم عن المنكر} وهو: الشرك.

{ويحل لهم الطيبات} وهو: ما كانت العرب تستطيحه، وقيل: هي الشحوم التي حرمت على بني إسرائيل، والبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

{ويحرم عليهم الخبائث} وهي: ما كانت العرب تستخبثه، وما كانوا يستحلون من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

{ويضع عنهم إصرهم} وهي: الأثقال التي كانت على بني إسرائيل من تحريم السبت، والشحوم، والعروق.

{والأغلال التي كانت عليهم} .

قال أبو إسحاق الزجاج: ذكر الأغلال تمثيلًا، وكان عليهم أن لا يُقبل في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يقرضوا ما أصابهم من أموال.



عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في قوله تعالى: {ع49س3ش81} الآية  
آل عمران: 81.

قال: لم يبعث الله تعالى نبياً، آدم ومن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم: لئن  
بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ العهد على قومه.

عن قتادة: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين} .

قال: هذا ميثاق أخذ الله تعالى على النبيين، أن يصدق بعضهم بعضاً، وأخذ موثيق أهل الكتاب فيما  
بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه.

عن عطاء بن يسار: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني عن صفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في التوراة.

قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن:

{س33ش45} يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً {الأحزاب: 45} ، وحرزاً للآميين، أنت  
عبدي ورسولي سميتك المتوكل، لست بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا تجزي بالسيئة  
السيئة ولكن تعفو وتغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به  
أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلْفاً.

انفرد بإخراجه البخاري.

عن عبد الله بن سلام قال: صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة:

{إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً} وحرزاً للآميين، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق،  
ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أوفاه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به آذاناً  
صماً، وقلوباً غُلْفاً، وأعينا عمياً، بأن يقولوا: لا إله إلا الله.

عن ابن عباس أنه سأل كعباً: كيف تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟.

قال: نجده: محمد رسول الله، مولده بمكة، ومهاجره إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، ليس بفحاش، ولا  
صخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو.

6/1

---

وقال كعب: نجد مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي  
بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمه الحمادون، يكبرون الله على كل نجد ويحمدونه في كل  
مترلة، يأتزون على أنصافهم، ويتوضئون على أطرافهم بهم ينادى في جو السماء، صفهم في القتال  
وصفهم في الصلاة سواء، هم بالليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة.

عن كعب قال في الشطر الأول: محمد رسول الله عبيد المختار، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة، ومُلكه بالشام. في الشطر الثاني: محمد رسول الله أمته الحمادون، يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبرونه على كل شرف، رعاة الشمس، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة، ويأترون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم، وأصواتهم بالليل في جو السماء أصوات النحل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ التَّوْرَةُ وَقَرَأَهَا وَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ» .

قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون المشفوع لهم، فاجعلها أمتي.  
قال: تلك أمة محمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم، فاجعلها أمتي.  
قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم، يقرءونه ظاهراً، فاجعلها أمتي.  
قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها. فاجعلها أمتي.  
قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، فاجعلها أمتي.  
قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر، يقتلون قرن الضلالة المسيح الدجال، فاجعلها أمتي.

7/1

---

قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب فاجعلني من أمة أحمد، فأعطيَ عند ذلك خصلتين.

قال: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.  
قال: قد رضيت رب.

وروي أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت بعض الأمر.  
فقال كعب: أنشدك الله لنن أخبرتك ما أبكاك لتصدّقني؟

قال: نعم.

قال: أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل، أن موسى عليه السلام نظر في التوراة، فقال: رب: إني أجد أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة، حتى يقاتلون الأعور الدجال، فاجعلهم أمتي.

قال: تلك أمة أحمد.

قال الخبر: نعم.

قال: أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكّمون، إذا أرادوا أمراً قالوا: نفعله إن شاء الله. فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد؟

قال الخبر: نعم.

قال: فأنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة؟

فقال: رب، إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبير الله، وإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيديّ لهم طهور، والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، مطهرون من الجناية، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرّ محجلّون من آثار الوضوء، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد يا موسى؟

قال الخبر: نعم.

قال: أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة.

فقال: رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء، يرثون الكتاب الذين اصطفتهم، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مُقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، فلا أجد أحداً منهم إلاّ مرحوماً، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد يا موسى.

قال الخبر: نعم.

8/1

---

قال: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم، يصفّون في صلاتهم كصفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل، لا يدخل النار منهم أحد، إلا من برىء من الحسنات مثل ما برىء الحرج من الشجر، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد يا موسى؟

قال الخبير: نعم.

فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمته قال ليتني من أصحاب محمد: فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: {س7ش144/ش145} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ { الآية

الأعراف: 144، 145

وقال تعالى: {س7ش159} وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ {الأعراف: 159

فرضي موسى كل الرضا.

عن كعب أنه سمع رجلاً يقول: إني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب، فدُعي الأنبياء، فجاء مع كل نبي أمته، ورأى لكل نبي نورين، ولكل من اتبعه نوراً يمشي به، فدُعي محمد صلى الله عليه وسلم فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما.

فقال كعب، وهو لا يشعر أنها رؤيا: من حدثك هذا؟.

قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو رأيتُ هذا المنام.

فقال: بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتَ هذا في منامك؟.

قال: نعم.

قال: والذي نفس كعب بيده، أو والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده، إنما لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وصفة الأنبياء وأممها في كتاب الله، لكأنما قرأه من التوراة.

9/1

---

وقال ابن أبي غلة: كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويُعلمون الولدان بصفته واسمه، ومُهاجره المدينة فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا.

وقال أبو سعيد الخدري: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم، ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظنَّ خروجُ نبي يقال له أحمد: يخرج من الحرم.

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي، كالمستهزئ به: ما صفته؟.

قال: رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، يلبس الثَّمَلَةَ ويركب الحمار، وهذا البلد مُهاجره.

قال: فرجعت إلى قومي بني خدره وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟ كل يهود يثرب تقول هذا.

قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأخذوا جميعاً فتذكروا النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد، وهذه مهاجره.

قال أبو سعيد: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبي هذا الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ وَذُرُوهُ مِنْ رُؤَسَاءِ يَهُودٍ لَأَسْلَمَتِ يَهُودُ كُلُّهَا، إِنَّمَا هُمْ لَهُ تَبَعٌ».

وقال محمد بن مسلمة: لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له: يوشع، فسمعته يقول وأنا غلام: قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم أشار بيده إلى بيت الله تعالى، فمن أدركه فليصدق.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا، وهو بين أظهرنا ولم يُسلم، حسداً وبغياً.

10/1

---

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر الراهب، كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن هذه دار هجرته، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم. وأن مهاجره يثرب، فرجع أبو عامر وهو يقول: أنا دين على دين الحنيفة. وأقام مترهباً ولبس المسوح، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام وأنه ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج إليه، وأقام على ما كان عليه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسد وبغى وناق، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، بم بعثت؟.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ».

قال: فأنا عليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّكَ كُنتَ عَلَيْهَا.

فقال: أنت تخلطها بغيرها.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَتَيْتُ بِهَا بَيْضَاءَ نَفْيَةٍ، أَيْنَ مَا كَانَ يُخْبِرُكَ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ

والتَّصَارَى مِنْ صِفَتِي؟» .

فقال: لست بالذي وصفوا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَذَبْتَ» .

فقال: ما كذبتُ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكَاذِبُ أَمَاتَهُ اللَّهُ وَحِيدًا طَرِيدًا» .

فقال: آمين.

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم، وترك ما كان عليه.

وفي رواية أخرى: فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً وحيداً غريباً.

وقال ابن عباس: إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل مبثته، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

11/1

فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، قد كنتم تستفتحون علينا

بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنا أهل شرك، وتجبرونا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته.

فقال سلام بن مشكم: ما هو بالذي كنا نذكر لكم، ما جاءنا بشيء نعرفه.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قوهم: {س2ش89} وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ  
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

{ البقرة: 89

يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب. يعني بذلك أهل الكتاب،

فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

عن قتادة {وكانوا يستفتحون على الذين كفروا} .

قال: كانت يهود تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب، كانوا يقولون: اللهم ابعث

النبي الذي نجاه في التوراة، نعذبهم ونقتلهم.

فلما بُعث من غيرهم كفروا به حسداً للعرب.

وقال المغيرة بن شعبة: إنه دخل على المقوقس، وإنه قال له: إن محمداً نبي مُرسل، ولو أصاب القبط

والروم اتبعوه.

قال المغيرة: فأقامت بالإسكندرية لا أعد كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفها من قبطها ورومها عما

يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة أبي يحنس، كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم، لم أر أحداً قط يصلي الصلوات الخمس أشدَّ اجتهاداً منه. فقلت: أخبرني هل بقي أحدٌ من الأنبياء؟.

12/1

قال: نعم، وهو آخر الأنبياء، ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحدٌ، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه، وهو النبي الأميُّ العربي، اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة وليس بالأبيض ولا بالآدم، سيفه على عاتقه ولا يُبالي من لاقى، يباشر القتال بنفسه. ومعه أصحابه يقدونه بأنفسهم، هم له أشدَّ حباً من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرض القرظ ومن حرم يأتي إلى حرم، ويهاجر إلى أرض ذات سباخ ونخل، يدين بدين إبراهيم عليه السلام،

قال المغيرة بن شعبه: زدني في صفته.

قال: يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، ويُخص بما لا يُخصُّ به الأنبياء قبله. كان النبي يبعث إلى قومه ويُبعث إلى الناس كافة، وجُعِلَ له الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدرَكته الصلاة تيمم ويصلي، ومن كان قبله مشدداً عليه لا يُصلون إلا في الكنائس والبيع.

ثم إن المغيرة جاء فأسلم وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع ذلك، فأعجبه أن يسمعه أصحابه. قال: فكنت أحدثهم ذلك في اليومين والثلاثة.

وروي: أن ورقة بن نوفل، وزيد بن سعيد خرجا يلتمسان الدين، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد: من أين أقبلت؟.

فقال: من بيت إبراهيم.

قال: وما تلتمس؟

قال: ألتمس الدين.

قال: ارجع، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك.

فرجع وهو يقول:

لَيْتَ حَقًّا حَقًّا، تَعْبُدًا وَرَقًّا.

عن خليفة بن عبدة المنقري قال: سألت محمد بن عدي كيف سمّاك أبوك محمداً.

قال: أمّا إني سألتُ أبي عما سألتني عنه، فقال: خرجتُ رابع أربعة من بني تميم، أنا أحدهم، وسفيان بن مُجاشع بن دارم، ويزيد بن عمرو بن ربيعة، وأسامة بن مالك بن جندب، نريد ابن جفنة الغساني. فلما قدمنا الشام: نزلنا على غدير فيه شجيرات، وقُربُه دبرٌ وفيه دبراني، فأشرف علينا وقال: إن هذه

اللغة ما هي لأهل هذا البلد.

قلنا: نعم نحن قومٌ من مُضر.

قال: من أيّ المضرين.

قلنا: من خندف.

13/1

قال: أما إنه سيبعث فيكم وشيكاً نبيّ فسارعوا إليه، وخذوا بحظكم منه ترشدوا، فإنه خاتم النبيين واسمه محمد.

فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا إلى أهلنا، ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً.

عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشهل.

قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل.

قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً، عليّ بُردة مضطجع فيها بفناء أهلي.

فذكر البعث، والقيامة، والحساب، والميزان، والجنة، والنار.

فقال ذلك لقومٍ أهل شرك أصحاب أوثان، لا يروُن أن بعثاً كائن بعد الموت.

فقالوا: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم.

قال: نعم، والذي يحلف به، لو دُ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنورٍ يُحمونه في الدار ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟

قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد. وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى نراه؟

قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً، قال: إن يستنفذ هذا الغلام عُمره يُدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حيٌّ بين أظهرنا، فآمنّا به وكفر به حسداً وبغياً.

فقلنا له: ويلك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟

قال: بلى، وليس به.

عن ابن مسعود: أن الله تعالى ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة، وذلك أنه دخل الكنيسة فإذا هو بيهود.

وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا، وفي ناحيتها



رجل مريض.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا لَكُمْ أَمْسَكْتُمْ؟» .

14/1

قال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا. حتى جاء المريض يجبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: هذه صفتك، وصفة أمتك أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. ثم مات.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «اذفنوا أخاكم» .  
عن أبي بن كعب قال: لما قدم تبع المدينة ونزل بقناة، بعث إلى أحبار يهود فقال: إني مُخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب.  
فقال له ساموك اليهودي، وهو أعلمهم يومئذ:  
أيها الملك، إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من ولد إسماعيل، مولده مكة، اسمه أحمد، وهذه دار هجرته، وإن متلك هذا الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كثير في أصحابه وفي عدوهم.  
قال تبع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما يزعمون؟  
قال: يسير إليه قومه فيقتلون ها هنا.  
قال: فأين قبره؟  
قال: بهذا البلد.  
قال: فإذا قوتل لمن تكون الدائرة.

قال: تكون له مرة وعليه مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه، ويُقتل به أصحابه قتلاً لم يقتلوه في موطن، ثم تكون له العاقبة، ثم يظهر فلا يناعه هذا الأمر أحد.  
قال: وما صفته؟  
قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يركب البعير ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه، لا يبالي بمن لا قاه من أخ، أو ابن عم، أو عم حتى يظهر أمره.

قال تبع: ما لي إلى هذه البلد من سيل، وما كان ليكون خرابها على يدي.  
فخرج تبع منصرفاً إلى اليمن.  
قال عبدالله بن سلام: لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود يشرب يخبرونه، وإن تبعاً مات مُسلماً.  
عن الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود قال: إني وجدت سِفراً كان أبي يختمه عليّ، فيه: ذكر أحمد: نبي

يخرج بأرض القرظ، صفته كذا وكذا.  
فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يبعث.

15/1

---

فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السفر فمحاها، وكنتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، وقال: ليس به.  
عن ابن عباس قال: كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة.  
فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع.  
فلما تنبأ قالوا: تنبأ أحمد، قد طلع الكوكب.  
كانوا يعرفون ذلك ويقرؤون به ويصفونه، إلا الحسد والبغي.  
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سكن يهودي بمكة يبيع بمى تجارات، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟  
قالوا: لا نعلمه.  
قال: انظروا يا معاشر قريش، أحصوا ما أقول لكم: ولد الليلة نبي هذه الأمة أحمد، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات.

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروا ذلك لأهاليهم، فقبل بعضهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً.  
وأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: علمنا أنه ولد فينا مولود.  
قال: أبعد خبري أم قبله؟  
قالوا: قبله واسمه أحمد.  
قال: فاذهبوا بنا إليه.  
فخرجوا معه حتى دخلوا على آمنة رضي الله عنها، فأخرجته إليهم فرأى الشامة بظهره، فغشي على اليهودي ثم أفاق. قالوا: ما لك وملك.

قال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب من أيديهم، وهذا مكتوب أنه يقتلهم ويبيد أحبارهم، فازت العرب بالنبوة، أفرحتم به يا معشر قريش؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق والمغرب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس فقال: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْلَمَكُمْ» .

16/1

فقالوا: عبدالله بن صوريا. فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه، وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسّلوى، وظللهم من الغمام، أتعلم أي رسول الله؟.

قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكن حسدوك. قال: «فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْتَ؟» .

قال: أكره خلاف قومي، عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة، فأعجب من موافقة التوراة القرآن.

فقالوا: يا عمر ما أحدٌ أحب إلينا منك، لأنك تغشانا. قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً. فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذا صاحبك. فقلت: أنشدكم الله، وما أنزل عليكم من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله؟. قال سيدهم: نشدكم الله فأخبروه. قالوا: أنت سيدنا فأخبره. فقال: إنا نعلم أنه رسول الله. قلت: فما أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه.

قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة، عدونا جبريل، وهو ملك الفضاظة والغلظة، وسلمنا ميكائيل، وهو ملك الرأفة واللين. قلت: فإني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل. ثم قمت، فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَلَا أَقْرَأُكَ آيَاتِ نَزَلَتْ عَلَيَّ قَبْلُ؟ فتلا: {س2ش97 قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} البقرة: 97.

فقلت: والذي بعثك بالحق، ما جئت إلا لأخبرك بقول يهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني. قال عمر: فلقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجر.

عن أبي سفيان بن حرب قال: خرجت أنا وأمية بن أبي الصَّلْت تجاراً إلى الشام، فكنا كلما نزلنا منزلاً أخرج من رحله سِفْراً يقرؤه علينا.

فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى، فرأوه وعرفوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم، ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما، ثم قال: يا أبا سفيان، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدا لك؟ قلت: لا.

فمضى هو وحده، وجاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انحدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح.

وأصبح كئيباً حزيناً ما يكلمنا ولا نكلمه، فسرنا ليلتين على ما به من الهم، فقلت له: ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك.

قال: لَمُنْقَلَبِي.

قلت: وهل لك من مُنْقَلَب؟

قال: إي والله لأموتن ولأحاسبن.

قلت: فهل أنت قابلٌ أمانِي؟

قال: على ماذا؟

قلت: على أنك لا تُبعث ولا تحاسب.

فضحك وقال: بلى والله لنبعثن ولنحاسبن، وليدخلن فريق في الجنة وفريق في النار.

قلت: ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك؟

قال: لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه.

فكنا في ذلك ليلتنا، يعجب منا ونضحك منه، حتى قدمنا غوطة دمشق، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين.

ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى، فلما رأوه جاؤوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم، حتى جاءنا مع نصف النهار، فلبس ثوبيه الأسودين فذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه، فوالله ما نام ولا قام، فأصبح مبثوثاً حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه.

فرحلنا فسرنا ليالي، ثم قال: يا صخر، حدثني عن عُتْبَةَ بن ربيعة: أيجتنب المحارم والمظالم؟

قلت: إي والله.

قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟

قلت: نعم.

قال: وكريم الطرفين وسط في العشيرة؟

قلت: نعم.

قال: فهل تعلم قُرْشِيًّا أشرف منه.

قلت: لا والله.

قال: أَمْحُوجٌ هو؟

قلت: لا، بل ذو مالٍ كثيرٍ.

قال: كم أتى له من السنين؟

18/1

قلت: هو ابن سبعين قد قاربها.

قال: فالسن والشرف أزرّيا به.

قلت: لا والله بل زاداه خيراً.

قال: هو ذاك.

ثم إن الذي رأيته بي أي جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذي يُنْتَظَرُ.

فقال: هو رجل من العرب من أهل بيت تحجّه العرب.

فقلت: فينا بيت تحجّه العرب.

قال: هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش. فأصابني شيء ما أصابني مثله، إذ خرج من يدي فوز

الدنيا والآخرة، وكنت أرجو أن أكون أنا هو.

قلت: فصِفْه لي.

قال: رجل شابٌّ حين دخل في الكهولة، بدء أمره أنه يجتنب الحارم والمظالم، ويصل الرحم ويأمر

بصلتها، وهو مُحْجُوجٌ كريم الطرفين متوسط في العشيرة، أكثر جنده من الملائكة.

قلت: وما آية ذلك؟

قال: قد رجفت الشام منذ رفع عيسى بن مريم ثمانين رجفة كلها فيها مصيبة، وبقيت رجفة عامة فيها

مصيبة، يخرج على أثرها.

فقلت: هذا هو الباطل، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شريفاً.

قال أمية: والذي يحلف به إنه هكذا.

فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا، فإذا هو يقول: أصابت الشام

بعدكم رجفة دمر أهلها فيها وأصابتهم مصائب عظيمة.

فقال أمية: كيف ترى يا أبا سفيان؟

فقلت: والله ما أظن صاحبك إلا صادقاً.

وقدما مكة، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحيشة تاجراً، فمكثت فيها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة فجاء الناس يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهندّ تلاعب صبياتها، فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي، ثم انطلق.

فقلت: والله إن هذا الفتى لعجب ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألني عنها وما بلغت، ووالله إن له معي لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألني عنها.

فقلت: أو ما علمت بشأنه؟

فقلت وفزعت: وما شأنه؟

قلت: يزعم أنه رسول الله

فذكرت قول النصارى ووجهت.

ثم قدمت الطائف فترلت على أمية، فقلت: هل تذكر حديث النصارى؟

قال: نعم.

قلت: قد كان.

قال: ومن؟

19/1

قلت: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فتصب عرقاً وقال: إن ظهر وأنا حيٌّ لأبليّن الله في نصره عذراً.

فعدت من اليمن، فترلت على أمية، فقلت: قد كان من أمر الرجل ما بلغك، فأين أنت منه؟

قال: والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه كما كنا نسمع من يهود.

كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم إليه، فأمنّا به وكفروا، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿سُورَةُ ٢٨﴾ 89 وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

وَكَاثُورًا مِّن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ  
{البقرة: 89}

قال عاصم: وقال لي شيخ من بني قريظة: هل تدرون عما كان إسلام ثعلبة وأسد ابني سعية وأسد بن عبيد نفر من بني ذهل إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادقهم في الإسلام؟ قلت: لا أدري.

قال: فإن رجلاً من يهود أهل الشام يقال له ابن الهبيان قدم علينا قبل الإسلام فحل بين أظهرنا، فما رأينا رجلاً لا يصلي الخمس أفضل منه، وكان إذا قحط المطر استسقى لنا فنسقى، فلما حضرته الوفاة قال: يا معشر يهود ما ترون أخرجني إلى أرض الجوع والبؤس؟ قلنا: أنت أعلم.

20/1

قال: فإني قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أطل زمانه، هذه البلدة مهاجرة، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلم زمانه فلا تُسبِقن إليه يا معشر اليهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء مما خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباناً أحداثاً: يا بني قريظة، والله إنه النبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهبيان قالوا: ليس به. قالوا: بلى والله إنه هو. فترلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم.

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه صحب الرهبان في طلب الدين، إلى أن قال له آخر من صحبه: أي بني: والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس بمكان تأنيه، ولكنه قد أظلم زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة.

وقال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟

قال طلحة: فقلت نعم أنا.

قال لي: ظهر بمكة بعد أحمد؟

قلت: ومن أحمد؟

قال: ابن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجرة إلى نخل وحرّة وسباخ.

قال طلحة: فوق في قلبي ما قال الراهب، فخرجت حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حديث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وتابعه ابن أبي قحافة. فخرجت حتى أتيت أبا بكر فأخبرته وقلت له اتبع هذا الرجل؟ قال: نعم انطلق فتابعه فإنه يدعو إلى الحق. وذهب أبو بكر معه. قال طلحة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب وما قال لي.

عن جُبَيْر بن مُطْعَم: لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام، فلما كنت ببُصْرَى أتاني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن أهل الحرم أنت؟

21/1

قلت: نعم. قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم. فأخذوا بيدي وأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور. فقالوا: انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم، فنظرت فلم أر صورته. قلت: لا أرى صورته. فأدخلوني ديراً أكبر من ذاك، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته آخذٌ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لي: هل ترى صفته؟

قلت: نعم. قلت: لا أخبرهم حتى أعرف ما يقولون. قالوا: هل هو هذا؟ قلت: نعم. فأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو. قالوا: تعرف هذا الذي آخذٌ بعقبه؟ قلت: نعم.

قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده. عن جبير بن مطعم قال: كنت أكره أذى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ظننت أنهم سيقتلونه خرجت حتى لحقت بدير من الديارات، فذهب أهل الدير إلى رئيسهم فأخبروه، فقال: أقيموا له حقه الذي ينبغي له ثلاثاً. فلما مرت ثلاث أحضره الصورة.



قال: قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة.

قال: فتخاف أن يقتلوه؟

قلت: أظنهم قد فرغوا منه.

قال: والله لا يقتلونه وليقتلن من يريد قتله، وإنه لنبى، وليظهرنه الله تعالى.

عن صفية بنت حيي قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء غداً عليه أبي حبي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين.

قالت: فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس، فأتيا كألين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء، فهششت إليهما فما التفت إلي أحد منهما مع ما بهما من الهم، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله.

قال: أثبتته وتعرفه؟

قال: نعم.

قال: فما في نفسك منه.

قال: عداوته والله ما بقيت أبداً.

22/1

---

ومن حديث مُخَيَّرِيقٍ وكان حَبْرًا عالمًا كثير المال من النخل، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد، وكان يوم السبت. فقال: يا معشر اليهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق.

قالوا: فإن اليوم يوم السبت.

قال: لا سبت.

ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأحد، وكان يوم السبت، وعهد إلى من ورائه من قومه: إن قُتِلْتُ هذا اليوم فمالي ثمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى. فقاتل حتى قُتِلَ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يقول: «مُخَيَّرِيقُ خَيْرُ يَهُودٍ». وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم منها. عن ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا فيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وأبو جهل، وأمّية وأبي ابنا خلف، والأسود بن المطلب، وسائر قريش، فبعثوا منهم خمسة رهط، منهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث إلى المدينة، يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ومبعثه، وقالوا: يزعم أنه نبي واسمه محمد وهو يتيم فقير، وإنا نزعم أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب.

فقالوا: نجد نعته وصفته في التوراة وخاتم النبوة بين كتفيه.  
قالوا: إن كان كما وصفتم فهو نبي مرسل وأمره حق فاتبعوه، ولكن سلوه عن ثلاث خصال، فإنه يخبركم بخصالتين ولا يخبركم بالثالثة إن كان نبياً، فإننا قد سألنا مسيلمة عن هؤلاء الثلاث خصال فلم يدر ما هي، وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة.  
فرجعت الرسل إلى قريش بالخبر من اليهود، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن خصال ثلاث: أخبرنا عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف.  
فقال: «أخبركم بذلك غداً». ولم يقل إن شاء الله.  
فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لترك الاستثناء، فشق ذلك عليه، فجاء جبريل فقال: «أبطأت عليّ».

23/1

---

فقال: لتركك الاستثناء، {س18ش23/ش24} وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَالِكَ غَدًا \* إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا { الكهف: 23  
24 \_\_\_\_\_

ثم أخبره بخبر ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وقال: الروح من أمر ري لا علم لي به.  
فقالوا: ساحران تظاهرا. يعنون التوراة والفرقان.  
عن عمرو بن عبسة: رَغِبْتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل، يعبدون الحجارة وهي لا تضر ولا تنفع، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب، فسألته عن أفضل الدين فقال: يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه.  
فلم يكن لي همٌ إلا مكة آتيها فأسأل هل حدث فيها أمر؟

فيقولون: لا.  
فأنصرف إلى أهلي، وأعترض الركبان فأسألهم فيقولون: لا. فإني لقاعد إذ مر بي راكب فقلت: من أين جئت؟  
قال: من مكة.  
قلت: هل حدث فيها حدث؟  
قال: نعم، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها.  
قلت: هذا صاحبي الذي أريد.  
فشددت راحلتي وجئت فأسلمت.

عن ابن عباس قال: إن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم السيد والعاقب، فأنزل الله تعالى فيهم: {س3ش61فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} الآية

آل عمران: 61

قالوا: فأخرنا ثلاثة أيام. فذهبوا إلى بني قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم، فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه، فهو النبي الذي نجده في التوراة والإنجيل. فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ودراهم.

24/1

عن عكرمة: أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، فذلك قوله تعالى: {س3ش106يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} آل عمران: 106

عن سهل مولى عثيمة قال: إنه كان نصرانياً وكان يتيماً في حجر أبيه وعمه، وكان يقرأ الإنجيل. قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته، حتى مرت بي ورقة فأنكرت كتابتها فإذا هي ملصقة، ففتفتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم: أنه لا قصير ولا طويل، أبيض، بين كتفيه خاتم النبوة، يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعر، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، وهو من ذرية إسماعيل، اسمه أحمد.

قال: فجاء عمي فرأى الورقة فضرمني، وقال: ما لك وفتح هذه الورقة؟

فقلت: فيها نعت النبي أحمد.

قال: إنه لم يأت بعد.

عن عمر بن حفص، وكان من خيار الناس، قال: كان عند أبي أو عند جدي ورقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان، فيها: بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان، يأترون على أوساطهم ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحار على أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، أو في ثمود ما أهلكوا بالصيحة.

فأخبرني أنهم جاؤوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوها عليه وأخبروه خبرها، فأمرهم أن يضعوها في أضعاف المصحف.

عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فيما أوحى إليه: أن صدق بمحمد، ومُرَ أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

25/1

وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى شعيا: إني مبتعث نبياً أمياً أفتح به أذاناً صماً وقلوباً غلفاً، أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرق، وأؤلف به بين قلوب وأهواء متشتتة وأمم مختلفة، وأجعل أمة خير أمة، وهم رعاة الشمس طوبى لتلك القلوب.

وقال أشعيا لإلياء، وهي قرية بيت المقدس، واسمها «أورشليم»: أبشري أورشليم، يأتيك الآن راكب الحمار، يعني عيسى، ويأتيك بعده راكب البعير، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. وروي أن رجلاً من أهل الشام من النصارى قدم مكة، فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم، وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهن فقال: يا نساء قريش إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد فأيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً فلتفعل. ومضى الرجل فحفظت خديجة حديثه.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة  
ومن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم الموجودة في كتب الله القديمة. قول الله تعالى في السفر الأول من «التوراة» لإبراهيم عليه السلام:  
«قد أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وكثرتة وعظمتة جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأجعله لأمة عظيمة».

ثم أخبر موسى بمثل ذلك في السفر وزاد شيئاً.  
يقال فلما خرجت هاجر من سارة تراءى لها ملك الله وقال: يا هاجر أمة سارة، ارجعي إلى سيدتك واخضعي لها، فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة، وها أنت تحلين وتلدن ابناً وتسمينه إسماعيل، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك، وتكون يده فوق يد الجميع، ويد الجميع مسوطة إليه بالخضوع.

26/1

قال ابن قتيبة: فتدبر هذا القول، فإن فيه دليلاً بيّناً على أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق، ولا كانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك والملك والنبوة في ولد إسرائيل واليعيص، وهما أبناء إسحاق، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل فدانت له الملوك وخضعت له الأمم، ونسخ الله به كل شريعة، وختم به النبيين، وجعل لهم الخلافة والملك في آخر الزمان، فصارت أيديهم فوق أيدي الجميع، وأيادي الجميع بالرغبة إليهم مبسوطة بالخضوع.

ومن أعلامه في «التوراة» قال: «جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران». وليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض؛ لأن مجيء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء، هكذا هو عند أهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل، وكان المسيح يسكن ساعير بأرض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها سمي من اتبعه نصارى، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران بإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال فاران، وهي جبال مكة، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة. فإن ادعوا أنها غير مكة وليس بنكير من تحريفهم وإفكهم قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟ وقلنا: دُلُّونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح. أو ليس استعلن وعَلَنَ بمعنى واحد وهما ظهر وانكشف؟ فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوة. ومن أعلامه في «التوراة»: قال الله تعالى لموسى في «السفر الخامس»: إني أقيم لبي إسرائيل نبياً من إخوتكم مثلك، أجعل كلامي على فمه.

27/1

---

فمن من إخوة بني إسرائيل إلا هو ابن إسماعيل، كما تقول: بكرٌ وتغلب أبناء وائل، ثم تقول تغلب أخو بكر، وبنو تغلب إخوة بني بكر. يُرجع في ذلك إلى أخوة الأبوين. فإن قالوا: هذا النبي الذي وعد الله أن يقيمه لهم هو أيضاً من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل، أكذبتهم التوراة وأكذبهم النظر؛ لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل مثل موسى. وأما النظر: فإنه لو أراد أن يقيم لهم نبياً من بني إسرائيل مثل موسى، لقال: أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى. ولم يقل من إخوتهم. كما لو أن رجلاً قال لرسوله: اتني، برجل من بني تغلب بن وائل. فلا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر.

قال ابن قتيبة: ومن قول حبقون المتنبئ في زمان دانيال قال حبقون: جاء الله من اليمين والقديس من جبال فاران، فامتألت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بيمينه ورقاب الأمم. قال: وقال أيضاً: تضيء لنوره الأرض وتحمّل خيله في البحر. وزاد في بعض أهل الكتاب: أنه قيل في كلام حبقون: وستُرع في قسيك إتراعاً وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً. وهذا إفصاح باسمه وصفاته.

فإن ادّعوا أنه غير نبينا — وليس ذلك بُكر من جحدهم وتحريفهم: فمن أحمد الذي امتألت الأرض من تحميده، والذي جاء من جبال فاران فملك الأرض ورقاب الأمم. قال ابن قتيبة: ومن ذكر شُعيا له عن الله عز وجل: عبدي الذي سُرّت به نفسي. وترجمه آخر فقال: عبدي، خيرتي، رضى نفسي، أفيض عليه روعي.

وترجمه آخر فقال: أنزل عليه وحبي، فيظهر في الأمم عدله، ويوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويُسمع الآذان الصُم، ويحيي القلوب الغُلف، وما أعطيته لا أعطي أحداً غيره، أحمدُ يحمد الله حمداً حديثاً، يأتي من أقصى الأرض، يُفرح البرية وسكانها، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية.

28/1

وزاد آخر في الترجمة: لا يَضْعَف ولا يُغْلَب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يُسمع في الأسواق صوته، ولا يُدل الصالحين الذين هم كالقصبية الضعيفة، بل يقوِّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يُطفأ ولا يخضم حتى يثبت في الأرض حُجَّتِي وينقطع به العُدْر، وإلى توراتهِ تنقاد الجن. وهذا إفصاح باسمه وصفاته.

فإن قالوا: أي توراة له؟

قلنا: أراد أنه يأتي بكتاب يقوم مقام التوراة لكم.

ومنه قول كعب: شكّا بيت المقدس إلى الله تعالى الخراب، فقليل له: لأبدلنك توراة مُحدثة، وعملاً مُحدثين، يزفون بالليل زفيف النصور، ويتحننون عليك كما تتحنن الحمامة على بيضها، ويملاؤنك خدوداً سُجداً.

قال ابن قتيبة: ومن ذكر شعيا له قال: «أنا الله، عظمُك بالحق، وجعلتك نور الأمم وعهد الصيْفون، لنفتح أعين العميان، ونُنقذ الأسرى من الظلمات إلى النور».

قال: وقال في الفصل الخامس: «إيليا من سلطانه على كتفه».

يريد: علامة نبوته على كتفه هذا في التفسير السرياني. فأما في العبراني فإنه يقول: على كتفه علامة

قال ابن قتيبة: ومن ذكر داود له في الزبور: «سبحوا الربّ تسبيحاً حديثاً، سبحوا الذي هيكله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه ويوت صهيون، من أجل أن الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر وشدّد الصالحين منه بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقموا لله من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال».

قال ابن قتيبة: فمن هذه الأمة التي سيوفها ذات شفرتين من غير العرب؟  
ومن المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدونه؟

ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم؟

قال ابن قتيبة: وفي مزمور آخر: «تقلّد أيها الجبار السيف، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مستونة، والأمم يخشون تحتك».

## 29/1

فمن متقلّد السيف من الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم؟

ومن خرت الأمم تحته غيره صلى الله عليه وسلم؟

ومن قرنت شرائعه بالهيبة، فإما القبول أو الجزية أو السيف؟

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: «وئصرت بالرعب».

قال: وفي مزمور آخر: «أن الله أظهره من صيفون إكليلاً محموداً».

ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة ومحمود: هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: وفي مزمور آخر: «أنه يحوز من البحر إلى النهر ومن لدن الأنهار إلى الأنهار إلى منقطع الأرض،

وأن تحر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلحس أعداؤه التراب، تأتيه الملوك بالقرايين وتسجد له،

وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس من هو أقوى منه، وينقذ الضعيف

الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى من ذهب بلاد سبأ، ويصلى عليه في كل

وقت، ويبارك في كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد».

قال ابن قتيبة: فمن هذا الذي ملك ما بين البحر والنهر وما بين دجلة والفرات إلى منقطع الأرض،

ومن ذا الذي يصلى عليه ويبارك في كل وقت من الأنبياء غيره؟

قال: وفي موضع آخر من «الزبور» قال داود: «اللهم ابعث حامل السنة، حتى يعلم الناس أنه بشر».

وهذا إخبار عن المسيح وعن محمد صلى الله عليه وسلم قبلهما بأحقاب. يريد: ابعث محمداً حتى يعلم

الناس أن المسيح بشرٌ.

يُعلم داود أنهم سيدعون للمسيح ما ادَّعوا.

قال: وفي شعيا: «قيل لي: قم نظارا فانظر ما ترى فخبر به قلت: أرى راكبين مُقبِلين، أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما للآخر: سقطت بابل وأصنامها المنجّرة».

قال: فصاحبُ الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح، فإذا كان صاحب الحمار المسيح فلم لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الجمل؟

30/1

أو ليس سقوط بابل والأصنام المنجّرة به وعلى يديه، لا بالمسيح؟ ولم يزل في إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام. أو ليس هو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار؟ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في «الإنجيل»

قال ابن قتيبة: فأما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في «الإنجيل»:

قال المسيح للحواريين: «أنا أذهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لأنكم مع من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به».

قال: وفي حكاية يوحنا عن المسيح أنه قال: «الفار قليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء ويخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالغيوب والحوادث».

قال: حكاية أخرى: «إن الفار قليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي، هو يعلمكم كل شيء».

وقال: «إني سائل أبي أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر، يكون معكم إلى الأبد، يعلمكم كل شيء». وفي حكاية أخرى: «إن البشير ذاهب، والفار قليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجينكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل».

قال ابن قتيبة: وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة.

وإنما اختلفت لأن من نقل الإنجيل عن المسيح عدّة.

فمن هذا الذي هو روح الحق لا يتكلم إلا بما يوحى إليه؟

ومن العاقب للمسيح والشاهد له بأنه قد بلغ؟

ومن الذي أخبر بالحوادث في الأزمنة، مثل خروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه هذا، وبالغيب من أمر القيامة والحساب والجنة والنار وأشباه ذلك، مما لم يُذكر في التوراة



والإنجيل، غير نبينا صلى الله عليه وسلم؟  
قال ابن قتيبة: وفي «إنجيل متى»: أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليقُتل بعث تلاميذه إلى المسيح وقال:  
قولوا له أنت هو الآتي أو نتوقع غيرك؟

31/1

فأجابه المسيح وقال: «الحق اليقين أقول لكم، إنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا، وإن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى، فأما الآن فإن شتتم فاقتلوا، فإن الياهو مُزْمَع أن يأتي، فمن كانت له أذن سامعة فليسمع».

قال ابن قتيبة: وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال:  
إما أن يكون قال: «إن أحمد مُزْمَع أن يأتي» فغيروا الاسم، كما قال الله تعالى: {س51 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }  
المائدة: 51

جعلوه إيليا.

وإما أن يكون قال: «إن إيل مزمع أن يأتي» وإيل هو الله عز وجل، ومحيى الله هو محيي رسوله بكتابه، كما قال في التوراة: «جاء الله من سيناء» أراد جاء موسى من سيناء بكتاب الله، ولم يأت كتاب بعد المسيح إلا القرآن.

وإما يكون أراد النبي المسمى بهذا الاسم، وهذا لا يجوز عندهم لأنهم مجمعون على أنه لا نبي بعد المسيح.

ذكر مكة والحرم والبيت في الكتب المتقدمة

قال ابن قتيبة: ذكر مكة والحرم والبيت في الكتب المتقدمة:

وفي كتاب «شعيا»: «إنه ستملأ البادية والمدن قصوراً آل قيدار، يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويثنون تسيحه في البر والبحر».

وقال: «أرفع علماً لجميع الأمم من بعيد فيصفر بهم من أقاصي الأرض فإذا هم سراع يأتون».

قال ابن قتيبة: وبنو قيدار هم العرب، لأن قيدار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس.

والعلم الذي يُرفع هو النبوة.

والصفير بهم: دعاؤهم من أقاصي الأرض للحج فإذا هم سراع يأتون. وهو نحو قول الله تعالى:

وفي موضع آخر من كتاب «شعيا»: «سَيَعُثُ مِنَ الصَّبَا قَوْمًا يَأْتُونَ مِنَ الْمَشْرِقِ مَجْبِينَ أَفْوَاجًا كَالصَّعِيدِ كَثْرَةً، وَمِثْلَ الطَّيَّانِ الَّذِي يَدُوسُ بِرِجْلَيْهِ الطِّينَ» والصبا يأتي من مطلع الشمس، يبعث الله من هناك قوماً من أهل خراسان وما ضاهاها. فمن الذي هو نازل بمهبط الصبا فيأتون مجبين بالتلبية أفواجا كالتراب كثرة ومن مثل الطيان الذي يدوس برجليه الطين؟ يريد أن منهم رجلاً كالأين، وقد يجوز أن يكون أراد الهرولة إذا طافوا بالبيت. قال ابن قتيبة: وقال في ذكر الحجر المستلم: قال شعيا: «قال الرب السيد: هأنا ذا مؤسس بصهيون وهو بيت الله حجراً في زاوية مكرمة».

والحجر في زاوية البيت، والكرامة أن يستلم ويلثم.

وقال شعيا في ذكر مكة:

«سيري واهتزي أيتها العاقر لم تلدي، وانطقي بالتسيح وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي».

يعني بأهله أهل بيت المقدس من بني إسرائيل.

أراد أن أهل مكة يكونون بمن يأتيهم من الحجاج والعمار أكثر من أهل بيت المقدس. فشبه مكة بامرأة عاقر لم تلد، لأنه لم يكن فيها قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إسماعيل وحده، ولم يزل بها كتاب.

ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحي، ولا يشبه بالعاقر من النساء.

وفي «شعيا» أيضاً من ذكر مكة:

«قد أقسمتُ بنفسِي كقسمي أيام نوح ألا أغرق الأرض بالطوفان، كذلك أقسمتُ أن لا أسخط عليك ولا أرفضك، فإن الجبال تزول والقلاع تحط، ونعمتي عليك لا تزول».

ثم قال: «يا مسكينة يا مضطهدة هأنا ذا بانٍ بالحسن حجارتك، ومزيناك بالجواهر، ومكلاً باللؤلؤ سقفاً، وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي، وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك، وكل لسان وكل لغة تقوم معك بالخصومة تفلحن معها».

ثم قال: «وسيسمّي الله اسماً جديداً». يريد أنه سمي المسجد الحرام وكان قبل ذلك يسمى الكعبة.  
»

33/1

---

فقومي فأشرفني، فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك». «انظري بعينك حولك، فإنهم مجتمعون، يأتيك بنوك وبناتك غدواً فحينئذ تسرّين وتزهرين، ويخاف عدوك ويشبع قلبك، وكل غنم قيدار مجتمعة إليك، وسادات بناوت يخدمونك». وبنات هو ابن إسماعيل. وقيدار هو أبو النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو بناوت. ثم قال: «وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار، لا تغلق، ويتخذونك قبلةً، وتُدعين بعد ذلك مدينة الرب». أي: بيت الله عز وجل. وفي موضع آخر من «شعيا»:

«ارفعي بصرك إلى ما حولك تستبهجين وتفرحين، من أجل أنه يصل إليك ذخائر البحر، ويحج إليك عساكر الأمم، حتى تعمرك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك، وتساق إليك كباش مدّين، ويأتيك أهل سبأ وتسير إليك بأغنام قيدار، ويخدمك رجالات بناوت». يعني سدة البيت، إنما هم من ولد بناوت بن إسماعيل. ذكر طريق مكة في شعيا قال ابن قتيبة: ذكر طريق مكة في «شعيا»:

وفي «شعيا» عن الله تعالى: «إني أعطي البادية كرامة لبنان وبها الكرمال». والكرمال ولبنان: الشام وبيت المقدس. يريد أجعل الكرامة التي كانت بالوحي هناك وظهور الأنبياء، للبادية بالحج وبالنبي صلى الله عليه وسلم. «وتشق في البادية مياه وسواق في أرض الفلاة، وتكون الفيافي والأماكن العطاش بنايع ومياهاً، وبصير هناك محجةً، وطريق الحرم لا يمرُّ به أنجاس الأمم، والجاهل به لا يصل هناك، ولا يكون به سباع ولا أسد، ويكون هناك ممر المخلصين».

وفي كتاب «حزقيل»: أنه ذكر معاصي بني إسرائيل وشبههم بكرمة عداها فقال: «ما تلبث تلك الكرم أن قلعت بالسحطة، ورمي بها على الأرض، وأحرقت السَّمائم ثمارها، فعند ذلك غرس غرسٌ في البدو في الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أعصافها العاضلة ناراً أكلت ثمار تلك، حتى لم توجد فيها عصا قوية ولا قضيب».

ذكر الحرم في كتاب شعيا

قال ابن قتيبة: ذكر الحرم في كتاب «شعيا»:

34/1

قال: «إن الذئب والجمال فيه يرعيان معاً» وكذلك جميع السباع لا تؤذي ولا تفسد في كل حَرَمي، ثم ترى تلك الوحوش إذا خرجت من الحرم عاودت الدُّعر وهربت من السباع، وكان السبع في الطلب والحرص في الصيد كما كان قبل دخوله الحرم.

ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر

قال ابن قتيبة: ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر:

قال شعيا: وذكر قصة العرب يوم بدر: «يدوسون الأمم كدياس البيادر، ويتزل البلاء بمشركي العرب ويهزمون».

ثم قال: «ينهزمون بين يدي سيف مسلولة وقسيّ موتورة ومن شدة الملحمة».

قال ابن قتيبة: فهذا ما في كتب الله المتقدمة الباقية في أيدي أهل الكتاب، يتلونه ولا يجحدون ظاهره، خلا اسم نبينا عليه السلام، فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً، ولن يعبأ ذلك عنهم، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم «مَشَقَّح» فمشقح هو محمد صلى الله عليه وسلم بغير شك.

واعتباره أنهم يقولون: «شَقَّحاً لِهنا» إذا أرادوا أن يقولوا: «الحمد لله» فإذا كان الحمد «شَقَّحاً» فمشقح محمد صلى الله عليه وسلم.

ولأن الصفات التي أقرروا بها هي وفاقاً لأحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشرعته.

فليدلونا على من له هذه الصفات، ومن خَرَّتْ الأمم بين يديه وانقادت لطاعته واستجابت لدعوته، ومن صاحبُ الجمل الذي هلك بابل وأصنامها به، وأين هذه الأمة من ولد قيدر بن إسماعيل الذي ينادون من رؤوس الجبال بالتلبية والأذان، والذين بثوا تسييحته في البر والبحر؟

هيهات أن يجدوا ذلك إلا في محمد وأمته.

قال ابن قتيبة: ولو لم تكن هذه الأخبار في كتبهم لم يكن فيما أودع في القرآن من ذكر ما في كتبهم

دليل.

كقوله تعالى: {س7ش70} قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {الأعراف: 70

35/1

وقوله: {س3ش70} يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ {آل عمران: 70} وقال: {س2ش146} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {البقرة: 146}

وقال: {س13ش43} وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ {الرعد: 43}

فكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم بما ليس عندهم ويقول: من علامة نبوتي أنكم تجدوني مكتوباً عندكم. وهم لا يجدونه، وقد كان غيباً أن يدعوهم بما ينفرهم. ولما تيقن بالخال عبد الله بن سلام ومن أسلم أسلموا. قلت: وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته، ويقرؤون به، ويعدون بظهوره، ويوصون أهاليهم بالإيمان به، فلما ظهر آمن عقلاؤهم، وحمل الحسد آخرين على العناد كحبيبي ابن أخطب، وأبي عامر الراهب، وأميرة بن أبي الصلت. وقد أسلم جماعة من علماء متأخري أهل الكتاب، وصنفوا كتباً يذكرون فيها صفاته التي في التوراة والإنجيل. فالعجب ممن يتيقن وجود الحق ثم يحمل الحسد على الرضا بالخلود في النار.

الباب الخامس

في إعلام كعب بن لؤي بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يسمع من أهل الكتاب

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، يجمع قومه يوم

الجمعة، وكانت قريش تسمي الجمعة: «عُرُوبَة»، فيخطبهم فيقول: أما بعد، فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا، ليلٌ ساجٍ ونهارٌ ضاحٍ، والأرضُ مهادٌ، والسماءُ بناءٌ، والجبالُ أوتادٌ، والنجومُ أعلامٌ والأولون كالآخرين، والأنثى والذكر، والزوج وما يهيج إلى بلىٍ صائرون. فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم.

36/1

فهل رأيتم من هالك رَجَعَ، أو ميت نُشِر؟ الدارُ أمامكم، والظنُّ غير ما تقولون، حرَمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به، فسيأتي له نبأٌ عظيم وسيخرج منه نبي كريم. ثم يقول:

نهارٌ وليلٌ كلٌّ أَوْبٍ بمحادثٍ  
سواءً علينا ليلُها ونهارُها  
يؤوبان بالأحداث حين تأوَّبا  
وبالتَّعم الضافي علينا ستورُها

على غفلةٍ يأتي النبيُّ محمدٌ  
فيُخبر أخباراً صدوقٌ خيرها  
ثم يقول: والله لو كنتُ فيها ذا سَمْعٍ وبصرٍ ويدٍ ورجلٍ لتصبَّتُ فيها تنصَّبَ الجملُ، ولأرقتُ فيها إرقال الفحل.

يا ليتني شاهد فحواء دَعَوته  
حينَ العشيِّرة تَبغي الحقَّ خُذْلانا  
وكان بين موت كعب بن لؤي وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة سنة وستون سنة.

#### الباب السادس

في ذكر منام رآه نَصْرُ بن ربيعة اللَّخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم قال أهل السَّير:

رأى نَصْرُ بن ربيعة رؤيا هالته، فلم يدعْ كاهنًا ولا منجمًا إلا جمعه إليه، وقال لهم: إني رأيت رؤيا هالتي، فأخبروني بتأويلها.

فقالوا: اقصصْها علينا.

فقال: إنه لا يَعْرِف تأويلها إلا من عَرَفها قَبْل أن أخبره بها.

قالوا: فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سَطِيح وشق. وهما اسم كاهنين.

فبعث إليهما فقدم سَطِيح فقال له: إني رأيت رؤيا هالتي فإن أصبتها أصبت تأويلها.

فقال: رأيت حُمَمَةً خرجت من ظُلْمَةٍ، فوقعت بأَرْضٍ تَهْمَةُ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُمُجْمَةٍ.  
فقال الملك: ما أخطأتَ منها شيئاً يا سطيح، فما عندك فيها؟  
قال: أحلف بما بين الحَرَّتَيْنِ من حَنَشٍ، لتَهْطُنَ أَرْضُكُمْ الحَبَشَ، فليملكن ما بين أَيْنِ إلى جُرَشَ،  
فقال له الملك: وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى هو؟ أفي زماي أم بعده؟  
قال: لا، بل بعده بحين، الحين من ستين إلى سبعين.  
قال: فهل يدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟  
قال: لا بل ينقطع لبضع وتسعين يمضين من السنين، ثم يخرجون منها هاربين.  
قال: ومن يلي ذلك؟

37/1

---

قال: إرم ذي وزن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.  
قال: أفيدوم ذلك؟  
قال: لا بل ينقطع.  
قال: ومن يقطعه.  
قال: نبيُّ زكي، يأتيه الوحي من قِبَلِ العليِّ.  
قال: ومن هذا النبي؟  
قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النَضْر، يكون المُلْكُ في قومه إلى آخر الدهر.  
قال: وهل للدهر من آخر؟  
  
قال: نعم، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه الحسنون ويشقى به المسيئون.  
قال: أحق ما تخبرني به؟  
قال: نعم، والشَّقُّ، والعسق، والفلق، إن ما أنبأتك به لحق.  
فلما فرغ قدم شقَّ فقال له: إني رأيت رؤيا فأخبرني بها. فأخبره كما قال سطيح، وأخبره بتقلب  
الممالك على نحو ما قال سطيح، إلى أن قال:  
ثم يأتي رسولٌ يأتي بالحق والعدل، يكون المُلْكُ في قومه إلى يوم الفصل.  
قال: وما يوم الفصل؟  
قال: يوم تجزى فيه الولادة، ويجمع الناس للميقات.

الباب السابع

في ذكر نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

هو: محمد، بن عبدالله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصي، بن كلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤيّ، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مُدركة، بن الياس، بن مُضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

ولا يختلف النسابون إلى: عدنان.

ثم يختلفون فيما بعده، فبعضهم يقول: عدنان بن أد، بن الهميسع، بن حمل بن قيدار، ابن إسماعيل بن إبراهيم.

وبعضهم يقول: عدنان من غير ذكر: أد بن أدد.

وفي حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عَدْنَانُ بْنُ أَدَدٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ أَعْرَاقِ الشَّرَى» .

قالت أم سلمة: فريد هو: الهميسع. ويرى هو: نبت. وأعراق الشرى هو: إسماعيل. كذلك حكى الزبير بن بكار.

وحكى أيضاً أن أعراق الشرى: إبراهيم، لأنهم لما رأوه لم يحترق بالنار قالوا: ما هو إلا أعراق الشرى. وهكذا ضبط لنا زيد. وقد حدثنا عن أبي أحمد العسكري أنه قال: إنما هو زيد مثل اسم أبي دلالة.

38/1

---

عن عروة قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان.

وقال ابن أبي خيثمة:

ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت.

الباب الثامن

في ذكر طهارة آبائه وشرفهم

عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» .

انفرد بإخراجه مسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَلْبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ بَيْتًا أَفْضَلَ مِنْ بَيْتِ بَنِي هَاشِمٍ» .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:



«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنَا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» .  
 عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله، إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم، فجعلوك  
 مثل نخلة تنبت في كَبُوةٍ من الأرض.  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ خَلَقَ الْخَلْقَ جَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ، ثُمَّ حِينَ  
 فَرَقَهُمْ جَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ حِينَ جَعَلَ الْقَبَائِلَ جَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ حِينَ جَعَلَ الْبُيُوتَ جَعَلَنِي  
 مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا» .  
 وقال ربيعة: إن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا نسمع من قومك حين يقول  
 القائل منهم: إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت في كبا.

39/1

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ، ثُمَّ فَرَقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ  
 الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا» .  
 الكبا: مقصور، وهو الكناسة.  
 قال الأصمعي: فإذا مدَّ فهو البحر.  
 قال شمر: ولم يسمع الكبوة.

#### الباب التاسع

في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عن ابن عباس قال: لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة، فترلت:  
 {س42ش23} ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
 إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ {  
 الشورى: 23

أي: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.  
 وقال الشعبي: أكثر الناس علينا في هذه الآية: {قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى} .  
 أي: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.  
 فكتب إلى ابن عباس، فكتب ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب في  
 قريش، لم يكن حيٌّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه، فقال الله تعالى: {قل لا أسألكم عليه أجراً إلا  
 المودة في القربى} .  
 أي: تودُّوا قرابتي منكم وتحفظوني في ذلك.

عن ابن عباس في قوله تعالى: {س9ش128لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة: 128

قال: ليس من العرب قبيلة إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضربها، وربيعها، ويمانيها.

#### الباب العاشر

في قوله عليه السلام: «وُلِدْتُ مِنْ نِكَاحٍ لَا مِنْ سِفَاحٍ»

40/1

عن علي بن أبي طالب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصْنَبِ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ» .

عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّباً، وَلَا تَتَشَعَّبُ شُعَبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا» .

#### الباب الحادي عشر

في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال عبد المطلب: بينا أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا هالتي، ففزعت منها فرعاً شديداً، فأثيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ وجمتي تضرب منكبي.  
فلما نظرت إلي عرفت في وجهي النغير، وأنا يومئذ سيد قومي فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء؟  
فقلت لها: بلى، وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى، ثم يضع يدها على أم رأسه، ثم يبدو بحاجته، ولم أفعل لأني كنت كبير قومي.  
فجلست فقلت: إني رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت، قد نال رأسها السماء، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نوراً أزهى منها، أعظم من نور الشمس بتسعين ضعفاً. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً، ساعة تخفى وساعة تزهو، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخرهم شاب، لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها قسماً فقال لي: لا نصيب لك فيها.

فقلت: ومن له نصيب؟  
فقال: النصيب لها وللذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فانتبهت فرعاً مرعوباً.

41/1

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس.  
ثم قالت لأبي طالب: لعلك أن تكون عم هذا المولود.

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث، والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين.  
فيقال له: ألا تؤمن به؟  
فيقول: السبة والعار

#### الباب الثاني عشر

في ذكر منام رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن خالد بن سعيد: قال: كنت ذات ليلة نائماً قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:  
رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك إذ خرج نور من زمزم، ثم علا  
في السماء فأضاء في البيت، ثم أضاءت مكة كلها، ثم إلى نخل يشرب فأضاء بها حتى كأني أنظر البُسر في  
النخل، فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد وكان جَزَلَ الرأي، فقال: يا أخي إن هذا  
الأمر يكون في بني عبد المطلب، ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم.  
قال خالد: فإنه لِمَا هداي الله به للإسلام. قالت أم خالد: فأول من أسلم ابني. وذلك أنه ذكر رؤياه  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:  
«يا خالد أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله» .  
فقص عليه ما بعثه الله به، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده.

#### الباب الثالث عشر

في ذكر منام رآه عمرو بن مرة يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن عمرو بن مرة الجهني: أنه كان يحدث قال: خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت  
في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً خرج من الكعبة حتى أضاء لي من الكعبة إلى جبل يشرب وأشعر جهينة،  
فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء.

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام.

42/1

فانتبهت فزعاً، فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث. وأخبرتهم بما رأيت.

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا الخبر أن رجلاً يقال له: أحمد قد بعث. فخرجت حتى أتيته، فأخبرته بما رأيت فقال لي: «يَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، أَنَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ إِلَى الْعِبَادِ كَافَّةً، أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمُرُهُمْ بِحَقِّنِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرًا مِنْ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أَجَابَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ، فَأَمِنْ بِاللَّهِ يَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ يُؤْمِنُكَ اللَّهُ مِنْ هَوْلِ جَهَنَّمَ» .

فقلت: يا رسول الله، آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام. ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به، وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فقمت إليه فكسرتة ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم:

شهدتُ بأن الله حقٌّ وأني

لآلهة الأحجار أول تارك

وشمرت عن ساقِي الإِزارِ مهاجراً

أجوب إليك الدَّعْثَ بعد الدَّكَادِكِ

لأصحب خير الناس نفساً ووالداً

رسول ملِك الناس فوق الحَبائِكِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَرَحَبًا بِكَ يَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ» .

فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ابعث بي إلى قومي لعل الله عز وجل يمن عليهم بي كما من بك علي.

فبعثني إليهم وقال: «عَلَيْكَ بِالرَّقْفِ وَالْقَوْلِ السَّيِّدِ، وَلَا تَكُ فُظًّا وَلَا مُتَكَبِّرًا وَلَا حَسُودًا» .

43/1

فأتيت قومي، فقلت: يا بني رفاعه، بل يا معاشر جهينة إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَحْذَرُكُمْ النَّارَ، وَأَمُرُكُمْ بِحَقِّنِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَفْضِ

الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار. يا معشر جهينة إن الله وله الحمد جعلكم خيار من أنتم منه، وبغض إليكم في الجاهلية ما حُب إلى غيركم من العرب، كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والغزاة في الشهر الحرام، فأجيئوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب، تناولوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة وسارعوا في ذلك تكن لكم فضيلة عند الله عز وجل.

فأجابوا إلا رجلاً منهم، فقام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونفارق جماعتنا ونخالف دين آبائنا إلى ما يدعو إليه هذا القرشي من أهل قمامة؟ لا حباً ولا كرامة. ثم أنشأ الخبيث يقول:

هذا ابن مرة قد أتى بمقالة  
ليست مقالة من يريد صلاحاً  
إني لأحسب قوله وفعاله  
يوماً، وإن طال الزمان رياحاً  
أنسفه الأشياء فيمن قد مضى  
من رام ذاك فلا أصاب فلاحاً

فقال عمرو بن مرة: الكاذب بيني وبينك أمر الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه أسنانه.  
قال عمرو: فوالله ما مات حتى سقط فوه، فكان لا يجد طعم الطعام، وعمي وخرس.  
فخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه معه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فرحب بهم وحياهم وكتب لهم كتاباً هذه نسخته:

44/1

---

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب أمان من الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكتاب صادق وحق ناطق، مع عمرو بن مرة الجهني: أجهينة بن زيد، إن لكم بطون الأرض وظهورها، وقلاع الأودية وسهولها، ترعون نباته وتشربون صافيه، على أن تقرأوا بالخمسة وتصلوا صلاة الخمس، وفي التبعة والصريمة شاتان إذا اجتماعا وإن افترقا فشاة شاة، ليس على أهل الميرة صدقة، والله يشهد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين.

فذلك حين يقول عمرو بن مرة:

ألم تر أن الله أظهر دينه  
وبين برهان القرآن لعامير  
كتاب من الرحمن نوراً لجمعنا

وأخلافنا في كل بادٍ وحاضر  
إلى خير من يمشي على الأرض كلها  
وأفضلها عند اعتكار الضرائر  
أطعنا رسول الله لما تقطعت  
بطون الأعادي بالطُّبَا والخواصِر  
فحنَّ قَبِيلٌ قد بنَى الخُجْدَ حَوْلَنَا  
إذا اجتلبت في الحرب هامُ الأكابر  
بنو الحرب نَقْرِيها بأيدي طويِلَةٍ  
وبيضٍ تَلالاً في أكفِّ المغاورِ  
ترى حَوْلَهُ الأنصار يَحْمُونَ سريه  
بِسُمرِ العوالي والصَّفاحِ البواترِ  
إذا الحرب دارت عند كل عزيمة  
ودارت رهاها بالليوث الهواصِرِ  
تبَلَّجَ منه اللونُ وازداد وجهه  
كمثل ضياءِ البدر بينَ الهواصِرِ  
وذكر ياسر بن سُويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّهه في خيل أو سَريّة وامرأته حامل، فولد  
له مولود، فحملته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، قد ولدت هذا  
المولود وأبوه في الخيل.

فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فأمرَّ يده عليه وقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ رِجَالَهُمْ وَأَقِلِّ نِسَاءَهُمْ وَلَا  
تَحْجُجْهُمْ، وَلَا تُرِ أَحَدًا ثَهُمْ خَصَاصَةً». ثم قال: «سَمَّيْهِ مُسْرِعًا فَهُوَ إِسْرَاعٌ فِي الْإِسْلَامِ» .

#### الباب الرابع عشر

في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بني زهرة

45/1

---

عن عبد المطلب: خرجتُ إلى اليمن في رحلتي الإيلاف، فترلت على رجل من اليهود يقرأ الزُّبور،  
فقال: يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعض جسدك؟  
قلت: نعم، ما لم يكن عورة.  
فنظر في منخري، فقال: أجد في أحد منخريك مُلْكًا، وفي الآخر بُؤة، فهل لك من شاعة؟

قلت: وما الشاعة؟

قال: الزوجة.

قلت: أمّا اليوم فلا.

قال: فإذا قدمت مكة فتزوج.

فقدم عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فولدت له حمزة وصفيّة.

ثم تزوج عبدالله بن عبد المطلب آمنه بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكانت قريش: تقول فلج عبدالله على أبيه.

وفي رواية أخرى أنه قال: وفي الآخر نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فإذا رجعت فتزوج فيهم.

#### الباب الخامس عشر

في ذكر عبدالله أبي نبينا صلى الله عليه وسلم

كان عبدالله وأبو طالب والزبير لأم واحدة، واسمها فاطمة بنت عمرو.

وكان عبد المطلب قد رأى في المنام قائلاً يقول له: احفر زمزم. ونعت له موضعها.

فقام يحفر، وليس له ولد يومئذ إلا الحارث، فنازعه قريش، فتذر لئن ولد له عشرة من الولد ثم بلغوا

أن يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما تموا عشرة وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذرهم، فأطاعوه وكتب كلٌّ منهم اسمه في قدح، وجمعها

وأعطاهم قيم هبل وقال: اضرب بقداح هؤلاء.

فخرج القدح على عبدالله، فأخذه وأخذ الشفرة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا: لا تفعل

حتى تُعذر فيه. فانطلق به إلى عرّافة.

فقالت له: كم الدية فيكم؟ قال عشْر من الإبل. قالت: قَرَّبوا صاحبكم، وقربوا عشراً من الإبل، ثم

اضربوا عليه وعلى الإبل القدح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، فإذا

خرجت على الإبل فقد رضى ونجا صاحبكم.

46/1

---

فقرَّبوا عبدالله وعشراً، فخرجت على عبدالله، فزادوا عشراً فخرجت عليه، فزادوا فلم يزالوا كذلك

حتى جعلوها مائة، فخرج القدح على الإبل فتنحرت ثم تركت لا يُصدُّ عنها إنسان ولا سَع.

#### الباب السادس عشر

في ذكر تزوّج عبدالله آمنه بنت وهب

لما انحرت الإبل فداء لعبدالله مرَّ مع أبيه على أم قتال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى، وهي أخت

ورقة، فقالت: يا عبدالله أين تذهب؟

قال: مع أبي.

قالت: لك عندي مثل الإبل التي نُحرت عنك وَقَعْ عليّ.

قال: إني مع أبي لا أستطيع فراقه.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة، فزوجه آمنة، فدخل عليها فوقع

عليها مكانه. فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي كانت عَرَضَتْ عليه نفسها، قال لها: ما لك لا تعرضين عليّ

اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس؟

قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة.

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب، وكان فيما أدرك أنه كائن في

هذه الأمة نبيٍّ من ولد إسماعيل.

عن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بعبدالله ليزوجه مرَّ به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر من

أهل تبالة، قد قرأت الكتب فرأت على وجهه نوراً، فقالت: يا فتى، هل لك أن تقع عليّ وأعطيك

مائة من الإبل؟ فأنشأ يقول:

أما الحرامُ فالمماتُ دونه

والحلُّ لا حلَّ فأسْتَبِيْنَه

فكيف بالأمر الذي تبغيه

ثم تركها ومضى.

عن أبي الفياض قال: مر عبدالله بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر، وكانت من أجمل النساء

وأشبههن وأعفهن، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شبان قريش يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في

وجه عبدالله، فقالت: يا فتى مَنْ أنت؟ فأخبرها، قالت: فهل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من الإبل؟

فنظر إليها، وقال:

أما الحرامُ فالممات دونه

والحلُّ لا حلَّ فأسْتَبِيْنَه

فكيف بالأمر الذي تُنَوِّيه

47/1

---

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب فكان معها، ثم ذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه، فأقبل

عليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً، فقال: هل لك فيما قلت؟



فقلت: قد كان ذلك مرة فاليوم لا. فذهبت مثلاً.

وقالت: أي شيء صنعت بعدي؟

قال: وقعت على زوجتي آمنة بنت وهب.

قالت: إني والله لست بصاحبة ريبة، ولكنني رأيت نور النبوة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك فيّ وأبى الله أن يجعله إلا حيث جعله.

وبلغ شباب قريش ما عرضت على عبدالله بن عبد المطلب وتأبى عنها، فذكروا ذلك لها فأنشأت تقول:

إني رأيت مخيلةً بلغت

فتلّلات بمخاتم القطر

فلمّا ثها نوراً يضيء له

ما حوله كإضاءة الفجر

ورأيت شرفاً أبوء به

ما كلُّ قاذح زنده يوري

وقالت أيضاً:

بني هاشم قد غادرت من أخيكُم

أمانةً إذ للباه يعتلجان

كما غادر المصباح بعد حُبّه

فتائل قد ميّث له بدهان

وما كل ما يحوي الفتى من تلاده

بحزم ولا ما فاته لتواني

فأجل إذا طالبت أمراً فإنه

سيكفيكه جدّان يضطّرّان

ستكفيكه إما يدٌ مُقْفَعَلَة

وإما يدٌ مبسوطةٌ ببنان

ولما قضت منه أمانةً ما قضت

ببَا بصري عنه وكلّ لسان

#### الباب السابع عشر

في ذكر ما جرى لآمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عمة وهب بن ربيعة قالت: كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول: ما شعرتُ أُنِي حملت به، ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء، إلا أُنِي أنكرت رفع

حيضتي، فأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها. وذلك يوم الاثنين. قالت: فكان ذلك مما يقنّ عندي الحمل، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال:

قولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد. قالت: كنت أقول ذلك فذكرت ذلك بلساني فقلن تعلقي حديدًا في عضديك وفي عنقك.

48/1

قالت: ففعلت فلم يكن يترك عليّ إلا أياماً فأجده قد قطع فكنت لا أتعلّقه. ولقد قالت آمنة: لقد علقت به فما وجدت مشقة حتى وضعته. وأمرت أن تسميه أحمد.

#### الباب الثامن عشر

في ذكر وفاة عبدالله بن عبد المطلب

ولد عبدالله لأربع وعشرين سنة مضت من ملك كسرى أنو شروان، ثم تزوج آمنة، فلما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفي.

عن أيوب بن عبد الرحمن قال: خرج عبدالله بن عبد المطلب إلى الشام في غير من عيارات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة، وعبدالله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عديّ بن النجار.

فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة.

فسأله عبد المطلب عن عبدالله فقالوا: خلفناه عند أخواله وهو مريض.

فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، وهو رجل من بني عدي بن النجار. فرجع فأخبر عبد المطلب فوجد عليه وجداً شديداً.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل يومئذ.

ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: ترك عبدالله أم أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قيل إن عبدالله توفي بعد ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح.

#### الباب التاسع عشر

في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول عام الفيل.  
وقيل: ليلتين خَلَّتَا منه.

وقيل: لاثنتي عشرة ليلة.

وقال ابن عباس: ولد يوم الفيل.

وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من الحرم وكان أول الحرم تلك السنة الجمعة، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان.

وقيل: إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج.

49/1

وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يد عقيل حتى توفي فباعها ولده من محمد بن يوسف، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك في الدار حتى أخرجته الخيزران وجعلته مسجداً يصلى فيه.

عن أبي قتادة: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين. فقال: «ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه وأنزل عليَّ فيه» .

انفرد بإخراجه مسلم.

قال ابن إسحاق: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

وقد روي عن الزهري أنه قال: ولد بعد الفيل بعشر سنين ولا يصح.

وقال البراء: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول يوم العشر من نيسان.

وقال حسان بن ثابت: إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان سنين، إذا يهودي يشرب يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود. فلما اجتمعوا قالوا: ما لك ويلك؟ قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به هذه الليلة.

قال: فأدركه اليهودي فلم يؤمن

عن حسان أيضاً قال: إني لعلی فارع وهو أطم، في السحر؛ إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفَذَ منه، فإذا يهودي على أطم من آطام المدينة معه شعلة من نار، فاجتمع الناس إليه فقالوا: ما لك ويلك فقال: هذا كوكب أحمد قد طلع، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد. فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما يأتي به.

## الباب العشرون

### في قصة الفيل

قال علماء السير: بنى أبرهة كنيسة لم يُرَ مثلها وقال: لست بُنيتُ حتى أصرف إليها حجاج العرب. فلما عرفت العرب ذلك خرج منهم رجل فأحدث فيها. فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه.

فخرج ومعه الفيل، فلما انتهى إلى مكة فبها وقال لبعض أصحابه سَلْ عن سيد أهل مكة، وقل له: إِنَّا لم نأتِ لحربكم، إِنَّمَا جئنا لهدم هذا البيت.

50/1

---

فدَلَّ على عبد المطلب، فأخبره ما قال، فقال: والله ما نريد حربَه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، وإن يمنعهُ فهو بيته. ثم حُمِلَ إليه فأكرمه وأجلَّه وقال: حاجتك؟ قال: أن تردَّ عليّ مائتي بعير أصبتها لي. فقال لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني أنكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه؟ فقال: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. وخرج عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرَّة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال:

يا ربَّ لا أرجو لهم سواك  
يا رب وامنع منهم حِمَاك  
إن عدوَّ البيت من عاداك  
امنعهُم أن يُخربوا فِناك  
وقال أيضاً:

لا هُم إن المرء يمنَعُ رَحْمَـ  
ـله وحِلاله فامنَع حِلَالِكُ  
لا يَغْلِبَنَّ صَليهِم  
ومِحَاهم غَدُوا مِحَالِك  
جَرَّوا جموعَ بلادهم  
والفيلَ كي يَسْبُوا عِيَالِك

عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ  
جَهْلًا وَمَا رَقُبُوا جَلَالَكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَكَعْبَتَنَا  
فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

ثم إن أبرهة نهباً للدخول وهياً الفيل، فأقبل نُفَيْل بن حبيب الخنَعمي وقال بأذن الفيل وقال: ابرك محمود وارجع من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام. فبرك. ومضى نُفَيْل يشنُدُ في الجبل، فضربوا الفيل ليقوم فأبى، فوجهوه إلى اليمن فهول؛ ووجهوه إلى مكة فبرك.

وأرسل الله تعالى طيراً أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس لا يصيب أحداً إلا هلك. فخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي جاؤوا منه. فهلكوا في كل سهل وجبل.

وأصيب أبرهة بداء في جسده، فسقطت أنامله فقدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه.

وولد في هذا العام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

51/1

---

قال ابن قتيبة: وقد أجمع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل، وقد عاينَ ذلك حكيمُ ابن حزام وخُوَيْطَب بن عبد العزَّى وحسان بن ثابت، وكل هؤلاء عاشوا في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة وقالت الشعراء في ذلك عن عيان الأمر ومشاهدته. منهم نُفَيْل بن حبيب، وهو جاهلي وكانت الحبيشة أخذته ليدها على الطريق إلى مكة فهرب منهم بحيلة فقال:

أَلَا رُدِّي رَكَابِنَا رُدِّيْنَا  
نَعْمَنَا كَمْ عَلَى الْهَجْرَانِ عَيْنَا  
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَكِنْ تَرَيْهِ  
لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا  
جَمَدَتْ لَهِ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا  
وَخَفْتُ حَجَارَةً ثَلَقَى عَلَيْنَا  
وَكُلَّهُمْ يُسَائِلُ عَنْ نُفَيْلٍ

كَأَنَّ عَلِيَّاً لِلْحَبِشَانِ ذِيْنَا  
وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:  
إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ  
مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ  
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْمَسِ حَتَّى  
ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمِيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ.  
قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: وَفِي أَمْرِ الْفِيلِ أَنَّهُ بَيْنَهُ عَلَى الْإِلَهِ الْمُسَخَّرُ لِلطَّيْرِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِنُصْرَةِ مَنْ ارْتَضَاهُ  
وَهَلَكَةَ مَنْ سَخَطَ عَلَيْهِ، لَا لِنُصْرَةِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَالْحَبِشَةُ لَهُمْ كِتَابٌ.  
فَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ.  
عَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّمَا قَالَتْ: رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمِيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ.

#### الباب الحادي والعشرون

فِي ذِكْرِ مَا جَرَى عِنْدَ وَضْعِ آمَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قَالَتْ آمَنَةُ: لَقَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ وَضْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ حَتَّى  
رَأَيْتَهَا.

وَقَالَتْ آمَنَةُ أَيْضًا لَمَّا ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى النُّجُومِ تَدُلُّ حَتَّى قُلْتُ لَتَقَعَنَّ عَلَيَّ.  
فَلَمَّا وَضَعَتْهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ الْبَيْتُ وَالْدَارُ حَتَّى جَعَلْتُ لَا تَرَى إِلَّا نُورًا.  
وَقَالَتْ الشَّقَاءُ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لَمَّا وَلَدَتْ آمَنَةُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ عَلَى يَدَيَّ اسْتَهْلَ  
صَارِخًا فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: رَحِمَكَ رَبُّكَ.

52/1

---

قَالَتْ الشَّقَاءُ: فَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الشَّامِ.  
قَالَتْ: ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ غَشِيَنِي ظِلْمَةٌ وَرَعِبَ وَقْشَعْرِيرَةٌ ثُمَّ أَصْفَرُ لِي عَنْ يَمِينِي، فَسَمِعْتُ  
قَائِلًا يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟  
قَالَ: ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ. ثُمَّ عَاوَدَنِي الرَّعِبُ وَالظُّلْمَةُ وَالْقَشَعْرِيرَةُ، ثُمَّ أَصْفَرُ لِي عَنْ يَسَارِي فَسَمِعْتُ  
قَائِلًا يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟  
قَالَ: ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَنْ يَعُودَ أَبَدًا.  
فَلَمْ يَزَلْ الْحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ

إسلاماً.

وقالت آمنة: ولدته جاثياً على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً، وولد وقد قطعت سُرته، وكنت وضعت عليه إناءً فوجدت الإناء قد انفلق عنه وهو يمص إمامه يشخب لبناً.

وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد، فلما أصبح قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه.

قال: ولد الليلة نبي العرب له شامة بين منكبيه سوداء ظفراء فيها شعرات، فرجع القوم فسألوا أهلهم هل ولد لعبد المطلب الليلة ولد؟ قالوا: نعم. فأخبروا اليهودي فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل. عن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَتْ أُمِّي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ».

عن عكرمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعت تحت برمة فانفلقت عنه. قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شقَّ بصره ينظر إلى السماء.

وعن عمه وهب بن زَمعة قالت: لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالس في الحجر معه ولده ورجال من قومه، فأخبروه أن آمنة ولدت غلاماً، فسرَّ بذلك عبد المطلب، وقام هو ومن كان معه فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها، وما أمرت به، فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله تعالى ويشكر ما أعطاه.

قال ابن واقد: فأخبرت أن عبد المطلب قال يومئذ:

الحمدُ لله الذي أعطاني

53/1

هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهْد على الغلمان

أعيذه بالبيت ذي الأركان

حتى أراه بالغ النيان

أعيذه من شرِّ ذي شأن

من حاسدٍ مضطرب العيان وقال العباس: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم محتوناً مسروراً،

فأعجب جده عبد المطلب وقال: ليكونن لابني شأن. وكان له شأن.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتفت الجن على أبي قبيس

على الحُجُون الذي بأصله المقبرة، وكانت قريش تبل فيه ثيابها فقال:

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبَتْ

ولا ولدت أنثى من الناس واحده

كما ولدت زُهرية ذاتُ مَفْخَر

نَجِيَّة من لؤمِ القبائلِ ماجده

وقد وُلدت خيرَ البرية أحمدًا

فأكرم مولودَ وأكرم والده وقال الذي على أبي قبيس:

يا ساكني البطحاء لا تَغْلَطُوا

وميزوا الأمرَ بفعلِ مَضَى

إن بني زُهرة مِنْ سِرِّكم

في غابر الأمرِ وعند البُدَى

واحدةً منكم فهاتوا لنا

فيمن مضى في الناس أو من بقى

واحدةً من غيرهم مثلها

جنيئها مثلَ النبي التُّقَى

الباب الثاني والعشرون

في ولادته مسروراً مختوناً

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كَرَّمتي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُوناً وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوَاتِي». .

فإن قيل: فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان، حتى شقَّ صدره وأخرج قلبه؟

قال ابن عَقِيل: لأن الله سبحانه أخفى أذون التطهيرين الذي جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب، وأظهر أشرفهما وهو القلب، فأظهر آثار التجميل والعناية بالعصمة في طرقات الوحي.

الباب الثالث والعشرون

في ذكر الحوادث التي كانت ليلة ولادته

عن مخزوم بن هافىء، عن أبيه، وأنت له خمسون ومائة سنة، قال:



فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وحمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى فصبر عليه تشجّعاً، ثم رأى أن لا يكتف ذلك عن وزرائه ومرازبته. فليس تاجه، وقعد على سرير، وجمعهم إليه، فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك.

فبينما هم كذلك ورد عليهم كتاب بخمود النيران، فازداد غمّاً إلى غمّه. فقال الموبدان: وأنا، أصلح الله الملك، قد رأيت في هذه الليلة رؤيا. وقص عليه الرؤيا في الإبل. فقال: أي شيء يكون هذا يا موبدان؟ قال: حادث يكون من عند العرب. فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد، فوجّه إليّ رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه.

فوجّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بُقَيْلَة الغساني. فلما قدم عليه قال له: هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك عما أحبّ فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه. فأخبره بما رأى فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح. قال: فأته فأسأله عما سألتك عنه وائتني بجوابه. فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت، فسلم عليه وحيّاه فلم يحرك جواباً.

فأنشأ عبد المسيح يقول:  
أَصُمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ

أَمْ فَادَ فَازَلَمَ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنِ  
يا فاصل الخطّة أعيّت مَنْ وَمَنْ  
أتاك شيخُ الحيّ من آل سنن  
وأمه من آل ذئب بن حجن  
أبيض فضفاض الرداء والبدن  
رسول قيل العجم يسري للوسن  
لا يَرهب الوغد ولا ريب الزمن  
تجوب بي الأرض علنداةً شرن  
ترفعني وجناً وحموي بي وجنّ  
حتى أتى عاري الجأجي والقطن

تلفه في الريح بوغاء الدَّمَن فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملكُ بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها.

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبُعث صاحبُ الهراوة، وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة، وخذت نار فارس، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه.

فثار عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول:

شَمَّرَ فَإِنَّكَ ماضِي الهم شَمِيرُ

لا يفزعك تفريقٌ وتغييرُ

إن يُمس مُلكُ بني ساسان أفرطهم

فإن ذا الدهر أطوار دهايرُ

فرمًا ربما أضحوا بمتزلةٍ

قهاب صولهم الأسد المهاصيرُ

منهم أخو الصرح بُهْرَام وإخوته

والهُرْمَزَان وسابور وسابورُ

والناسُ أولاد علّات فمن علموا

أن قد أقلّ فمحقورٌ ومهْجورُ

وهم بنو الأم إما إن رأوا نشباً

فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ

والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرْنٍ

فالخيرُ متبعٌ والشرُّ محذور

فلما قديم عبدُ المسيح على كسرى أخبره بقول سَطِيح، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر قد كانت أمورٌ.

فملك منهم عشرة أربع سنين، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وكان سَطِيح لحماً على وضم، لم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة والكفين، ويطوى من ترقوته إلى رجليه كما يطوى الثوب، ولم يكن منه شيء يتحرك إلا لسانه، وكان يُحمَل على وضة.

## الباب الرابع والعشرون

في ذكر أمهات الحوادث في سنتيه صلى الله عليه وسلم  
وكان من أعظم الحوادث في السنة الأولى من مولده انشقاق الإيوان، وقصة الفيل، ويوم جبلة.  
قال أبو عبيدة: أعظم آيات العرب يوم جبلة، وكان عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان  
لعامر وعَبْس على ذبيان وتميم.  
وقد قال الرَضِيّ:

56/1

---

فمن إباء الأذى خَلَّتْ جَمَاهَا  
على مَنَاصِلِهَا عَبْسٌ وَذَبِيَانُ  
1 وفي سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد، فعولج بمكة فلم تغن عنه، فقبل لعبد المطلب: إن في  
ناحية عكاظ راهباً يعالج العين.  
فركب إليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه، فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادراً.  
فقال: يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبي هذه الأمة، ولو لم أخرج إليك لخرّ على ديري، فارجع به  
واحفظه لا يغتاله بعض أهل الكتاب.  
ثم عاجله وأعطاه ما يعالج به.  
وألقى الله له الحبة في قلوب قومه وكل من يراه.  
1 وفي سنة ثمان من مولده مات عبد المطلب وكفله أبو طالب، ومات كسرى أنو شروان وولي ابنه  
هُرْمَز.  
1 وفي سنة عشر من مولده صلى الله عليه وسلم كان الفِجَار الأول.

فلما أتت له بضعة عشرة سنة خرج في سَفَرٍ مع عمه الزُّبَيْر، فمَرُّوا بِوَادٍ فِيهِ فَحْلٌ مِنَ الْإِبِلِ يَمْنَعُ مِنْ  
يَحْتَاز، فَأَرَادُوا الْإِنْخِرَافَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَكْفِيكُمْوه، فدخل أمام الرّكب،  
فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكلّكلته، فزَلَّ عَنْ بَعِيرِهِ وَرَكِبَهُ فَسَارَ حَتَّى جَاوَزَ الْوَادِي ثُمَّ خَلَّى  
عنه. فلما رجعوا من سَفَرِهِمْ مَرُّوا بِوَادٍ مَمْلُوءٍ مَاءً يَتَدَفَّقُ، فَوَقَفُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وسلم: اتبعوني. ثم اقتحمه واتبعوه فأَيَسَّ اللَّهُ الْمَاءَ. فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس: إن  
هذا الغلام لَشَأْنًا.

وكان يُفَرِّشُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَبَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفَرٌ فَيَجْلِسُ فِي مَكَانِهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤْخِرُوهُ، فيقول: دعوا بُيَّ فوالله إن له لَشَأْنًا.

- 1 وفي سنة أربع عشرة من مولده كان الفجار الآخر.
- 1 وفي سنة خمس عشرة من مولده قامت سوق عُكاظ.
- 1 وفي سنة تسع عشرة من مولده هلك هُرْمَز بن كسرى وولي ابنه أبرويز.
- 1 وفي سنة عشرين من مولده كان حلف الفضول.
- 1 وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هُدِمت الكعبة وبنيت.

57/1

1 فلما تمت له أربعون سنة نُبِئ فجاءه الوحي.

- 1 وبعد عشرين يوماً من مبعثه رميت الشياطين بالشهب.
- 1 واستتر بالنبوة ثلاث سنين ثم نزل: {س15ش94فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ  
الحجر: 94}

- 1 وكانت قريش لا تُنكر عليه حتى سبَّ آلهتهم فَأَذَوْهُ وَأَذَوْا أصحابه.
- 1 فأمر أصحابه في سنة خمس من النبوة بالهجرة إلى الحبشة.
- 1 وكانت وقعة بُعث في سنة سبع من النبوة.
- 1 وفي سنة عشر من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.
- 1 وفي سنة إحدى عشرة خرج يَعْرِض نفسه على القبائل.
- 1 وفي سنة اثني عشرة كان المعراج.
- 1 وفي سنة ثلاث عشرة بايعه الأنصار في العقبة.

- 1 وفي السنة الأولى من سني الهجرة خرج إلى الغار. وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار.
- 1 وفي سنة اثنتين حوَّلت القبلة إلى الكعبة، ونزلت فريضة رمضان، وكانت غَزَاة بدر.
- 1 وفي السنة الثالثة كانت غزاة أُحُد وفي السابعة غزاة خيبر.
- 1 وفي الثامنة كانت غزاة الفتح.
- 1 وفي العاشرة حجَّ صلى الله عليه وسلم.
- 1 وفي الحادية عشرة توفي صلى الله عليه وسلم.

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» .

وعنه أيضاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لِي أَسْمَاءُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ» .  
عن أبي موسى قال: سَمِيَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ أَسْمَاءَ مِنْهَا مَا حَفَظْنَاهُ وَمِنْهَا مَا لَمْ يَحْفَظْ قَالَ:

»

58/1

أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلَأِجِمِ» .  
وعنه أيضاً قال: سَمِيَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ أَسْمَاءَ مِنْهَا مَا حَفَظْنَاهُ فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلَحْمَةِ» .  
عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أُطْعِمَ طَعَامٌ عَلَى مَائِدَةٍ، وَلَا جُلِسَ عَلَيْهَا، وَفِيهَا اسْمِي إِلَّا قَدِرَ أَكُلُ مَرَّتَيْنِ» .  
عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ قَطُّ فِي مَشُورَةٍ وَفِيهِمْ رَجُلٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ لَمْ يَدْخُلُوهُ فِي مَشُورَتِهِمْ إِلَّا لَمْ يُبَارَكْ لَهُمْ فِيهِ» .

عن ابن فارس اللغوي: أن لدينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسماً: محمد، وأحمد، والمحي، والحاشر، والعاقب، والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملاحم، والشاهد، والمبشر، والبدر، والضحوك، والقتال، والمتوكل، والفالج، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبي، والأُمي، والقثم.

والحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه.

والمقفي: آخر الأنبياء، وكذلك العاقب.

والملاحم: الحروب.

والضحوك: اسمه في التوراة، وذلك أنه كان طيب النفس فكها.

والقثم: من القثم وهو الإعطاء، وكان أجود الناس.

وفي الماحي: إشارة إلى ظهور دينه على الملك ومحوه الكفر وكثرة الفتوح.

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يسمَّ أحد قبله باسمه، صيانة من الله لهذا الاسم، كما فعل يحيى بن زكريا، إذ لم يجعل له من قبل سميّاً.

وذلك أنه سماه في الكتب المتقدمة، وبشرت به الأنبياء، فلو جعل الاسم مشتركاً فيه شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه حضر أربعة أنفس عند راهب، وأخبرهم، باسمه وقرب زمنه، فسموا أولادهم بذلك، ولا يعرف غيرهم.

59/1

#### الباب السادس والعشرون

في ذكر كنيته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يكنى أبا القاسم، لأنه أول ولد ولدت له أمه.

عن أنس بن مالك قال: لما ولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية كاد يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه، حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. وقد نهي أن يكنى بكنيته.

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالقيع، فنادى رجل رجلاً: يا أبا القاسم.

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل: لم أعنك يا رسول الله، إنما عنيت فلاناً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تُكْنُوا بِكُنْيَتِي» .

عن جابر أن رجلاً من الأنصار ولد له غلام، فأراد أن يسميه محمداً، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تُكْنُوا بِكُنْيَتِي» .

عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِي فَلَا يُكْنَى بِكُنْيَتِي، وَمَنْ اكْتَنَى بِكُنْيَتِي فَلَا يَتَسَمَّى بِاسْمِي» .

وقد اختلفت الرواية عن أحمد، فروي عنه أنه يكره أن يجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته، فإن أفرد الكنية عن اسمه لم يكره.

وروي عنه كراهية في الجملة في الجمع والإفراد.

وروي عنه نفي الكراهية في الجملة، لما روي في حديث عائشة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني ولدت غلاماً فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم، فذكر لي أنك تكره ذلك.

فقال: «مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي؟» أو: «مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنْيَتِي وَأَحَلَّ اسْمِي» .

قلت: وقد أجاب ذلك لعلي في ولد يأتيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال علي: يا رسول

الله أرأيت إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنتك؟ قال: «نعم». .  
فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي.

60/1

قلت: والذي يقتضيه النظر في الأحاديث أنه قد كان يكره أن يكتنى بكنته، لأن الخطاب لمثله بالكنية، فأما بعده فلا تكره الكنية ولا يجمع بينها وبين الاسم.

#### الباب السابع والعشرون

في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

1 أول من أرضعه ثوية مولاة أبي هب أياماً.

1 ثم قدمت حليلة.

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف، وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد، فولد حمزة، ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرضعتها ثوية بلبن ابنها مسروح أياماً، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها: «إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا بِنْتُ أَخِي أَرْضَعْتَنِي وَأَبَاهَا ثَوِيَّةٌ». .  
وكانت ثوية تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكرمها خديجة، وهي يومئذ أمة، ثم أعتقها أبو هب.  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر، ولا يعلم أنها أسلمت.

بل قد قال أبو نعيم الأصبهاني: حكى بعض العلماء أنه اختلف في إسلامها.  
عن عروة قال: كانت ثوية مولاة لأبي هب فأعتقها. فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات أبو هب رآه بعض أهله في النوم، فقال: ماذا لقيت يا أبا هب؟ فقال: ما رأيت بعدكم روحاً، غير أنني سقيت في هذه — وأشار إلى النقرة التي فوق الإبهام — بعثني ثوية.  
قال: وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا سلمة.

#### الباب الثامن والعشرون

في ذكر حليلة وهي التي أرضعته بعد ثوية

وهي: حليلة بنت أبي ذؤيب، واسمها عبد الله بن الحارث بن شجنة. وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة.

واسم إخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضاعة حليلة: عبدالله، وأنيسة وخِدَامَةُ بنو الحارث؛ وخِدَامَةُ هي: الشَّيْمَاءُ غلب ذلك على اسمها فلا تعرف إلا به. ويزعمون أن الشَّيْمَاءُ سببت يوم حُنين فقالت: اعلّموا أيّ أخت نبيكم. فلما أتى بها عرفها فأغناها.

وكانت حليلة من بني سعد بن بكر.

قالت حليلة: خرجت على أتان لي قَمَرَاءُ قد أَدَمَّتْ بِالرَّكَبِ.

قالت؛ وخرجنا في سنة شهباء لم تُثَبِّقْ شَيْئاً، أنا وزوجي الحارث بن عبد العزّى.

قالت: ومعنا شارف لنا، والله إنْ تبَضُّ بقطرة لبن، ومعني صبي لنا والله ما ننام ليلنا من بكائه، ما في

ثديي لبن يُغْنِيهِ، ولا في شارفنا من لبن يغذيه، إلا أنا نرجو الفرج.

فلما قدمنا مكة لم تُثَبِّقْ منا امرأة إلا عُرِضَ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نرضع له من أبي المولود، وكان يتيماً صلى الله عليه وسلم، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه فكنا نأبى.

حتى لم يبق من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فقلت أرجع ولم آخذ أحداً فكرهت ذلك، وقد أخذ صواحيبي، فقلت لزوجي: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه.

قالت: فأتيته فأخذته، ثم رجعت به إلى رحلي، فقال لي زوجي: قد أخذتيه؟ قلت: نعم. وذاك أفي لم أجد غيره. قال: قد أصبت عسى الله أن يجعل فيه خيراً.

قالت: والله ما هو إلا أن وضعته في حجري فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام زوجي الحارث إلى شارفنا من الليل فإذا هي تَجَاءُ فحلب علينا ما شئنا فشرب حتى روي وشربت حتى رويت.

قالت: فمكثنا بخير ليلة شباعاً رواء. فقال زوجي: والله يا حليلة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، قد نام صبياننا وقد روينا.

قالت: ثم خرجنا، فوالله لقد خرجت أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث كفي علينا النصب، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله. فيقولون: إن لها لشأنا.

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر.



قالت: فقدمننا على أجذب أرض الله. قالت: فوالذي نفس حليلة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا وأسرح راعي غنمتي، وتروح غنمي حُقلاً بطاناً، وتروح أغنامهم جِيعاً هلاكاً، ما بها من لبن لشربة، فنشرب ما شئنا من لبن، وما من الحاضر من أحد يخلب قطرة ولا يجدها. قالت: فيقولون لرعاقم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليلة. فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه، وتروح غنمهم جِيعاً ما بها من لبن، وتروح غنمي حُقلاً لبناً.

قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة. قالت: فبلغ سنتين وهو غلام جفر. قالت: فقدمننا به على أمه فقلت لها وقال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به، فإننا نخاف عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضن شيء به لما رأينا من بركته صلى الله عليه وسلم.

فلم نزل بها حتى قالت ارجعي به.

قالت: فمكث عندنا شهرين.

قالت: فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت إذ جاء أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي، فقد جاءه رجلان فأضجعا فشقا بطنه. قالت: فخرجت وخرج أبوه نشد نحوه، فانتبهنا إليه وهو نائم متقع لونه، فاعتقه واعتقه، وقال: ما لك يا بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فوالله ما أدري ما صنعوا. قالت: فاحتملناه فرجعنا به. قالت يقول زوجي: يا حليلة والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب. فانطلقني فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه.

63/1

---

قالت: فرجعنا به إلى أمه: قالت ما ردكما به؟ فقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا: لا والله، إلا أنا قد كفلهنا وأدبنا الذي علينا من الحق فيه، وتخوفنا عليه الأحداث، فقلنا يكون عند أمه. قالت: والله ما ذاك بكمما، فأخبراني خبركما وخبره. قالت: فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره. قالت: أتخافين عليه؟ لا والله إن لابني هذا شأنًا. ألا أخبركما عنه؟

إني لما حملت به، فلم أحمل حملاً قط هو أخف منه ولا أعظم بركة منه. ولقد وضعته فلم يقع كما تقع الصبيان، لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعاً رأسه إلى السماء. دعاه وألقا بشأنكما.

الباب التاسع والعشرون

في ذكر شرح صدره في صغره صلى الله عليه وسلم  
قال محمد بن سعد:

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حليلة أربع سنين، وكان يعدو مع أخيه وأخته في البهم قريباً من الحي، فأتاه ملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقه سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب، ثم وزن بألف من أمته فوزهم.  
ثم قال أحدهما للآخر: دعه، فلو وزنته بأمته كلها لرجحها.

وجاء أخوه يصيح: يا أماه أدركي أخي القرشي. فخرجت أمه تعدو ومعها أبوه، فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتقع اللون، فذهبت به إلى آمنة بنت وهب فأخبرتها خبره وقالت: إنا لا نرده إلا على جدع أنفنا.

ثم رجعت به أيضاً، فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً. ثم رأت غمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، فأفرعها ذلك من أمره، فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين.  
وروي أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف أول شأنك يا رسول الله؟  
قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً، فقلت: يا أخي اذهب فأتنا براد من عند أمنا. فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم.

64/1

فأقبلا يتدبران فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاها فأخرجتا علقتي سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: أيتني بماء ثلج. فغسلا به جوفي، ثم قال: أيتني بماء برد. فغسلا به قلبي. ثم قال: أيتني بالسكينة. فذرأها في قلبي. ثم قال أحدهما لصاحبه: خطئه. فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة. وقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة. فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقني أشفق أن يختر علي بعضهم. فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم.  
ثم انطلقا وتركاني وقد فرقت فرقا شديداً، ثم انطلقت إلى أمي، فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت على أن يكون التيس بي. فقالت: أعيذك بالله. فحملتني على الرحل وركبت خلفي، حتى بلغت إلى أمي فقالت: أديت أمانتي ودمتي وحدثها بالذي لقيت.

فلم يرعها ذلك وقالت: إني رأيت حين خرج مني نوراً أضاءت منه قصور الشام.  
عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه وشق عن قلبه فاستخرج القلب، ثم شق القلب فاستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك. فغسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه.

وجاء الغلماء يسعون إلى أمه ————— يعني ظئره ————— فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم.  
عن شداد بن أوس قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بني عامر فقال: يا محمد أنبئي ببدء شأنك.

65/1

قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخى عيسى ابن مريم، وذلك أن أمي لما وضعتني كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلي في بطن وادٍ مع أثراب لي من الصبيان، إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلجاً، فأخذني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام؟ فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، فإن كنتم لا بد قاتليه فاختاروا منا أينما شئتم فاقتلوه». «فعمد أحدهم فأضجعني، ثم شق صدري ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها. ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنح. فتحنى عني، ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصده ثم أخرج من مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده منه كأنه يتناول شيئاً، فإذا أنا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه. فحتم به قلبي فامتلاً نوراً، ثم أعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهنراً. ثم قال الثالث: تنح. فأمر يده من مفرق صدري إلى منتهى عاني، فالتأم ذلك الشق ياذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إفاضاً لطيفاً. ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا ما بين رأسي وبين عيني وقالوا: يا حبيب الله لم تُزع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك».

66/1

قال: «فبينما نحن كذلك إذا أنا بالحي قد جاؤوا بخدافيرهم، وإذا أمي، وهي ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها: يا ضعيفاه، يا حبداه يا سماه».

«فأكبوا علي فقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا: حبدًا أنت من ضعيف. ثم قالت ظئري: أمستضعف أنت من بين أصحابك فقتلت لصعفك. ثم ضممتني إلى صدرها». «فوالذي نفسي بيده إني لفي حجرها وإن يدي لفي يد بعضهم، وظننت أن القوم يبصرونهم فإذا هم

لا يُصرون» .

«فقال بعضُ القوم: إنَّ هذا الغلامَ بهِ لَمَمٌ أو طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ» .

«فَدَهَبُوا بِى إِلَى الْكَاهِنِ فَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتِي، فَقَالَ: اسْكُتُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغُلَامِ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ» .

«فَسَأَلَنِي فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي، فَوَثَبَ إِلَيَّ فَضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا لِلْعَرَبِ اقْتُلُوا هَذَا الْغُلَامَ وَأَقْتُلُونِي مَعَهُ، فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى إِنْ تَرَكْتُمُوهُ وَأَدْرَكَ كَيْدَلَنَ دِينَكُمْ» .  
«ثُمَّ احْتَمَلُونِي. فَهَذَا بَدْءُ شَأْنِي» .

وقال زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما قامت سوقُ عكاظ انطلقت حليلة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَّافٍ مِنْ هُذَيْلٍ يَرِيهِ النَّاسُ صِبْيَانَهُمْ.

فلما نظر إليه صاح وقال: يا معشر هذيل يا معشر العرب.

فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال: اقتلوا هذا الصبي.

وانسلت به حليلة.

فجعل الناس يقولون أي صبي؟ فيقول: هذا الصبي. فلا يرون شيئاً. قد انطلقت به أمه. فيقال له ما هو؟ فيقول: رأيت غلاماً، وآلته، ليقتلن أهل دينكم، وليكسرن آهتكم، وليظهرون أمره عليكم. فطلب بعكاظ فلم يوجد.

67/1

قال محمد بن عمر: وجعل الشيخ الهذلي يصيح: يا هذيل، وآلته، إن هذا لينتظر أمراً من السماء.

وجعل يُغري بالنبي صلى الله عليه وسلم. فلم ينشب أن وله وذهب عقله، حتى مات كافراً.

عن ابن عباس قال: خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته مع أخته، فقالت أبني ما هذا الحر الذي أنت فيه؟ فقالت أخته: يا أماه ما وجد أخي حرّاً، رأيت غمامة تظل عليه، فإذا وقف وقفت، وإذا سار سارت معه حتى انتهى إلى هذا الموضع.

وقد روي أن حليلة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقد زوّج خديجة، فشكت إليه جَذَبَ الْبِلَادِ وَهَلَكَ الْمَاشِيَةِ.

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فيها فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً موقِعاً لِلظَّعِينَةِ. فانصرفت إلى أهلها.

ثم قدمت عليه بعد الإسلام فأسلمت هي وزوجها وبايعا.

عن محمد بن المنكدر قال: استأذنت امرأةً على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أرضعته، فلما دخلت عليه قال: أمي أمي. وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه.

وقد روي أنها جاءت إلى أبي بكر بعده فأكرمها وإلى عمر ففعل مثل ذلك.  
وقد روي أنه أعيد شرح صدره بعد أن تم له عشر سنين.  
عن أبي بن كعب: كان أبو هريرة جريئاً على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟  
فاستوى جالساً وقال: «لَقَدْ سَأَلْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» .

»

68/1

إِنِّي لَفِي صَحْرَاءَ ابْنُ عَشْرٍ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا بَكْلَامٌ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهْوَ هُوَ؟ فَاسْتَقْبَلَانِي بِوُجُوهٍ مَا رَأَيْتُهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَأَقْبَلَا إِلَيَّ يَمَشِيَانِ حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَعْضِي لَا أَجِدُ لَأَخِذَهُمَا مَسًّا. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اضْجَعُهُ. فَأَضْجَعَانِي بِلَا قَصْرِ وَلَا هَضَرٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَفْلُقْ صَدْرَهُ. فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي فَفَلَقَهُ فِيمَا أَرَى بِلَا دَمٍ وَلَا وَجَعٍ فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ. فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ. ثُمَّ بَدَّهَا فَطَرَحَهَا. فَقَالَ لَهُ: ادْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ. فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ شِبْهَ الْفِصَّةِ. ثُمَّ هَزَّ إِنْهَامَ رَجُلِي الْيَمْنَى فَقَالَ: اْعُدْ وَسَلِّمْ. فَرَجَعْتُ بَمَا اْعَدُّوا رَأْفَةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ» .

#### الباب الثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين من مولده صلى الله عليه وسلم  
عن كعب قال: قالت حليلة: ركبنا أتابي وحملة محمد بن أبي أسير به، حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكة وعليه جماعة مجتمعة، فوضعتة لأقضي حاجة وأصلح شأني، فسمعت هدة شديدة، فالتفت فلم أره فقلت: معاشر الناس أين الصبي؟

قالوا: أي الصبيان؟

قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي نصر الله به وجهي وأشبع جوعي، ربيته حتى إذا أدركت سروري أتيت به لأرده إلى أمه وأخرج من أمانتي، اختلس من بين يدي، واللات والغزى لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهق هذا الجبل.

قالوا: ما رأينا شيئاً.

فلما أياسوني وضعت يدي على رأسي وقلت: وامحمداه واولداه. فأبكيك الجواري الأبكار لبكائي، وضح الناس معي بالبكاء.

فأتيت عبد المطلب فأخبرته فسل سيفه ونادى: يا آل غالب. وكانت دعوتهم في الجاهلية. فأجابته قريش.

69/1

فقال: فقد ابني محمد.

فقالوا قريش: اركب نركب معك، فلو خضت بحراً خضناه معك. فركب وركبوا فأخذ على أعلا مكة وانحدر على أسفلها، فلم ير شيئاً، فترك الناس وأقبل إلى البيت الحرام، فطاف أسبوعاً ثم أنشأ يقول:

يا ربَّ رُدِّ راكبي محمدا

رُدِّه لي واتخذ عندي يداً

فسمعوا منادياً ينادي في الهواء يقول: معاشر الناس لا تضجوا، إن لُحمد ربّاً لا يضيعه. قال عبد المطلب: أيها الهاتف ومن لنا به وأين هو؟ قال: هو بوادي قمامة، عند شجرة اليمن.

فمضى عبد المطلب، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب الأغصان ويعبث بالورق، فحمّله إلى مكة وجهاز حليلة أحسن الجهاز.

وفي رواية أخرى أن حليلة لما قدمت به ضاع في الناس، فأخبرت عبد المطلب فأتى الكعبة فقال:

لا همَّ رد راكبي محمدا

رده رب واتخذ عندي يدا

أنت الذي جعلته لي عضداً

وفي رواية أن عبد المطلب بعث به في حاجة فقال هذا.

عن أبي حازم قال: قدم كاهن مكة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس سنين، وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب فقال: يا معشر قريش اقتلوا هذا الفتى فإنه يفرّقكم ويقتلكم. فهرب به عبد المطلب.

ولم تزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن حذرهم.

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر وفاة أمه آمنة

عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فترلت به دار النابغة، فأقامت به عندهم شهراً.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك.

1 لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار بالمدينة عرفه فقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذه الآطام، وكنت مع غلمان من أخوالي نظير طائراً كان عليه يقع.

70/1

ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أُمِّي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن المطلب، وأحسنْتُ العوم في بئر بني عدي بن النجار.

1 وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه. قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته. فوعيت ذلك.

ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب، فقبرها هناك. فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه.

1 فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عُمره الحديبية بالأبواء قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ». فأثابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، ف قيل له، فقال: «أَذْرَكْنِي رَحْمَةً رَحِمْتُهَا فَبَكَيْتُ» .

عن أبي مرثد قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذم قبر فجلس إليه وجلس الناس حوله، فوقف كهينة المخاطب، ثم قام وهو يبكي فاستقبله عمر وكان من أجراً الناس عليه، فقال: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: «هَذَا قَبْرُ أُمِّي، سَأَلْتُ رَبِّي الزِّيَارَةَ فَأَذِنَ لِي، وَسَأَلْتُهُ الْاسْتِغْفَارَ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَذَكَرْتُهَا فَوَقَفْتُ فَبَكَيْتُ» . فلم يُر يوم كان أكثر باكياً من يومئذ.

قال ابن سعد: هذا غلط، ليس قبرها بمكة إنما قبرها بالأبواء.

عن أبي هريرة قال: زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَأَذَنْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأَذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ» . انفرد بإخراجه مسلم.

عن أبي بُريدة عن أبيه قال: أتيت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف على عسفان فنظر يميناً وشمالاً، وأبصر قبر أمه، فورد الماء، فتوضأ ثم صلى ركعتين، فلم يفجأنا إلا ببكائه.

71/1

فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
ثم انصرف إلينا فقال: «مَا الَّذِي أَبْكَأَكُمْ؟» قالوا: بكيت فبكينا يا رسول الله.  
قال: «وَمَا ظَنَنْتُمْ؟» .

قالوا: ظننا أن العذاب نازل علينا.

قال: «لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ» .

فقالوا: فظننا أن أمتك كلّفت من الأعمال ما لا تطيق.

قال: «لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرِ أُمِّي، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَأَذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَتُهِتُ، فَبَكَيْتُ؛ ثُمَّ عُدْتُ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَأَذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَزَجَرْتُ زَجْرًا، فَعَلَا بُكَائِي» .

ثم دعا براحلته فركبها، فما سار إلا هُنَيْةً حتى قامت الراحلة بثقل الوحي؛ فأنزل الله تعالى:  
{س9ش113 مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا  
تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} التوبة: 113

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَشْهَدُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ آمَنَةٍ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ» .  
عن الحسن بن جابر، وكان من الخجورين بمكة قال: رُفِعَ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنْ السَّيْلَ يَدْخُلُ قَبْرَ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ  
صلى الله عليه وسلم. لموضع معروف هناك، فأمر المأمون بإحكامه.  
قال ابن البراء: قد وصف لي وأنا بمكة وضعه.  
فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ثم حملت إلى مكة فدفنت بها.

## الباب الثاني والثلاثون

في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه آمنة

عن نافع بن جبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب، فلما  
توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورقاً عليه رقعة لم يرقها على ولده، وكان يقربه ويُدنيه  
ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني  
إنه ليؤتين ملكاً.

72/1

---

1 وقال قوم من بني مُدَلَج لعبد المطلب: احتفظ به، فإننا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال  
عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به.



1 وقال عبد المطلب لأُم أيمن، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة.

1 وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ يا بني. فيؤتى به إليه.

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته. عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: كان لعبد المطلب مفروش في الحجر لا يجلس عليه غيره، وكان حرب بن أمية فَمَنْ دونه يجلسون حوله دون المفروش، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهو غلام لم يبلغ، فجلس على المفروش فجذبه رجل، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب، وذلك ما بعد كُفٍّ بصره: ما لابني يبكي؟ قالوا له: أراد أن يجلس على المفروش فمنعوه. فقال عبد المطلب: دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحسُّ من نفسه شرفاً، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربيُّ قبله ولا بعده.

### الباب الثالث والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون عند منام رقيقة عن رقيقة، وهي لدة عبد المطلب قالت: تابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم.

73/1

فَبَيْنَا أنا نائمة أو مهومة إذا هاتف يصرخ بصوت صَحْل يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه، وهذا إِبَّانٌ نجومه فحيهاً بالحيا والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظاماً جسماً، أبيض بَصّاً أو طف الأهداب، سهل الخدين، أشمَّ العرنيين له فخر يكظم عليه، وسنة تُهدى إليه، فليخلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطن رجل، فليستئوا من الماء وليمسؤا من الطيب، ثم يستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قُيس، فليستسق الرجل وليؤمن من القوم، فغُتْم ما شئتم. فأصبحتُ علم الله مذعورة قد اقشعر جلدي وولَّه عقلي، واقتصصت رؤياي، فوالحرمة والحرم ما بقي بها أبطحي إلا قال: هذا شئبة الحمد.

فتأمّنت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل، فسنوا ومسؤا واستلموا، ثم ارتقوا أبا قُيس، وطبقوا جانيه ما يبلغ سعيهم مُهْلَةً، حتى إذا استنوا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام قد أيفع أو كُرب، فقال: اللهم سادَّ الحلة وكاشف الكربة أنت معلّم غير معلّم، ومسؤول غير مُبخل، وهؤلاء عبادك وإماؤك بعدرات حرمك يشكون إليك سنتهم، أذهب الخفّ والظلف، اللهم فأمطرنا غيثاً مُغدقاً ممرعاً.

فوالكعبة ما راحوا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بشجيجه، فلمسمعت شيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة، يقولون لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا

البطحاء. أي عاش بك أهل البطحاء.

وفي ذلك تقول رقيقة:

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا

لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالماء جويّ له سبل

سحاً فعاشت به الأنعام والشجر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به

ما في الأنام له عدل ولا خطر

منا من الله بالميمون طائره

وخير من بشرت يوماً به مضر

الباب الرابع والثلاثون

74/1

في ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن بالملكوتشير سيف عبد المطلب بأنه سيظهر

رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله

عن ابن الكلبي قال: لما ملك سيف بن ذي يزن أرض اليمن وقتل الحيش وأبادهم وفدت إليه أشراف

العرب ورؤساؤهم ليهنئوه بما ساق الله من الظفر.

ووفد وفد قريش، وكانوا خمسة من عظمائهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله

بن جُدعان، وخويلد بن أسيد، ووهب بن عبد مناف بن زهرة.

فساروا حتى وافوا مدينة صنعاء، وسيف بن ذي يزن نازل بقصر يقال له غُمَدان، وكان أحد القصور

التي بنتها الشياطين لبليّيس بأمر سليمان، فأناخ عبد المطلب وأصحابه واستأذنوا على سيف فأذن لهم.

فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب، وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب، وهو

متضمخ بالعنبر وبصيص المسك يلوح من مفرقه، فحيّوه بتحية الملك، ووضعت لهم كراسي الذهب

فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام مائلاً بين يديه واستأذنه في الكلام.

فقال له: إن كنت ممن تتكلم بين يدي الملوك فتكلم.

فقال: أيها الملك إن الله قد أحلك مَجَلاً رَفِيعاً شامِخاً منيعاً، وأبّيتك منبتاً طابت أرومته وعزّت

جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه، في أطيب مغرس وأعذب منبت، فأنت أيها الملك ربيع العرب

الذي إليه ملاذها، ووردها الذي إليه معادها، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، ولن

يهلك الله من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه.

نحن أيها الملك أهل حَرَمِ الله وسدنة بيت الله، أوفدنا إليك الذي أبهَجنا مِن كَشَفِ الضر الذي فَدَحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد الترتئة.

فقال سيف: أنتم قريش الأباطح؟

قالوا: نعم.

قال: مرحباً وأهلاً وناقةً ورحلاً ومُنَاخاً سهلاً، وملكاً سَمَحَلاً يعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقالنكم وعرف فضلكم، فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد، فلکم الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم.

75/1

ثم قال لعبد المطلب: أيهم أنت؟

قال: أنا عبدُ المطلب بن هاشم.

قال: إياك أردت ولك حشدت، فأنت ربيع الأنام وسيد الأقسام، انطلقوا وانزلوا حتى أدعو بكم.

ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم.

فأقاموا شهراً لا يدعوههم، حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب: ايتني وحدك من بين أصحابك.

فأتاه فوجده مستخلياً لا أحدَ عنده، فقرَّبَه حتى أجلسه معه على سريره، ثم قال: يا عبد المطلب إني أريد أن ألقى إليك من علمي سرّاً لو غيرك يكون لم أبخ به إليه، غير أنني رأيتك معدنه، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله فيه بأمره، فإن الله منجز وعده وبالعُ أمره.

قال عبد المطلب: أرشدك الله أيها الملك.

قال سيف: إني أجد في الكتب الصادقة والعلوم السابقة التي اختزنّاها لأنفسنا، وسترناها عن غيرنا خيراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفخر الممات، للعرب عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته أن يزيدي من سروره إياي سروراً.

فقال سيف: نبي يبعث من عقبك، ورسولٌ من قرنك، اسمه أحمد ومحمد وهذا زمانه الذي يولد فيه أو لعله قد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه قد ولدناه مراراً والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، تحمد عند مولده النيران، ويعبد الواحد المنان ويزجر الكفر والطغيان، ويكسر اللات والأوثان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: علا كعبك ودام فضلك وطال عمرك، فهل الملك سارّي بإفصاح وتفسير وإيضاح؟

قال سيف: والبيت ذي الحُجُب، والآيات والكتب، إنك يا عبد المطلب لجُدُّه غير كذب.  
فخرَّ عبد المطلب ساجداً.

قال سيف: ارفع رأسك، ثلج صدرك وطال عمرك، وعلا أمرك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت  
لك؟

76/1

قال عبد المطلب: نعم أيها الملك، كان لي ابن كنت به معجباً، فزوّجته كريمة من كرائم قومي يقال لها  
آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سمّيته محمداً وأحمد، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.  
قال: هو هو الله أبوك، فاحذر عليه أعداءه، وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً، ولولا علمي بأن الموت  
محتاجي قبل ظهوره لسرّته إليه بخيلي ورجلي حتى أجعل مدينة يشرب دار ملكي، فإني أجد في كتب  
آبائي أن يشرب استتباب أمره، وهم أهل دعوته ونصرته، وفيها موضع قبره، ولولا ما أجد من بلوغه  
الغايات وأن آفيه الآفات وأن أدفع عنه العاهات، لأظهرت اسمه وأوطأت العرب عقبيه، وإن أعش  
فسأصرف ذلك إليه. قم فانصرف بمن معك من أصحابك. ثم أمر لكل رجل منهم بمائتي بعير وعشرة  
أعبد من الحبش وعشرة أوطال من الذهب وحلتين من البرود. وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر  
لهم، وقال له: يا عبد المطلب إذا شبَّ محمد وترعرع فاقدّم عليّ بخبره. ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة.

فكان عبد المطلب يقول: لا تغطوني بكرامة الملك إياي دونكم وإن كان ذلك جزيلاً وفضل إحسانه  
إليّ وإن كان كثيراً، اغبطوني بأمر ألقاه إليّ من شرفٍ لي ولعقبِي من بعدي. فكانوا يقولون له: ما هو؟  
فيقول: ستعرفونه بعد حين.

فمكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال، وإنه ركب يوماً كنعاناً ما كان يركب للصيد وقد كان قد  
اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه بحراهم، فعطفوا عليه يوماً فقتلوه وبلغ كسرى أنوشروان فرد  
إليهم هُرمز وأمره أن لا يدع أسوداً إلا قتله.

عن ابن عباس قال: لما ظهر ابن ذي يزن على الحبشة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتت وفود  
العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه، فأتاه فيمن أتاه وفد من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن  
عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد في ناس من وفود قريش، فقدموا عليه صنعاء، فإذا  
هو في رأس غمدان الذي ذكره أمّية بن أبي الصلت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً

77/1

---

في رأس عُمدان داراً منك محلاً

فدخل عليه الإذن فأخبره بمكانهم، فأذن لهم.

فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك.  
فقال: إن الله أحلك أيها الملك محلاً ربيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنتك منبتاً طابت أرومته وعزّت  
جرثومته، وثبت أصله ويسق فرعه، في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنت ملك العرب وربيعها الذي  
يخصب، وأمير العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد ومَعقلها الذي تلجأ إليه العباد،  
سلفك لك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يحمل من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت  
خلفه. نحن أيها الملك أهل حرم الله عز وجل وسَدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أهبنا من كشفك  
الكرْب الذي فدَحنا، فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟

قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أختنا؟ يعني الأنصار.

قال: نعم.

قال: أدنه. فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً، وناقّة ورحلاً، ومستباحاً سهلاً، وملكاً  
سَمَحاً يعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الليل  
والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم والحياء إذا ظعنتم.  
ثم نهضوا إلى دار الضيافة والرغد، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثم انتبه لهم  
انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه وقال: يا عبد المطلب إني مفوّض إليك من سرّ  
علمي ما لو لم يكن غيرك لم أبحّ به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطوياً حتى  
يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره، فإني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اختزنه لأنفسنا  
واحتجناه دون غيرنا خيراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة،  
ولرهلك كافة، ولك خاصة.

قال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سرّ وبرّ فما هو؟ فدا لك أهل الوبر زُمرّاً بعد زُمر.

78/1

---

قال: إذا ولد مولود بتهامة، غلام بين كنفه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.  
فقال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه

لسألت من سارّه إياي ما أزداد به سروراً.

قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مراراً والله باعته جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عَرَضٍ ويمسح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان، ويحمد النيران ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فَصَّلَ وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويطلبه.

قال عبد المطلب: عز جدك وعلا كعبك ودام مُلكك وطال عُمرُك فهل الملك سارّي يافصح فقد أوضح لي بعض الإيضاح؟

قال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد المطلب لجُدّه غير كذب. فخرّ عبد المطلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسك ثُلج صدرُك وعلا أمرُك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك؟

قال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب، فولدت غلاماً فسميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه.

79/1

قال ابن ذي يزن: إن الذي قلتُ لك كما قلتُ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة؛ فيطلبون لك الغوائل وينصبون لك الحبال، وهم فاعلون أو أبناءهم، ولولا أعلم أن الموت محتاحي قبل مُبعثه لسرتُ بخيلي ورحلي حتى أصير يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبيه، ولكني سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك. وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل، وحلتين من البرود، وخمسة أرتال ذهباً وعشرة أرتال فضة وكرش مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال: إذا جاء الحول فائتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني أحد بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطني مما يَبْقَى لي ولعقبِي من بعدي ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل: ومتى ذلك؟ قال: سيعلم ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جَلَبْنَا النصحَ تَحْقُبُهُ المطايا

على أكوار أجمال وتوق  
مغلغلة مَرَّابُهَا ثَقَالاً  
إلى صنعاء من فج عميق  
نؤم بنا ابن ذي يزن وتقرى  
ذوات بطونها أم الطريق  
فلما وافقت صنعاء حلت  
بدار الملك والحسب العريق

#### الباب الثاني والثلاثون

في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه آمنة

80/1

عن نافع بن جبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورقاً عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه ويُدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤتين ملكاً.

1 وقال قوم من بني مُدْج لعبد المطلب: احتفظ به، فإننا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به.

1 وقال عبد المطلب لأُم أيمن، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة.

1 وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ يا بني. فيؤتى به إليه.

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته. عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: كان لعبد المطلب مفروش في الحجر لا يجلس عليه غيره، وكان حرب بن أمية فَمَنْ دونه يجلسون حوله دون المفروش، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهو غلام لم يبلغ، فجلس على المفروش فجذبه رجل، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب، وذلك ما بعد كُفَّ بصره: ما لابني يبكي؟ قالوا له: أراد أن يجلس على المفروش فمنعوه. فقال عبد المطلب: دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحسُّ من نفسه شرفاً، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عرِّي قبله ولا بعده.

#### الباب الثالث والثلاثون

في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون عند منام رقيقة  
عن رقيقة، وهي لدة عبد المطلب قالت: تابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم.

81/1

فَبَيْنَا أَنَا نَائِمَةٌ أَوْ مَهُومَةٌ إِذَا هَاتِفٌ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ صَحْلٍ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ  
فِيكُمْ قَدْ أَظْلَكَكُمْ أَيَّامَهُ، وَهَذَا إِبْرَانُ نَجُومِهِ فَحِيهَلًا بِأَحْيَا وَالْخَصْبِ، أَلَا فَانْظُرُوا رِجَالًا مِنْكُمْ وَسِيطًا  
عِظَامًا جَسَامًا، أَيْبُضَ بَضًّا أَوْ طَفَّ الْأَهْدَابِ، سَهْلَ الْخَدَيْنِ، أَشَمَّ الْعَرَيْنِ لَهُ فَخْرٌ يَكْظُمُ عَلَيْهِ، وَسُنَّةٌ  
تُهْدَى إِلَيْهِ، فَلْيَخْلُصْ هُوَ وَوَلَدُهُ، وَلِيَهْطَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَلْيَسْتَنْوُا مِنَ الْمَاءِ وَلْيَمْسُوا مِنَ  
الطَّيْبِ، ثُمَّ يَسْتَلِمُوا الرُّكْنَ ثُمَّ لِيَرْتَقُوا أَبَا قُبَيْسٍ، فَلْيَسْتَسْقِ الرِّجْلَ وَلْيُؤْمِنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ، فَغَنِمْتُمْ مَا شِئْتُمْ.  
فَأَصْبَحْتُ عَلَّمَ اللَّهُ مَذْعُورَةً قَدْ اقْشَعَرَ جِلْدُنِي وَوَلَّهُ عَقْلِي، وَاقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ مَا بَقِيَ  
بِهَا أَبْطَحِي إِلَّا قَالَ: هَذَا شَيْبَةُ الْحَمْدِ.

فَتَنَامَتْ إِلَيْهِ رَجَالَاتُ قَرِيشَ، وَهَبَطَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَسَنُوا وَمَسُّوا وَاسْتَلَمُوا، ثُمَّ ارْتَقُوا أَبَا  
قُبَيْسٍ، وَطَبَقُوا جَانِبِيهِ مَا يَبْلُغُ سَعِيهِمْ مُهْلَةً، حَتَّى إِذَا اسْتَوُوا بِذِرْوَةِ الْجَبَلِ قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ غَلَامٌ قَدْ أَفْعَ أَوْ كَرَبٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ  
مُعَلِّمٌ غَيْرُ مُعَلِّمٍ، وَمَسْئُولٌ غَيْرُ مُبْخَلٍّ، وَهَوْلَاءُ عِبَادِكَ وَإِمَاؤُكَ بُعْدَرَاتُ حَرَمِكَ يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَنَتَهُمْ،  
أَذْهَبْتَ الْخُفَّ وَالظَّلْفَ، اللَّهُمَّ فَأَمْطِرْنَا غَيْثًا مُغْدِقًا مُرْعَاً.

فَوَالْكَعْبَةِ مَا رَاحُوا حَتَّى تَفْجَرْتَ السَّمَاءَ بِمَائِهَا وَاکْتَضَ الْوَادِي بِشَجِيحِهِ، فَلَسَمِعْتُ شَيْخَانَ قَرِيشَ  
وَجَلَسَتْهَا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ، وَحَرْبُ بْنُ أُمِيَّةَ، وَهَشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، يَقُولُونَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ: هَنِيئًا لَكَ أَبَا  
الْبَطْحَاءِ. أَيُّ عَاشَ بِكَ أَهْلُ الْبَطْحَاءِ.

وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ رَقِيقَةُ:

بَشِيبَةَ الْحَمْدِ أَسْقَى اللَّهُ بِلَدَّتِنَا

لَمَّا فَقَدْنَا الْحَيَا وَاجْلَوَدَ الْمَطْرُ

فَجَادَ بِالْمَاءِ جَوْنِيَّ لَهُ سَبِيلُ

سَحًّا فَعَاشَتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ

مُبَارَكُ الْأَمْرِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ

مَا فِي الْأَنْامِ لَهُ عِدْلٌ وَلَا خَطَرُ

مَنْ مَنَّا مِنَ اللَّهِ بِالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ

وَخَيْرٌ مِنْ بَشَرَتِ يَوْمًا بِهِ مُضَرُّ

الباب الرابع والثلاثون



في ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن بالملكوت بشير سيف عبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله عن ابن الكلبي قال: لما ملك سيف بن ذي يزن أرض اليمن وقتل الحبش وأبادهم وفدت إليه أشراف العرب ورؤسائهم ليهنئوه بما ساق الله من الظفر. ووفد وفد قريش، وكانوا خمسة من عظمائهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدعان، وخُوَيْلِد بن أُسَيْد، ووهب بن عبد مناف بن زهرة. فساروا حتى وافوا مدينة صنعاء، وسيف بن ذي يزن نازل بقصر يقال له غُمْدان، وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبليقيس بأمر سليمان، فأناخ عبد المطلب وأصحابه واستأذنوا على سيف فأذن لهم فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب، وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب، وهو متضمخ بالعنبر وبصيض المسك يلوح من مفرقه، فحيّوه بتحية الملك، ووضعت لهم كراسي الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام مائلاً بين يديه واستأذنه في الكلام. فقبل له: إن كنت ممن تتكلم بين يدي الملوك فتكلم. فقال: أيها الملك إن الله قد أحلك محلاً رفيعاً شامخاً منيعاً، وأثبتك منبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه، في أطيب مغرس وأعذب منبت، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي إليه ملاذها، ووردها الذي إليه معادها، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، ولن يهلك الله من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه. نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيت الله، أوفدنا إليك الذي أبهجنّا من كشف الضر الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد التزئة. فقال سيف: أنتم قريش الأباطح؟ قالوا: نعم. قال: مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً ومناخاً سهلاً، وملكاً سمحلاً يعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقاتلكم وعرف فضلكم، فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد، فلکم الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم.

ثم قال لعبد المطلب: أيهم أنت؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: إياك أردت ولك حشدت، فأنت ربيع الأنام وسيد الأقوام، انطلقوا وانزلوا حتى أدعو بكم.  
ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم.

فأقاموا شهراً لا يدعوههم، حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب: ايتني وحدك من بين أصحابك.

فأتاه فوجده مستخلياً لا أحد عنده، فقرّبه حتى أجلسه معه على سريره، ثم قال: يا عبد المطلب إني أريد أن ألقى إليك من علمي سرّاً لو غيرك يكون لم أبح به إليه، غير أنني رأيتك معدنه، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله فيه بأمره، فإن الله منجز وعده وبالع أمره.

قال عبد المطلب: أرشدك الله أيها الملك.

قال سيف: إني أجد في الكتب الصادقة والعلوم السابقة التي اختزناها لأنفسنا، وسترناها عن غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفخر الممات، للعرب عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته أن يزيدني من سروره إياي سروراً.

فقال سيف: نبي يبعث من عقبك، ورسول من قرنك، اسمه أحمد ومحمد وهذا زمانه الذي يولد فيه أو لعله قد ولد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه قد ولدناه مراراً والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، تحمد عند مولده النيران، ويعبد الواحد المنان ويزجر الكفر والطغيان، ويكسر اللات والأوثان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: علا كعبك ودام فضلك وطال عمرك، فهل الملك سارّي بإفصاح وتفسير وإيضاح؟  
قال سيف: والبيت ذي الحُجُب، والآيات والكتب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب.  
فخبر عبد المطلب ساجداً.

قال سيف: ارفع رأسك، ثلج صدرك وطال عمرك، وعلا أمرك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك؟

84/1

---

قال عبد المطلب: نعم أيها الملك، كان لي ابن كنت به معجباً، فزوجته كريمة من كرائم قومي يقال لها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سمّيته محمداً وأحمد، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.  
قال: هو هو الله أبوك، فاحذر عليه أعداءه، وإن الله لم يجعل لهم عليه سيلاً، ولولا علمي بأن الموت محتاجي قبل ظهوره لسرت إليه بخلي ورجلي حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكي، فإني أجد في كتب آبائي أن يثرب استتباب أمره، وهم أهل دعوته ونصرته، وفيها موضع قبره، ولولا ما أجد من بلوغه

الغايات وأن أقيه الآفات وأن أدفع عنه العاهات، لأظهرت اسمه وأوطأت العرب عقبه، وإن أعش فسأصرف ذلك إليه. قم فانصرف بمن معك من أصحابك. ثم أمر لكل رجل منهم بمائتي بغير وعشرة أعبد من الحبش وعشرة أوطال من الذهب وحلتين من البرود. وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم، وقال له: يا عبد المطلب إذا شبَّ محمد وترعرع فاقدّم عليّ بحبره. ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة.

فكان عبد المطلب يقول: لا تغبطوني بكرامة الملك إياي دونكم وإن كان ذلك جزيلاً وفضل إحسانه إليّ وإن كان كثيراً، اغبطوني بأمر ألقاه إليّ من شرفٍ لي ولعقبِي من بعدي. فكانوا يقولون له: ما هو؟ فيقول: ستعرفونه بعد حين.

فمكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال، وإنه ركب يوماً كنحو ما كان يركب للصيد وقد كان قد اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه بحراهم، فعطفوا عليه يوماً فقتلوه وبلغ كسرى أنوشروان فرد إليهم هُرمز وأمره أن لا يدع أسوداً إلا قتله.

عن ابن عباس قال: لما ظهر ابن ذي يزن على الحبشة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتت وفود العرب وشعراؤها تمنيه وتمدحه، فأتاه فيمن أتاه وفد من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد في ناس من وفود قريش، فقدموا عليه صنعاء، فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أمّية بن أبي الصلت:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً

85/1

في رأس غمدان داراً منك محلاً  
فدخل عليه الإذن فأخبره بمكانهم، فأذن لهم.  
فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك.  
فقال: إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه، في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنت ملك العرب وربيعها الذي يخصب، وأمير العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العمداء ومَعقلها الذي تلجأ إليه العباد، سلفك لك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يحمل من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه. نحن أيها الملك أهل حرم الله عز وجل وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أهبنا من كشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة.

قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟

قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أختنا؟ يعني الأنصار.

قال: نعم.

قال: أدنه. فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً، وناقاً ورحلاً، ومستاخاً سهلاً، وملكاً سَمَحاً يعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقاتلتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا طعنتم. ثم فمضوا إلى دار الضيافة والرغد، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه وقال: يا عبد المطلب إني مفوض إليك من سرِّ علمي ما لو لم يكن غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره، فإني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اختزنه لأنفسنا واحتجبهناه دون غيرنا خيراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

قال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سرٌّ وبرٌّ فما هو؟ فدا لك أهل الوبر زُمرًا بعد زُمر.

86/1

قال: إذا ولد مولود بتهامة، غلام بين كنفه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة. فقال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبتُ بخير ما آب به وافد، ولولا هيبته الملك وإجلاله وإعظامه لسألت من سارّه إياي ما أزداد به سروراً.

قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مراراً والله باعته جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عَرَض ويمسح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان، ويخمد النيران ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فَصْل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب: عز جدك وعلا كعبك ودام مُلكك وطال عُمرُك فهل الملك سارّي بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح؟

قال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب. فخرّ عبد المطلب ساجداً، فقال له: ارفع رأسك ثُلج صدرُك وعلا أمرُك، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك؟

قال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، زوجته كريمةٌ من كرائم قومي آمنة بنت وهب، فولدت غلاماً فسميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه.

قال ابن ذي يزن: إن الذي قلتُ لك كما قلتَ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سيلاً، واطو ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرهط الذين معك، فإنني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة؛ فيطلبون لك الغوائل ويتصبون لك الحبال، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورحلي حتى أصير يثرب دار ملكي، فإنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يشرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبيه، ولكني سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك. وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل، وحلتين من البرود، وخمسة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال: إذا جاء الحول فائتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني أحد بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نفاذ، ولكن ليغبطني مما يبقى لي ولعقب من بعدي ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل: ومتى ذلك؟ قال: سيعلم ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جَلَبْنَا النِّصْحَ تَحْقُوبُ المطايا

على أكوار أجمالٍ ونُوقٍ

مُغْلَغَلَةً مَرَابِعُهَا ثَقَالاً

إلى صنعاء من فج عميق

نَوْمُ بنا ابن ذي يزن وتقرى

ذوات بطونها أم الطريق

فلما وافقت صنعاء حلت

بدار الملك والحسب العريق

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر موت عبد المطلب

قالوا: لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته، وقال لبناته: ابكينني وأنا أسمع. فبكته كل واحدة منهن بشعر، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه

جعل يحرك رأسه: أي قد صدقت. وقد كنت لذلك وهو قولها:  
أعيني جودي بدمع دُرر

88/1

على طيّب الخيم والمُعْتَصِرُ  
على ماجد الجدّ واري الزنادِ  
جيل المُحِبِّا عظيم الخطر  
على شَيْبَةِ الحمد ذي المكرمات  
وذي الجند والعز والمفتخر  
وذي الجند والفضل في النائبات  
كثير المكارم جَم الفخرِ  
أنته المنايا فلم تُشَوِّه  
بَصْرُف الليالي وريب القدر

قال: ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. ويقال: ابن مائة وعشر سنين. ويقال: ابن مائة وعشرين سنة.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: «نَعَمْ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ» .

قالت: أم أيمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف سرير عبد المطلب يبكي.  
عن ابن جريج قال: كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله، وعلي بن عبد الله في الطواف خلفه، فتعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما.  
قال عطاء: وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا في المسجد الحرام طالعاً من جبل أبي قبيس إلا تذكرت وجه عبد الله بن عباس، ولقد رأيتنا جلوساً معه في الحجر إذا أتاه شيخ قديم بدوي من هذيل يعتمد على عصاه، فسأله عن مسألة فأجابته، فقال الشيخ لبعض من في المسجد: من هذا الفقي.

قالوا: هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

فقال الشيخ: سيحان الله، غير حسن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب إلى ما أرى.

قال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامة وأحسن الناس وجهاً، ما رآه أحد إلا أحبه، كان له مفرش في الحجر ما يجلس عليه غيره، ولا يجلس عليه أحد، وكان التَّدَوِي من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون دون الفرش، فجاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوماً وهو غلام لم يبلغ فجلس على الفرش، فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كفّ بصره: ما لابني يبكي؟ فقالوا: أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه.

89/1

فقال عبد المطلب: دعوا ابني يجلس عليه، فإنه يحسُّ من نفسه بشرف، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عري قبله ولا بعده.

قال: ومات عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثمان سنين، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي حتى دفن بالحجون.

قال: ودفن عبد المطلب بالحجون.

وإنما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب؛ لأن أبا طالب وعبد الله كانا أخوين لأم، وقد كان الزبير لأُمهما، غير أن في سبب تقديم أبي طالب ثلاثة أقوال: أحدها: وصية عبد المطلب إليه.

والثاني: أنهما اقترعا فخرجت القرعة لأبي طالب.

والثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره.

#### الباب السادس والثلاثون

في ذكر كفالة أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس قال: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه وكان أبو طالب لا مال له، إن كان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه وصبَّ به أبو طالب صباة لم يصبَّ مثلها بشيء قط، وقد كان يخصه بالطعام، وإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذيهم قال: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، وإذا لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب: إنك المبارك

وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعناً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحياً.

عن عمرو بن سعيد قال: كان أبو طالب يلقي له وسادة يقعد عليها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب: وآله ربيعة إن ابن أخي ليحس بنعيم.

عن عمرو بن سعيد أنا أبا طالب قال: كنت بذى الجاز ومعى ابن أخي، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت يا ابن أخي قد عطشت، وما قلت له وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع، قال: فثني وركه ثم نزل فقال: يا عم أعطشت؟ قال: قلت نعم. فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم فشربت.

#### الباب السابع والثلاثون

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى عن داود بن الحسين قال: لما خرج أبو طالب إلى الشام خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن اثني عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من الشام وبها راهب في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه.

فلما نزلوا بدير بحيرى وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا يزلونه قبل ذلك كلما مروا صنع لهم طعاماً ودعاهم، وإنما حملة على دعائهم أنه رآهم حين طلوعوا وغمامة تظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دون القوم حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة فاخضلت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى بحيرى ذلك نزل عن صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به، وأرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً حراً ولا عبداً، فإن هذا شيء تكرموني به. فقال له رجل: إن لك لشأناً يا بحيرى، ما كنت تصنع هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: إني أحب أن أكرمكم ولكم حق.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه ليس في القوم أصغر منه، في رحاهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى إلى القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها متخلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بحيرى: يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام وهو أحدث القوم سنّاً في رحاهم.



فقال: ادعوه ليحضر طعامي فما أقيح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أبي أراه من أنفسكم.  
فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل، يعنون أبا طالب، وهو من ولد عبد  
المطلب.

فقال الحرث بن عبد المطلب: والله إن بنا للوؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا. ثم قام إليه  
واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه.  
وجعل يحيرى يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده في صفته.

فلما تفرقوا عن الطعام قام إليه الراهب وقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما  
أسألك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئاً  
بُغْضَهُمَا».

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

قال: «سَلْنِي عَمَّا بَدَأَ لَكَ».

قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم  
كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، فقبل موضع الخاتم.  
فقال قريش: إن لحمد عند الراهب قدراً.

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: هو ابني.

قال: ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

قال: فابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هلك وأمه حامل به.

قال: ما فعلت أمه؟

قال: توفيت قريباً.

92/1

---

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف  
ليغنه عنتاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتابنا وما رويناه عن آبائنا، وأعلم أبي قد  
أدبت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً. وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرى فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهي وقال لهم أتجدون صفته؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل. فصدقوه وتركوه.

ورجع أبو طالب، فما خرج به سفيراً بعد ذلك خوفاً عليه.

عن أبي بكر بن أبي موسى قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم، فخرج إليهم فجعل يتخللهم حتى جاء، فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ من قريش: ما علمك به؟

قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجدون إلا لني، وأنا أعرف خاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهاهم به وكان هو في رعية للإبل، فقال: أرسلوا إليه.

فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم إذا هم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة

فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟

قالوا: أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنّا أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذه.

فقال: هل خلفكم أحدٌ هو خير منكم؟

قالوا: لا.

93/1

قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟

قالوا: لا. فبايعوه وأقاموا معه ثم قال: أنشدكم الله أيكم وليه؟

قال أبو طالب: أنا. فلم يزل يناشده حتى رده فزوده الراهب من الكعك.

## الباب الثامن والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفجار  
الفجار اثنان: الفجار الأول، والفجار الثاني.  
أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وكانت الحرب فيه ثلاث مرات:

أما المرة الأولى: فسببها أن بدر بن معشر الغفاري كان يفتخر على الناس فبسط يوماً رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف.  
فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له الأحمر بن مازن فضربه بالسيف على ركبته فأندرها فاقتلوا.

وأما المرة الثانية: فكان سببها أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ، فأطاف بها شباب من قريش من بني كنانة فسألوها أن تسفر فأبت، فقام أحدهم فجلس خلفها وحلّ طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة، فلما قامت انكشف دبرها فضحكوا وقالوا: منعينا النظر إلى وجهك وجُدتي لنا بالنظر إلى دبرك

فنادت: يا آل عامر. فتنادوا بالسلاح واقتتلوا مع بني كنانة، ووقعت بينهما دماء فتوسطها حرب بن أمية وأرضى بني عامر من مثلة صاحبهم.

وأما المرة الثالثة: فكان سببها أنه كان لرجل من بني جشم بن عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به، فجرت بينهما خصومة واقتتل الحَيَّان، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله.  
وهذه الأيام لم يحضرها صلى الله عليه وسلم.

وأما الفجار الثاني فكان بين هوازن وقريش، وإنما سمي الفجار لأن بني كنانة وهوازن استحلوا الحَرَم ففجروا، فاقتتل الفريقان.

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «كُنْتُ أُنْبِلُ عَلَى أَعْمَامِي يَوْمَ الْفِجَارِ» .  
أي: أنا ولهم النبل.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أربع عشرة سنة، ويقال: عشرون سنة.

## الباب التاسع والثلاثون

94/1

---

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول  
وسبب هذا الحلف أن قريشاً كانت تتظالم في الحَرَم.  
فقال عبدالله بن جدعان والزبير بن عبد المطلب: فدعوا إلى التحالف على التناصر من الأخذ للمظلوم

من الظالم، فأجابوهما وتحالفوا في دار ابن جُدعان.

عن أبي عبيدة قال: كان سبب حلف الفضول أن رجلاً من اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم، فلوى الرجل بحقه، فسأله ماله فأبى عليه، فسأله متاعه فأبى عليه، فقام على الحجر، وقال:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته

ببطن مكة نائي الدار والتفر

أقائم من بني سهم بدمتهم

أم ذاهب في ضلال مال مُعتمر قال: وقال بعض العلماء: إن قيس بن شبة السلمي باع متاعاً من أبي

بن خلف فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من جُمح فلم يقم بجواره، فقال قيس:

يا قصي هذا في الحرم

وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أظلم لا يُمنع مني من ظلم!

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردوا عليه حقه.

واجتمعت رجال من قيس في دار عبد الله بن جدعان، فتحالفوا على رد الظلم بمكة، وأن لا يظلم أحد

إلا منعه وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار عبد الله بن جدعان.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ، مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ

النَّعَمِ. وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ». فقال قوم من قريش: هذا والله فضل من الحلف، فسمي:

حلف الفضول.

قال الزبير: وقال آخر: وتحالفوا على مثال حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر، أن لا

يقروا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه. وأسماءهم الفضل بن شراة، والفضل بن بضاعة، والفضل بن

قضاعة.

95/1

قال الزبير: وحدثني عبد العزيز بن عمر العنسي قال: أهل حلف الفضول: بنو هاشم، وبنو المطلب،

وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تيم، تحالفوا بالله أن لا يظلم أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم

على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً ووضيعاً.

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه، قال: إنما سمي حلف

الفضول: أنه كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم فضيل وفضال ومفضل وفضل، فلذلك سمي

حلف الفضول.

قال: وحدثني محمد بن حسين، عن نوفل بن عمار، عن إسحاق بن الفضل قال: إنما سُمِّت قريش هذا الحلف حلف الفضول: أن نفرًا من جرهم يقال لهم: الفضل، وفضال، والفضل تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه الفصائل.

عن معروف بن خربوذ قال: تداعت بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتيم وتحالفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه مظلمته، أو يُبلوا في ذلك عذراً، وكره ذلك المطييون والأحلاف بأسرهم وسمّوه حلف الفضول عيباً له، وقالوا: هذا من فضول القوم. فسمي حلف الفضول.

عن حكيم بن حزام أنه قال: كان حلف الفضول مُنصرف قريش من الفجار، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة.

وأخبرني غير الضحاك قال: كان الفجار في شوال، وهذا الحلف في ذي القعدة، وكان أشرف حلف كان قط، وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، فاجتمعت بنو هاشم وبنو زهرة وتيم في دار عبدالله بن جدعان فصنع لهم طعاماً، فتعاقدوا وتعاهدوا ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة وعلى التآسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِحِلْفٍ حَضَرْتُهُ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتُ لَهُ لَأَجَبْتُ» وهو حلف الفضول.

96/1

---

قال محمد بن عمرو: لا يعلم أحد سبق من بني هاشم بهذا الحلف. عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شَهِدْتُ حِلْفَ الْفُضُولِ مَعَ غُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنْتِي نَكْشُهُ». وقد ذكر محمد بن حبيب الهاشمي أن هذا الحلف كان قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

الباب الأربعون

في ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد به قبل النبوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن الصبا يَغُضُّ الأصنام، ولا يلتفت إليها، وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها فلا يفعل ولا يقرب منها ويعيها. عن ابن عباس قال: حدثني أم أيمن قالت: كانت بوانة صنماً تحضره قريش وتعظمه، وتنسك له

المناسك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل، وذلك يوم في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب، وجعلن يقلن: إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وجعلن يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً.

فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع فرعاً مرعوباً، فقلن له عماته: ما دهاك؟ قال: «إني أخشى أن يكون بي كرم» .

فقلن: ما كان الله ليهتك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟ قال: «إني كُلمتُ من صمم منها تمثّل لي رجل أبيض طویل يصيح بي: ورأاك يا مُحَمَّد لا تَمْسَهُ» .

قالت: فما عاد إلى عيدهم حتى نبىء صلى الله عليه وسلم.

97/1

---

عن محمد بن عمرو عن أشياخه قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحيرى: «لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً أبغضتهما» .

قال أحمد بن حنبل: من قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب.

قال أبو الوفا علي بن عقیل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متديناً قبل بعثته ونزول الوحي عليه بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم.

فأما بعد مبعثه فهل كان يتعبد بشريعة من قبله؟

فيه روايتان:

أحدهما: أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهتهم ولا بعلمهم ولا كتبهم المتزلة. واختاره أبو الحسن التميمي وهو قول أصحاب أبي حنيفة.

والرواية الثانية: أنه لم يكن يتعبد بشيء من الشرائع إلا ما أوحى إليه في شريعته، وهو قول المعتزلة والأشعرية.

ولأصحاب الشافعي قولان كالروايتين.

قال: واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله، بأي شريعة كان متعبداً فقال بعضهم: بشريعة إبراهيم خاصة. وإليه ذهب أصحاب الشافعي.

وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى إلا ما نسخ في شرعنا.  
وظاهر كلام أحمد أنه كان يتعبد بكل ما صح أنه شريعة النبي قبله ما لم يثبت نسخه. يدل عليه قوله تعالى: {س6ش90} وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {الأنعام: 90}

وقال ابن قتيبة: لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل.  
من ذلك: حج البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين، ودية النفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات الحارم بالقرابة والصهر.  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج.

98/1

قال: وقوله تعالى: {حم} \* ع؟ س؟ ق؟ \* كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَىٰكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ \* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ \* وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ \* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ \* فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

99/1

الْبَصِيرُ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي؟ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي؟ إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي؟ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا؟ إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى

أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّقُضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ \* فَلِذَلِكَ فَادْعُ  
وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ  
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ \* وَالَّذِينَ  
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ \* اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ \* يَسْتَعْجِلُ بِهَا  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ  
لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ \* اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ \* مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ  
نَرُدْ لَهُ

100/1

فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ \* أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا  
لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \*  
تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

101/1

الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ \* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ  
اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ  
يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ  
يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ  
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ \* وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ \* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ  
وَلَا كُنْ يُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ \* وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ  
رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ  
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ \* وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ \* وَمَا أَنْتُمْ  
بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ  
كَالْأَغْلَامِ \* إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* أَوْ  
يُوقِفُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا



وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ \* وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي؟ ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ \* فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ \* وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا؟ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا؟ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ \* اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ

وَمَا لَكُم مِّنْ تَكْوِيرٍ \* فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَوَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ \* لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ \* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ \* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ \* وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَا كُنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ {

## الشورى: 52

يعني به: شرائع الإسلام، ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم.

في ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة وأخبر بها عمه  
أبا طالب

104/1

سأل عبد الله بن الزبير عبيد بن عمير عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحدثك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا وهو يومئذ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب فقال: «أعم، إني منذ ليالٍ يأتيني آتٍ معه صاحبان له، فينظرون إليّ ويقولون: هو هو ولم يأن له. فإذا كان رأيك كرجلٍ منهم ساكتٍ فقد هألني ذلك». فقال: يا بن أخي ليس بشيء حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: «يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى إني لأجد بردها».

فرجع به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبّب بمكة، فحدثه حديثه، فقال: عالجّه. فصوّب به وصعد وكشف عن قدميه، ونظر بين كتفيه، وقال: يا بن عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرائي من الشيطان، ولكنه من النواميس الذين يتجسسون القلوب للنبوة.

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحسست حساً ما شاء الله، حتى رأيت في منامي رجلاً وضع يده على منكبي، ثم أدخل يده فأخرج قلبي، ثم قال: قلب طيب في جسد طيب، ثم رده فاستيقظت».

ثم قال: «رأيت وأنا نائم سقف البيت الذي أنا فيه نزع خشبه وأدخل سلم فضة، ونزل إليّ منه رجلان، فجلس أحدهما جانباً والآخر إلى جنبي، فنزع ضلع جنبي ثم استخرج قلبي، فقال: نعم القلب قلبه، قلب رجل صالح ونبي مبلّغ، ثم ردا قلبي مكانه وضيعي ثم صعدا».

»

105/1

فاستيقظت والسقف على حاله، فشكوت إلى خديجة فقالت: لا يصنع الله بك إلا خيراً.

## الباب الثاني والأربعون

في ذكر رعيه الغنم

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» .

فقال أصحابه: وأنت؟

قال: «نعم، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» .

انفرد بإخراجه البخاري.

قال سويد بن سعيد: يعني كل شاة بقيراط.

وقال إبراهيم الحرّبي: قراريط: موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة.

قال ابن عقيل: لما كان الراعي يحتاج إلى سعة خلق وانسراح صدر للمدابة، وكان الأنبياء مُعَدِّين

لإصلاح الأمم حَسُنَ هذا في حقهم.

## الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين، أنبأنا ابن الراهب، أنبأنا القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عفان،

حدثنا وهيب، حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن السائب بن أبي السائب: أنه كان

يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة.

فلما كان يوم الفتح جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي، كَانَ لَا يُدَارِيءُ

وَلَا يُمَارِي» .

يداريء: مهموز، بمعنى يشاغب ويخاصم صاحبه.

## الباب الرابع والأربعون

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مرة أخرى في تجارة خديجة

عن نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية قالت: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين

سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه غير قومك قد حضر

خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيراتها، فلو جئتها فعرضت

نفسك عليها لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما كان من محاوره عمه له، فأرسلت إليه في ذلك وقالت: أنا أعطيك ضعيف ما أعطي

رجلاً من قومك.

فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله لك.

فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير.  
حتى قدموا بُصْرَى من أرض الشام، فتزلا في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه  
الشجرة قط إلا نبي.  
ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة لا تفارقه؟  
قال: نعم.

قال: هذا نبي وهو آخر الأنبياء.  
ثم باع سلعته، فوقع بينه وبين رجل تلاح، فقال له: احلف بالللات والعزى. فقال له رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: «مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لَأُمُرُّ بِهِمَا فَلَا أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمَا» .  
فقال الرجل: القَوْلُ قولك. ثم قال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتابهم.  
وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
الشمس، فوعى ذلك كله ميسرة.  
وباعوا تجارتهم وربحوا ضعفَ ما كانوا يربحون.  
ودخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في غُليّة لها، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على  
بعيره وملكان يظلان عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك.  
ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبّرها بما ربحوا في وجوههم. فسرّت بذلك.  
فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. وأخبرها بما قال  
الراهب نسطورا وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع.

الباب الخامس والأربعون  
في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة  
عن نفيسة بنت مُنَيّة قالت:  
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام دخل مكة وخديجة في غُليّة لها فرأت ملكين يظلاله،  
وكانت جلدة حازمة، وهي أوسط قريش نسباً وأكثرهم مالاً، وكلُّ قومها حريص على نكاحها لو  
قدروا على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال.

فأرسلتني دسيساً إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن  
تتزوج؟

قال: «مَا يَبْدِي مَا أَتَزَوَّجُ» .  
قلت: فإن كنت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، أفلا تجيب؟

قال: «فَمَنْ هِيَ؟» .  
قلت: خديجة.

107/1

قال: «وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟» .  
قلت: عليّ.  
قال: «فَأَنَا أَفْعَلُ» .  
فذهبت فأخبرتها وأرسلت إليه أن إيت ساعة كذا وكذا. وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها.  
فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة  
وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة.  
وقد روي أن أباهما زوّجها، وليس بصحيح لأن أباهما مات قبل الفجار.  
وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم  
وزرع إسماعيل وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً  
محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.  
ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجحه، وإن كان في المال فلا فإن المال ظلّ  
زائل وحال حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق  
ما آجله وعاجله من مالي.  
وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل.  
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل، فلم يقضَ بينهما نكاح، فتزوجها أبو هالة واسمه: هند،  
وقيل: مالك بن النباش، فولدت له هنداً وهالة وهما ذكران، ثم خلف عليها عتيق ابن عائذ المخزومي  
فولدت له جارية اسمها هند.  
وبعضهم يقدم عتيقاً على أبي هالة.  
ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل أولاده منها إلا إبراهيم.

#### الباب السادس والأربعون

في ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان الكعبة ووضع الحجر بيده

أول وضع البيت أن الله تعالى أنزل البيت المعمور فجعله مكان الكعبة وكان ياقوتة حمراء، ثم رفع وبني

آدم مكانه البيت، ثم بناه أولاده بالطين والحجارة، ثم غرق في زمن نوح وبقي مكانه أكمة لا يعلوها السيول، إلى أن بناه الخليل، ثم بنته العمالة، ثم بنته جرهم، ثم بنته قريش.

108/1

عن طلحة قال: وجد في البيت حجر منقور في الهدمة الأولى، فدعي رجل فقرأه فإذا فيه: عبدي المتعجب المتمكن المثبت المختار، مولده بمكة ومهاجره طيبة، لا يذهب حتى يقيم الملة العوجاء، ويشهد أن لا إله إلا الله، أمته الحمادون يحمدون الله تعالى بكل أكمة، يأتزرون على أوساطهم ويطهرون أطرافهم.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمساً وثلاثين سنة هدمت قريش الكعبة وبنتها، لأنها كانت قد تضعضعت بالسيل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة. فلما بلغ البنيان موضع الركن اختصموا، فكل قبيلة تريد أن ترفعه، حتى تواعدوا للقتال، وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، وأدخلوا أيديهم في الدم وتعاقدوا على الموت. فسموا لعقة الدم. فمكثوا على ذلك ليالي ثم تشاوروا. فقال أبو أمية بن المغيرة، وهو رأس قريش: اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد.

فكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا به.

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال: «هَلُمُّوا ثَوْبًا». فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لِنَأْخُذَ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا». حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُتْرَكَ عليه: الأمين.

**أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم**

الباب الأول

في ذكر الهواتف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النَّضْرِ بن سفيان الهذلي عن أبيه قال: خرجنا في غير لنا إلى الشام، فلما كنا بين الزرقاء ومَعَان، وقد عَرَّسْنَا من الليل، إذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض: أيها النِّيام هُبُوا فليس هذا بحين رقاد، قد خرج أحمد، وطردت الجن كل مطرد.

ففرزنا ونحن رفقة حزاورة كلهم قد سمع هذا، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش ونبي خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد.  
عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب قاعد في المسجد إذ مرَّ به رجل في مؤخر المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أتعرف المارَّ؟  
قال: من هو؟

قال هذا سواد بن قارب، وهو رجل من أهل اليمن له شرف وموضع، وهو الذي أتاه رثيه يخبره بظهور النبي صلى الله عليه وسلم.  
فقال عمر: عليَّ به.

فدعا به فقال: أنت سواد بن قارب؟

قال: نعم.

قال: فأنت الذي أتاك رثيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم؟  
قال: نعم.

قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟

فغضب غضباً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت.

فقال عمر: سبحان الله، والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك أخبرني بإتيان رثيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

بينما أنا نائم ذات ليلة إذ أتاني آت فضربني برجله.

وقال: قم يا سواد بن قارب فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجن ونجساسها

وشدَّها العيسَ بأحلاسها

فهُوي إلى مكة تبغي الهدى

ما خيرَ الجنِّ كأرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ

واسمُ بعينيك إلى رأسها قال: فلم أرفع لقوله رأساً، وقلت: دعني أنام فإني أمسيت ناعساً.

فلما كان في الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب قم فافهم، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني يقول:

عجبتُ للجن وتطأها  
وشدّها العيسَ بأقتابها  
تموي إلى مكة تبغي الهدى  
ما صادقُ الجن ككذابها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم  
ليس قدامها كأذناها قال: فلم أرفع لقوله رأساً، وقلت: دعني أنام فإنني أمسيت ناعساً.

110/1

فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب، قم فافهم واعقل  
إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ الجني يقول:

عجبتُ للجن وأخبارها  
وشدّها العيسَ بأكوارها  
تموي إلى مكة تبغي الهدى  
ما مؤمن الجن ككفارها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم  
بين روايها وأحجارها  
قال: فوق في قلبي حب الإسلام ورغبت فيه، فلما أصبحت شددت على راحلتي وانطلقت متوجهاً  
إلى مكة.

فلما كنت ببعض الطريق أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة.  
فقدمت المدينة فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم ف قيل لي في المسجد، فانتفيت إلى المسجد فعقلت  
ناقتي، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله، فقلت: تسمع مقالتي يا رسول الله.  
فقال لأبي بكر: أذنه أذنه. فلم يزل بي حتى صرت بين يديه.

فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله.

فقال: هات. فأخبرني بإتيانك رثيك. فقلت:

أتاني نجي بعد هدء ورقة

ولم أك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة

أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت

بي الذعلب الوجناء بين السباب



فأشهد أن الله لا ربَ غَيره  
وأنتَ مأمونٌ على كلِّ غائبٍ  
وأنتَ أدقُّ المرسلين وسيلةً  
إلى الله يا بن الأكرمين الأطايبِ  
فمرُّنا بما يأتيك يا خيرَ مُرسل  
وإن كان فيما جاء شيبُ الذوائبِ

وكنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة  
سواك بمغن عن سواد بن قارب  
قال: ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامي وأصحابه فرحاً شديداً حتى رئي الفرح في  
وجوههم.  
قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه، وقال: كنت أحب أن أسمع هذا منك فهل يأتيك رؤئك  
اليوم؟  
فقال: مذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوضُ كتاب الله من الجن.

111/1

---

عن جابر قال: إن أول خبر قدم المدينة أن امرأة كان لها تابع من الجن في صورة طائر، فسقط على  
الحائط، فقالت: ما لك لم تأتِ تحدثنا ونحدثك؟ قال: إنه قد ظهر مَنْ منع القرار وحرم الزنى علينا.  
عن علي بن حسين قال: كانت امرأة من بني النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان، ولها تابع من الجن.  
قال: فكان يأتيتها، فأتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وانقض على الحائط، فقالت: ما لك لم  
تأت كما كنت تأتي؟

قال: قد جاء الذي يحرم الزنى والخمر.  
عن أبي هريرة قال: قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب: ألا أخبرك ببدء إسلامي؟  
بينما أنا في طلب نَعَم لي إذ جَنِّي الليل بأبرق العزاف فناديت بأعلى صوتي: أعوذ بعزير هذا الوادي من  
سفهائه.

وإذا هاتف يهتف بي:  
عُذْ يا فتى بالله ذي الجلال  
وانجدِ والتَّعماء والإفضال  
واقراً بآياتٍ من الأنفال

وَوَحَّدَ اللَّهُ وَلَا تَبَال

فقلت:

يا أيها الهاتف ما تقول

أرشدٌ عندك أم تضليل

يُنِّ لنا هُديتَ ما السبيلُ†

فقال:

هذا رسولُ الله ذو الخيراتِ

يدعو إلى الجناتِ والنجاةِ

يأمرُ بالصومِ وبالصلاةِ

ويترع الناس عن الهناتِ

عن عبد الله العُماني قال: كان فينا رجل يقال له مازن بن الغُصُوبة يَسُدُّ صنماً بقرية يقال لها سمايا من عمان وكانت تعظمه قبائل.

قال مازن: فعترنا ذات يوم عند صنم عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتاً من الصنم يقول: يا مازن اسمع تُسرّ، ظهر خير وبطن شر، بُعث نبي من مضر، بدين الله الأكبر، فدع نخيتاً من حجر، تسلم من حرّ سقر.

قال: ففزعت لذلك. ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتاً من الصنم يقول: أقبِلْ إليّ أقبِلْ، تسمع ما لا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل فآمن به كي تعدل، عن حر نار تشعل، وقودها بالجنْدَل.

قال مازن: فقلت إن هذا لعجب وإنه لخير يراد بي.

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك؟

قال: ظهر رجل يقال له محمد، يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله.

فقلت: هذا نبأ ما سمعت.

112/1

---

فثرت إلى الصنم فكسرتة وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الإسلام فأسلمت.

عن رجل من خثعم قال: كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام، فبينما نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا أن يفرق بيننا إذ هتف هاتف وهو يقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام

ومسند الحكم إلى الأصنام

ما أنتم وطائش الأحلام

هذا نبي سيد الأنام

أعدل في الحكم من الحكام

يصدع بالنور وبالإسلام

وينزع الناس عن الآثام

مستعلن في البلد الحرام

ففرعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً، حتى بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة ثم قدم المدينة فجئت فأسلمت.

عن تميم الداري قال: كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إلى بعض

حاجتي، فأدركني الليل، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة.

قال: فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمناد ينادي لا أراه: عُدْ بالله، فإن الجن لا تجر أحداً على الله تعالى،

قد خرج الرسول الأمين رسول الله، وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه، وذهب كيد الجن

ورميت بالشهب، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم.

قال تميم: فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر، فقال الراهب قد صدقوك،

يخرج من الحرم، وهو خير الأنبياء فلا تُسبق إليه.

قال تميم: فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن خويلد الضمري قال: كنا عند صنم جلوساً، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح: ذهب استراق

الوحي، ورمي بالشهب لنبي مكة، اسمه أحمد، مهاجره إلى يثرب، يأمر بالصلاة والصيام والبر

والصلوات للأرحام.

فقمنا من عند الصنم فسألنا فقالوا: خرج نبي مكة اسمه أحمد.

113/1

عن جبير بن مطعم قال: كنا جلوساً عند صنم بيوانة قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

بشهر، نحرقنا جزوراً فإذا صائح يصيح من جوفه: اسمعوا العجب ذهب استراق الوحي ورمي بالشهب

لنبي بمكة اسمه أحمد مهاجره إلى يثرب. فأمسكنا وعجبنا. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن العباس بن مرداس قال: لما حضرت أبي الوفاة أوصاني بصنم له يقال له صَمَار. فجعلته في بيت.

وكنت آتيه كل يوم مرة.

فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضمار مستغيثاً،  
فإذا بالصوت من جوفه وهو يقول:

قُلْ للقبيلة من سليم كلها

هلك الأنيس وعاش أهل المسجد

أودى ضمارُ وكان يُعبدُ مرّة

قبل الكتاب إلى النبي محمد

إن الذي ورث النبوة والهْدَى

بعد ابن مريم من قريشٍ مُهْتَدِي

فكتمته الناس. فلما رجع الناس من الأحزاب سمعت صوتاً في منامي يقول: النور الذي وقع ليلة

الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء.

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت.

عن راشد بن عبد ربه قال: كان الصنم الذي يقال له سواع بالمعلات تدين له هذيل وبنو ظُفَر من

سُلَيم، فأرسلت بنو ظُفَر راشد بن عبد ربه بهدية بني سُلَيم إلى سواع.

قال: فأتيته فألقيته مع الفجر إلى صنم قبل سَوَاع، فإذا صارخ يصرخ من جوفه: العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ،

من خروج نبي عبد المطلب، يحرم الزنى والربا والذبح للأصنام، وحرس السماء ورمينا بالشهب.

ثم هتف صنم آخر من جوفه: ترك الضمار، وكان يُعبد، خرج النبي محمد، نبي يصلي الصلاة ويأمر

بالزكاة والصيام والبر والصلوات للأرحام.

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف:

إن الذي ورث النبوة والهْدَى

بعد ابن مريم من قريشٍ مُهْتَدِي

نبي يخبر بما سبق وبما يكون في غد.†

قال راشد: فألقيت عند سَوَاع ثعلبين مع الفجر يلحسان ما حوله ويأكلان ما يهْدَى، ثم يعرجان عليه

بيوهما. فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه:

أربُّ يبولُ الثَّعلبان برأسه

114/1

لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالبُ

وذلك عند مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## الباب الثاني

في ذكر إعلام الوحش بنبوته

عن أبي عمرو الهذلي قال: حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له: سَوَاع، وقد سُقْنَا إليه الذبائح. فكنت أول من قَرَّبَ إليه بقرة سمينة، فذبحتها على الصنم، فسمعنا صوتاً من جوفها يقول: العجبُ كُلُّ العجب خروجُ نبي بين الأخشاب، يحرم الزنى ويحرم الذبح للأصنام. وحرس السماء ورُمينا بالشُّهب.

ففرقنا فقدمنا مكة فسالنا فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم، حتى لقينا أبا بكر الصديق. فقلت: يا أبا بكر أخرج أحد بمكة يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد؟ قال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر.

فقال: نعم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم دعانا إلى الإسلام، فقلنا: حتى ننظر ما يصنع قومنا.

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذٍ. فأسلمنا بعده.

عن مجاهد قال: حدثني شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رودس يقال له ابن عيسى قال: كنت أسوق بقرة لآل لنا فسمعت من جوفها: يا آل ذريح: قول فصيح، رجل يصيح، يقول لا إله إلا الله.

قال: فقدّمنا مكة. فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج بمكة.

عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، فصعد الذئب على تل فأقعى واستغفر وقال: عمدت إلى رزق رزقيهِ الله تعالى انتزعته مني؟

فقال الرجل: بالله إن رأيتُ كاليوم، ذئبٌ يتكلم

قال الذئب: أعجبُ من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم.

وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقته النبي، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ، أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحْدِثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ» .

## الباب الثالث

115/1

في ذكر أمارات النبوة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقته النبي، ثم قال النبي صلى

عن ابن عباس قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة؛ سبعا يرى الضوء والنور

ويسمع الصوت، وثمان سنين يوحى إليه.

عن عائشة قالت: أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حرَاء فيتحنث فيه حتى فجأه الحق وجاءه الملك.

عن أبي ميسرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه: يا محمد. فإذا سمع الصوت انطلق هارباً، فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال: «يَا خَدِيجَةُ قَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ خَالِطَ عَقْلِي شَيْءٌ، إِنِّي إِذَا بَرَزْتُ أَسْمَعُ شَيْئاً يُنَادِي فَلَا أَرَى شَيْئاً، فَأَنْطَلِقُ هَارِباً». فقالت: ما كان الله ليفعل ذلك بك.

فأُسْرَتْ ذلك إلى أبي بكر، وكان نديماً له في الجاهلية، فأخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: وما ذاك؟ فحدثه بما حدثته به خديجة.

فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة: هل ترى شيئاً؟

قال: «لَا، وَلَكِنِّي إِذَا بَرَزْتُ سَمِعْتُ النَّدَاءَ وَلَا أَرَى شَيْئاً فَأَنْطَلِقُ هَارِباً فَإِذَا هُوَ عِنْدِي يُنَادِي».

قال: فلا تفعل، إذا سمعت النداء، فأثبت له حتى تسمع ما يقول لك.

فلما برز سمع: يا محمد.

قال: «لييك».

قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال: قل: الحمد لله رب العالمين حتى فرغ من فاتحة الكتاب.

ثم أتى ورقة فذكر ذلك له فقال: أبشر؛ ثم أبشر، ثم أبشر، أشهد أنك أنت أحمد، وأنا أشهد أنك محمد، وأنا أشهد أنك رسول الله، يوشك يوشك أن تؤمر بالقتال، وإن أمرت بالقتال وأنا حي فلاقاتلن معك.

فمات ورقة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتَ الْقَسَ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ خَضِرٍ».

#### الباب الرابع

في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

116/1

---

عن جابر بن شمره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها

خارجاً من مكة بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَمَّا كَانَتْ لَيْالِي بُعِثْتُ مَا مَرَرْتُ بِشَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». عن برة قالت: لما ابتداء الله تعالى محمداً بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب والأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً.

#### الباب الخامس

##### في ذكر بدء الوحي

عن عائشة قالت: أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي غار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبء؛ الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. حتى فجأه الحق وهو غائر. فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بقارىء».

«فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ». «فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ». «فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حَتَّى بَلَغَ {مَا لَمْ يَعْلَمْ}».

117/1

---

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فرملوه حتى ذهب عنه الروح فقال: «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟». وأخبرها الخبر، قال: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فقالت له: كلاً أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة وكان امراً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة: يا أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيه جذعا، ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» .  
قال: نعم، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.  
ثم لم ينشب ورقة أن توفي.  
وفتر الوحي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنًا غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال.  
فكلما أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقِي نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأَشَهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ.

فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.  
أَخْرَجَاهُ.

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَ فِي حِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَنَيْتُ مِنْهُ رُغْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي. فَذَثَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } .  
أَخْرَجَاهُ.

118/1

---

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ورقة: لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل: سبح سبح، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله بينه وبين رسله، اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى، فإذا أتاه فتحسري، فإن يكن من عند الله لا يراه. ففعلت.  
قالت: فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره، فرجعت فأخبرت ورقة قال: إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بالثمن.  
ثم قام ورقة ينتظر الدعوة.

عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟  
فقال: «نعم» .  
فقالت: إذا جاءك فأخبرني.



قالت: خديجة: فجاءه جبريل ذات يوم وأنا عنده.  
 فقال: «يَا خَدِيجَةُ، هَذَا صَاحِبِي الَّذِي يَأْتِينِي قَدْ جَاءَ» .  
 فقلت: قم فاجلس على فخذي. فجلس عليها. فقلت: هل تراه؟  
 قال: «نَعَمْ» .  
 فقلت: تحوّل فاجلس على فخذي اليسرى. فجلس عليها، فقلت: هل تراه؟  
 قال: «نَعَمْ» .  
 قالت خديجة: فطرح خماري. فقلت: هل تراه؟  
 فقال: «لَا» .  
 فقلت: هذا والله ملك كريم ما هو شيطان لا والله.

عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع: السلام عليك. قال: «فَطَنَّتْهَا فَجَاءَهُ الْجِنُّ فَجِئْتُ مُسْرِعاً حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ فَسَجَّتَنِي ثَوْباً وَقَالَتْ: مَا شَأْنُكَ؟ فَأَخْبَرْتُهَا: فَقَالَتْ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ السَّلَامَ خَيْرٌ» .

119/1

قال: «ثُمَّ خَرَجْتُ مَرَّةً أُخْرَى فَإِذَا بِجِبْرِيلَ عَلَى الشَّمْسِ جَنَاحٌ لَهُ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ لَهُ بِالْمَغْرِبِ، قَالَ: فَهَلْتُ مِنْهُ فَجِئْتُ مُسْرِعاً، إِذَا هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَابِ، فَكَلَّمَنِي حَتَّى أَنْسَتُ بِهِ، ثُمَّ وَعَدَنِي مَوْعِداً فَجِئْتُ لَهُ، فَأَبْطَأَ عَلَيَّ فَرَأَيْتُ أَنْ أَرْجِعَ، فَإِذَا أَنَا بِهِ وَمِيكَائِيلَ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ، فَهَيَّطَ جِبْرِيلُ فَسَلَقَنِي لِحَلاوَةً الْقَفَا ثُمَّ شَقَّ عَلَى قَلْبِي فَاسْتَخْرَجَهُ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ مِنْهُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طِسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ثُمَّ لَأَمَّهُ، ثُمَّ خَتَمَ فِي ظَهْرِي. فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ. فَجَعَلْتُ لَا يَلْقَانِي حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ. فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ» .

عن عبيد قال: كيف كان بدء ما ابتداء الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل؟ فقال عبيد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء كل سنة شهراً، وإن ذلك مما تحث به قريش في الجاهلية.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور الشهر من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من

جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته، يطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته برسالته، والسنة التي بعثه الله فيها نبياً، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل من الله تعالى.

120/1

قال ابن إسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ؟ فَغَطَّنِي حَتَّى طَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ، فَقَالَ: {س96ش1 اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العلق: 1

«.

عن ابن البراء قال: بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله يومئذ أربعون سنة ويوم، فأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في حراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } إلى قوله: { ما لم يعلم } . فقط ثم فحص بعقبه الأرض فنبع منها ماء فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين.

#### الباب السادس

في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة  
عن أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن جبريل أتاه في أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه.

قلت: لم يذكر كيفية الصلاة في هذا الحديث، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال: «ركعتين».  
وقال مقاتل بن سليمان: فرض الله على المسلمين في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ثم فرض الخمس في ليلة المعراج.  
وقد جاء في حديث: أنه صلى عند زوال الشمس في أول النبوة.

121/1

وقال علماء التفسير: نزلت سورة «المزمل» بمكة، فكان قيام الليل فرضاً عليه. فكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: {س73ش20} إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنُ خَصْمُوهُ فَنَابَ عَلَيْكُمُ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {المزمل: 20}

وقال عطاء بن يسار، ومقاتل بن سليمان: نزل قوله: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل} بالمدينة. والأول أصح.

وقال قوم: نسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى: {س17ش79} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا {الإسراء: 79} ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس. وقيل: نسخ عن الأمة وبقي فرضه عليه. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دونهم. قال ابن عباس: كان بين نزول أول المزمل وآخرها سنة.

#### الباب السابع

في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية النبوة بخديجة وعلي عليهما السلام عن ابن عفيف الكندي عن أبيه، عن جده قال: كنت امرأةً تاجراً، فقدمت للحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة.

122/1

قال: إني فوالله لعنده بمنى إذا رجل خرج من خباء قريب منه ينظر إلى الشمس، فلما رآها قام يصلي. ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي. ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: يا عباس، ما هذا؟

قال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي.

قلت: من هذه المرأة؟

قال: امرأته خديجة بنت خويلد.

فقلت: مَنْ هذا الفتي؟

قال: علي بن أبي طالب ابن عمه.

قلت: فما هذا الذي يصنع؟

قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتي، وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقیصر

وكان عفيف، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول — وأسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه —: لو أن الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثانياً مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه

## الباب الثامن

في صفة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم

عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَٰةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قالت عائشة: ولقد رأيته يتزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

عن يعلى بن أمية: أنه كان يقول لعمر بن الخطاب: ليتني أرى نبي الله حين يوحى إليه، فلما كان بالجعرانة وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظلم به، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر، إذ جاءه رجل عليه جبة متضمخة بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جبة بعدما تَضَمَّخَ بطيب؟

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم سكت فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى: تعال.

123/1

فجاءه يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغطُّ كذلك فمكث كذلك ساعة.

ثم سري عنه، فقال: «أَتَيْنَ الَّذِي سَأَلَنِي عَنِ الْعُمْرَةِ أَنْفَاءً؟» .

فالتمس الرجل فأقبى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا الطَّيِّبُ الَّذِي بِكَ فَاعْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الْجَبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمَرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ» .

هذا والذي قبله في الصحيحين.

عن خارجة بن زيد قال: قال زيد بن ثابت: إني قاعد إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إذ

أوحى إليه.

قال: وغشيته السكينة، فوقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة.

قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم سري عنه قال: «اكتب يا زيد» .

عن زيد بن ثابت قال: كان إذا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة، وإذا أنزلت عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها.

عن زيد بن ثابت قال: كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك وتحدّر جبينه عرفاً كأنه الجمان، وإن كان في البرد.

عن عمر بن الخطاب قال: كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمع عند وجهه كدوي التحل.

عن عبدالله بن عمرو قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، هل تحس بالوحي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَسْمَعُ صَلَاحاً ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ. فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوْحَى إِلَيَّ إِلَّا وَطَنْتُ أَنْ نَفْسِي تُقْبَضُ» .

عن عبدالله بن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مرّ به عثمان بن مظنون، فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَجْلِسُ؟» .

قال: بلى.

124/1

---

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَقْبِلَهُ فَبَيْنَمَا هُوَ يَحْدُثُهُ، إِذْ شَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَظَرَ سَاعَةً إِلَى السَّمَاءِ فَأَخَذَ بَعْضُ بَصْرِهِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى يَمِينِهِ فِي الْأَرْضِ، فَتَحَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَلِيسِهِ عَنْ عُثْمَانَ إِلَى جَنْبِ وَضَعِ بَصْرِهِ، فَأَخَذَ يَنْفِضُ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَفْهِمُ مَا يَقَالُ لَهُ، وَابْنُ مَطْعُونٍ يَنْظُرُ.

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخّص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخّص أول مرة وأتبعه بصره حتى توارى في السماء.

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد، فيما كنت أجالسك وآتيك؟ ما رأيته تفعل كفعلك الغداة؟

قال: «وَمَا الَّذِي رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ؟» .

قال: رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك.

قال: «وَفَطِنْتُ لِدَلِكْ؟» .

قال عثمان: نعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ آنَفًا وَأَنْتَ جَالِسٌ» .

قال: رسول الله؟

قال: «نَعَمْ» .

قال: فما قال لك؟

قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{

الأنفال: 41

قال عثمان: فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم.

عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لآخذة بزمام العَصْبَاءِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة.

عن عبادة بن الصامت: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربّد وجهه.

عن أبي أروى الدوسي قال: رأيت الوحي يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته، فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فرمما بركت وربما قامت مؤبدة يديها، حتى يسري عنه من ثقل الوحي وإنه ليتحدر منه مثل الجمان.

125/1

---

عن عكرمة قال: كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقد لذلك ساعة كهيئة السكران.

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صدع فغلف رأسه بالخناء.

قال ابن عقيل: إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنون لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدّة.

ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين إغماء الجنون، فإن أثر ما كان يجري له بيان الصواب والحق، بخلاف إغماء الجنون.

وهذا الذي تلمّحته خديجة فقالت: والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصدق الحديث وتعين على نواب الحق.

قال ابن عقيل: فإن قال قائل: ما كان يجري عليه من البرحاء حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه؟ فاجواب: لا، لأنه كان محفوظاً في منامه، تنام عيناه ولا ينام قلبه، فإذا كان النوم الذي يستطلق فيه الوكاء، لا ينقض وضوءه، فالحالة التي أكرم فيها بالمسارّة والإلقاء إلى قلبه الهدى أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى.

### الباب التاسع

في ذكر الخلاف فيمن قرّن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة في نبوته

عن عامر قال: نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فُقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم يزل من القرآن على لسانه. فلما مضت ثلاث سنين قرّن بنبوته جبريل فتزل القرآن على لسانه.

عن عامر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، وكان معه إسرافيل ثلاث سنين، ثم عزل عنه إسرافيل، وقرّن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة وعشر سنين مهاجرة بالمدينة.

قال ابن سعد: فذكرت هذا الحديث لحمد بن عمر، فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن إسرافيل قرّن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يُقرّن به إلا جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم.

### الباب العاشر

126/1

---

في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آية تقوّي ما عنده عن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بالحجّون فقال: «اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدّها من قرّيش». .

ف قيل له: ادع هذه الشجرة.

فدعاها فأقبلت على عروقها فقطعها، ثم أقبلت تحدّ الأرض، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم قالت: ما تشاء ما تريد؟

قال: «ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ». فرجعت إلى مكانها فقال: «وَاللَّهِ مَا أَبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي مِنْ قُرَيْشٍ». عن أنس بن مالك قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ قال: «فَعَلَّ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا». فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ قال: «نَعَمْ».

قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. فقال: مُرَّهَا فَلْتَرْجِعْ. فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَسْبِيَ».

#### الباب الحادي عشر

في رمي الشياطين بالشُّهْب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وتنكيس الأصنام عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء.

127/1

قال: فانطلق الذين توجهوا نحو قمامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا {س72ش1/ش2} قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا؟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا \* يَهْدِي؟ إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا {الجن: 1، 2}

وأنزل الله تعالى على نبيه: {س72ش1} قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا؟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا {الجن: 1}



عن ابن عباس قال: لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم زجر الجن ورُمُوا بالكواكب. وكانوا قبل ذلك يسمعون، ولكل قبيل من الجن مَقْعَد يستمعون فيه. فأول ما فزع لذلك أهل الطائف فجعلوا يذبحون لأهنتهم، من كان له إبل أو غنم كل يوم، حتى كادت أموالهم تذهب ثم تناهوا وقال بعضهم لبعض: أما ترون معالم السماء كيف هي، لم يذهب منها شيء؟ وقال إبليس: هذا أمر حدث في الأرض، ايتوني من كل أرض بتربة. فكان يؤتى بالتربة فيشمها ويلقيها حتى آتت بتربة قمامة فشمها وقال: ها هنا الحدث.

عن يعقوب بن الأحنس قال: إن أول العرب فزع لِرَمَي النجوم ثقيف وأتوا عمرو بن أمية فقالوا: ألم تر ما حدث؟

قال: بلى فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدي بها ويعرف بها أنواء الصيف والشتاء فهو طيُّ الدنيا وذهاب هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها فأمرٌ أراد الله بهذا الخلق ونبى يبعث في العرب. فقد تحدّث بذلك.

عن أبي بن كعب قال: لم يُرَمَ بنجم منذ رفع عيسى بن مريم حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تنبأ رمي بها، فرأت قريش أمراً لم تكن تراه، فجعلوا يسيئون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء.

128/1

فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال: ولم فعلتم ما أرى؟

قالوا: رمي بالنجوم فرأينا أنها قمافت من السماء.

قال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد، فلا تعجلوا وانظروا، فإن تكن نجوماً تعرف فهو عند فناء الناس، وإن تكن نجوماً لا تعرف فهو عند أمر حدث.

فنظروا فإذا هي لا تُعرف، فأخبروه فقال: الأمر فيه مُهْلَةٌ بعد، هذا عند ظهور نبي.

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله، فجاء عبد ياليل فنذاكروا أمر النجوم، فقال أبو سفيان: ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه مرسل. قال عبد ياليل: فعند ذلك رمي بها.

عن ابن عباس قال: لم تكن السماء تُحرَسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، كانوا

يقعدون منها مقاعد للسمع.

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرساً شديداً، ورجعت الشياطين، وأنكروا ذلك فقالوا: {س72ش10 وَأَنَّا لَا نَدْرِي؟ أَشْرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن:

10

فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث. واجتمعت إليه الجن، فقال: تفرقوا في الأرض وأخبروني ما هذا الذي حدث في السماء.

وكان أول ركب بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن، فبعثهم إلى قمامة فاندفعوا حتى بلغوا وادي نخلة، فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة بطن نخلة فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا: أنصتوا.

قال وهب بن منبه: كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ويتقلب فيهن كيف شاء لا يُمنع من ذلك. فخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى، فحينئذ حجب من أربع سموات، فصار يتردد في ثلاث سموات. فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث فصار هو وجنوده يسترقون السمع ويقذفون بالكواكب.

129/1

عن أبي هريرة قال: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً، فأنت الشياطين إبليس، فقالت: ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح نكوساً. قال: هذا نبي قد بُعث فالتمسوه في قرى الأرياف. فالتمسوه فقالوا: لم نجده. قال: أنا صاحبه.

فخرج يلتمسه فنودي: عليك بحبة القلب مكة. فالتمسوه فوجده عند قرن الثعالب. فخرج إلى الشياطين فقال: قد وجدته معه جبريل فما عندكم؟

قالوا: نُزِّيْن الشهوات في أعين أصحابه ونحببها إليهم. قال: فلا آسى إذن.

الباب الثاني عشر

في ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى المسمى أبرويز عند مبعث نبينا عليه السلام

كانت دجلة تجري قديماً في أرض خوجي في مسالك محفوظة إلى أن تصب في بحر فارس، ثم غورت وجرت صوب واسط، فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم أموالاً كثيرة ولم يثبت

السد.

فلما ولي قباد بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثنق عظيم، وغلب الماء فأغرق عمارات كثيرة، فلما ولي أنو شروان بنى مُسْنِيَّات، فعاد بعض تلك العمارة وبقيت على ذلك إلى أن ملك أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، وكان من أشد القوم بطشاً وقيماً له ما لم يتهياً لغيره. فسكّر دجلة العوراء وأنفق عليها ما لا يحصى، وبنى طاق مجلسه، وكان يعلق فيه تاجه ويجلس والتاج فوق رأسه معلق من غير أن يكون له على رأسه ثقل.

قال وهب بن منبه: وكان عنده ثلاثمائة وستون رجلاً من الخزاة، والخزاة: العلماء من بين كاهن، وساحر، ومنجم، وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب يعتاف اعتياف العرب قلماً يخطيء. بعث به إليه باذان من اليمن.

فكان كسرى إذا حزبه أمر جمع كهانه وسحرتة ومنجميه فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو. فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة وقد انفصمت طاق ملكه من وسطها، فلما رأى ذلك أحزنه وقال: انفصم طاق ملكي وانخرقت دجلة العوراء «شاه بشكست» يقول: الملك انكسر.

130/1

---

ثم دعا كهانه وسحرتة ومنجميه ودعا السائب معهم، فأخبرهم، بذلك وقال: انظروا في ذلك الأمر. فظنوا فأظلمت عليهم الأرض وتسكعوا في علمهم، ولم يمض لساحر سحره ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجم علم نجومه.

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من أرض الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق. فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه فإذا روضة خضراء. فقال فيما يعتاف: لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله.

فلما اجتمعت الخزاة قال بعضهم لبعض: والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء، وإنه لنبي قد بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نعيم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه.

فجاءوا كسرى فقالوا له: إنا نظرنا في هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك وسكّرت دجلة العوراء وضعوه على النحوس، وإنا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول.

قال: فاحسبوا. فحسبوا له ثم قالوا له: ابنه فبناه.

فعمل في دجلة ثمانية أشهر، وأنفق فيها من الأموال ما لا يُدرى ما هو، حتى إذا فرغ قال لهم: اجلس على سورها؟

قالوا: نعم. فأمر باليسط والفرش والرياحين فوضعت عليها وأمر بالمرازبة فجمعوا له، وجمع اللعابون ثم خرج حتى جلس عليها، فيينا هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته، فلم يستخرج إلا بآخر رمق، فلما أخرجوه قتل من الخزاة قريباً من مائة وقال: تلعبون بي؟ قالوا: أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا، ولكننا سنحسب لك حساباً حتى تضعها على الوفاق من السعود.

قال: انظروا ما تقولون.

قالوا: فينا نفعل.

فحسبوا له ثم قالوا له ابنه. فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ثمانية أشهر ثم قال: أفأخرج فأقعد؟

131/1

قالوا: نعم. فركب برذوناً له وخرج يسير عليها إذ انتسفته دجلة بالبنيان فلم يدرك إلا بآخر رمق، فدعاهم فقال: والله لأمرن على آخركم ولأترعن أكتافكم ولأطرحنكم بين أيدي الفيلة، أو لتصدقني ما هذا الأمر الذي تلفقون علي؟

قالوا: لا نكذبك، أيها الملك أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانفصمت طاق مجلسك أن ننظر في علمنا، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء فلم يستقم لعالمنا علمه، فعرفنا أن هذا لأمر حدث من السماء، وأنه قد بعث نبي أو هو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، فخشينا إن نعيّن مَلَكًا أن تقتلنا فعللناك على أنفسنا بما رأيت. فتركهم وهى عنهم وعن دجلة حين غلبته. وقال ابن إسحاق: كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني أنه كان سكر دجلة العوارة وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو. وذكر الحديث الذي سقناه بعينه.

وقال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، ما حجة الله على كسرى فيك؟

قال: «بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ سُورِ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تَلَالُؤًا نُورًا. فَلَمَّا رَأَاهَا فَرَعَ». قال: «لَمْ تَفْرَعْ يَا كِسْرَى؟ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فَأَتْبَعَهُ لَتَسْلَمَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ. قَالَ: سَأُنْظُرُ».

وقال ابن إسحاق: بعث الله ملكاً إلى كسرى وهو في بيت من بعض بيوت إيوانه الذي لا يدخل عليه

فيه، فلم يرعه إلا هو قائماً على فراشه في يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقبل فيها، فقال: يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا؟

فقال: بَهْلَ بَهْلَ.

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم، وقال: من أدخل هذا الرجل علي؟ قالوا: ما دخل عليك أحد ولا رأيناه.

132/1

---

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التي أتاه فيها فقال له كما قال له. ثم قال: أتسلم أو أكسر هذه العصا؟

قال: بَهْلَ بَهْلَ.

فخرج عنه فدعا كسرى حُجَّابَهُ وَبَوَّابِيَهُ، فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة. قالوا: ما رأينا أحداً دخل عليك.

حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها، وقال كما قال له ثم قال له: أتسلم أو أكسر هذه العصا؟

قال: بَهْلَ بَهْلَ.

قال: فكسر العصا ثم خرج. فلم يكن إلا أن قهَّورَ ملكه.

قال الزهري: حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة قال: ذكر لي أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين في يديه ثم قال: أسلم.

فلم يفعل فضرب إحدهما بالأخرى فرضَّهما ثم خرج. فكان من هلاكه ما كان.

عن خالد بن ويدة، وكان رأساً في الجوس ثم أسلم، قال: كان كسرى إذا ركب ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة: أنت عبد ولست برب. فيشير برأسه: أي نعم.

قال: فركب يوماً فقالا له ذلك فلم يُشير برأسه، فعلم ذلك صاحب شرطته فأتاه ليعاقبه، وكان

كسرى قد نام، فلما وقع صوت حوافر الدواب في سمعه استيقظ فدخل عليه صاحب شرطته، فقال:

أَيَقْظَتُمُونِي وَلَمْ تَدْعُونِي أَنَام، إني رأيت أنه رقي بي فوق سبع سموات فوقفت بين يدي الله تعالى، فإذا

رجل بين يديه عليه إزار ورداء، فقال لي سلِّم بحر مفاتيح خزائن أرضي إلى هذا أأست المأمور بكذا؟

قال: وصاحب الإزار والرداء يعني به النبي صلى الله عليه وسلم.

عن ابن قتيبة: أن أبرويز قال: رأيت في المنام قائلاً يقول لي: إنكم غيَّرتُم ما بكم ونقل المكان إلى أحمد.

وكانوا يتوقعون حادثة تحدث، حتى كتب النعمان إليه: أن خارجاً نجّم بتهمته يخبر أنه رسول إله السماء والأرض.  
فانزعج لذلك وعلم أنه الذي كان يتوقعه.

133/1

قال ابن قتيبة: فانقضت ممالك الأمم عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا الروم، لما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم، فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق صارت النبوة في ولده، فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة، فالروم كلهم من ولده.  
وانقضت مملكة فارس، وكان أول انتقاضها قتل شيرويه أباه، ثم ظهر الطاعون في ملكه فهلك فيه، ثم تعاوروا الملك ولم يلبثوا.

وانقض ملك أهل اليمن، وكان أول ذلك قتل الحبشة سيف بن ذي يزن، وانتشر الأمر بعده. فكل أهل ناحية ملّكوا رجلاً حتى جاء الإسلام.  
وانقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر.  
وانقض ملك أبي جفنة وكان آخر من ملك منهم جبلة بن الأيهم الذي تنصّر في خلافة عمر رضي الله عنه.

#### الباب الثالث عشر

في ذكر دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام  
كان صلى الله عليه وسلم في أول نبوته يدعو الناس إلى الإسلام سرّاً.  
وكان أبو بكر يدعو أيضاً مَنْ يثق به من قومه.  
فلما مضت من النبوة ثلاث سنين: نزل عليه {س15ش94} فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين  
{الحجر: 94}  
فأظهر الدعوة.

عن أبي عبد الرحمن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر أن يصدع بما جاءه من عند الله وأن يظهر الدعوة.  
عن الزهري قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرّاً وجهرّاً، فاستجاب الله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكبين لما يقول. فكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إن غلام بني عبد المطلب ليكلّم من السماء.

فكان كذلك حتى عاب آلهتهم التي كانوا يعبدونها، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشاققوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه.

134/1

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَيْنِ، بَيْنَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، كَأَنَّا يَأْتِيَانِ بِالْفُرُوثِ فَيَطْرَحُونَهَا». فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَيُّ جَوَارٍ هَذَا؟» ثم يلقيه بالطريق.

#### الباب الرابع عشر

في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواسم

عن طارق بن عبد الله المخاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين: مرة يسوق المَجاز وأنا في بياعة لي، فمرَّ وعليه حلة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُقْلِحُوا».

ورجل يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب.

قلت: مَنْ هَذَا؟

قالوا: هذا غلام من بني عبد المطلب.

قلت: فمن ذا الذي يتبعه يرميه؟

قالوا: هذا عمه عبد العزى؛ وهو أبو لهب.

عن جابر قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجّنة وفي المواسم بمنى: «مَنْ يُؤْوِيَنِي؟ مَنْ يَنْصُرُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتكك.

#### الباب الخامس عشر

في ذكر إنذاره عشيرته

135/1

عن أبي هريرة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» .

عن ابن عباس: لما أنزل الله تعالى {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» .

فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي يَاسِينَ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ صَدَقْتُمْوَنِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» .

فقال أبو هب: تَبَّ لَكَ سَائِرُ الْيَوْمِ، مَا دَعَوْنَا إِلَّا لَهَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {س111 ش1} تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {المسد: 1}

عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالوا: لما نزلت {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادي: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَرَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَذَهَبَ يُنْذِرُ أَهْلَهُ فَخَشِيَ أَنْ يُشَقُّوه فَجَعَلَ يُنَادِي وَيَهْتِفُ يَا صَبَاحَاهُ» .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم، واتفقا على الحديثين قبله.

136/1

عن ابن عباس قال: لما نزلت {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ» .

فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف. فأقبلوا واجتمعوا، قالوا: ما لك يا محمد.

قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» .

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط.

قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ عَذَابٍ شَدِيدٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي زُهْرَةَ، حَتَّى عَدَّ الْأَفْحَادَ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَنَفْعَةً وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيحاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

قال: يقول أبو هب: تَبَّ لَكَ سَائِرُ الْيَوْمِ أَهَذَا جَمَعْتَا



فأنزل الله تعالى { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } السورة كلها.

عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم

{س26ش214 وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} الشعراء: 214

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَصِقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعاً وَعَرَفْتُ أَنِّي مَتَى أَبَادِيهِمْ بِهَذَا أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ. فَصَمْتُ حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَلِيُّ اصْنَعْ لِي صَاعاً مِنْ طَعَامٍ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلَ شَاةٍ، وَأَمْلَأْ لَنَا عَساً مِنْ لَبَنٍ، ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي الْمُطَلِّبِ حَتَّى أَكَلِمَهُمْ مَا أُمِرْتُ». ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو يَنْقُصُونَهُ، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو هب.

137/1

فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعتُ، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة، فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: «خذوا باسم الله». فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل جميع ما قدمت لجميعهم.

ثم قال: «اسقِ القوم» فجئت بذلك العُسّ فشربوا منه، حتى رويوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بَدَرَهُ أَبُو هَبٍ إِلَى الْكَلَامِ فَقَالَ: سَحَرَكُم صَاحِبُكُمْ.

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد: «يَا عَلِيُّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَبَقَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ؛ فَأَعِدْ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعْهُمْ لِي».

فقمت وجمعتهم فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إني واللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَأْباً مِنَ الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيْتُكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي». فأحجم القوم فقلت، وأنا أحدثهم سناً: أنا يا بني الله. فقام القوم يضحكون.

الباب السادس عشر

في ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» .

وفي الباب عن علي، وأبي ذر، وأبي موسى، وأبي أمامة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو. وستأتي هذه الأحاديث.

#### الباب السابع عشر

في ذكر إرساله إلى الجن صلى الله عليه وسلم†

138/1

عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمن فلما فرغ قال: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لَلْجَنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا تُكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ» .

عن ابن مسعود قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانطلق بي معه حتى أتى بي إلى البراز، ثم خطأ لي خطأ ثم قال: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ» فما جاء حتى السَّحَرُ، فقال: «أُرْسِلْتُ إِلَى الْجِنِّ» . قلت: فما هذه الأصوات التي أسمعها؟ قال: «هَذِهِ أَصْوَاتُهُمْ حِينَ وَدَّعُونِي وَسَلَّمُوا عَلَيَّ» .

#### الباب الثامن عشر

في كونه خاتم النبيين

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَتَمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» .

عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في غزاة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» . أخرجاه.

عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» . انفرد بإخراجه مسلم.

#### الباب التاسع عشر

في ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى الكفار وهو صابر

عن ابن عباس: أن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى؛ لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقلته.  
قال: فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت على أبيها صلى الله عليه وسلم، فقالت: هؤلاء الملاء من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو رأوك قاموا إليك، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك.

فقال: «يَا بُنَيَّةُ ارْنِي وَضُوءاً» .

فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا هذا هو.

139/1

فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقيم منهم رجل، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها. وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» .

قال: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً.

عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ فَعَلَ لِأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عَيَاناً» .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قيل له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما كانت تظهر من عداوته؟

قال: حضرتم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقاه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على عظيم.

فبينما هم على ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» .

فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك يترضاه بأحسن ما يجد من القوم حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه

فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم عنه من عيب آهتهم ودينهم. قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم أنا الذي قلت ذلك». قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه. قال: وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي: أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغوا منه قط. عن عمرو، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمرو: فرأيت عيني عثمان ذرفتا من تذكر ذلك

قال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف. فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره، فعرفت ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فدنوت منه حتى كان بيني وبين أبي بكر، فأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً. فلما حاذاهم قال أبو جهل: والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ذلك». ثم مضى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك.

حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه، فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه، فدفعت في صدره فوقع على استه، ودفع أبو بكر أمّية بن خلف، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط، ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال لهم: «أما والله لا تتتهؤن حتى يحلّ عقابه عاجلاً». قال عثمان: فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف وجعل يرتعد، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَسَّ الْقَوْمُ أَنتُمْ لَنِيَّكُمْ».

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته، فوقف على السدة، ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال: «أبشروا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُظَهِّرٌ دِينَهُ وَمُتَمِّمٌ كَلِمَتَهُ وَنَاصِرٌ نَبِيِّهِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ مِمَّا يَدْبَحُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ عَاجِلًا». ثم انصرفنا إلى بيوتنا.

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال لي الزبير بن العوام: لقد رأيت اليوم عَجَبًا

رأيت نفرًا من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبو جهل بن هشام، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتآمرون بمناهضته، فوقف عليهم وقال: «فُجِّحْتُمْ وَقُبِّحَ صَاحِبُكُمْ». فكأنهم خرسوا ما فيهم أحد يتكلم ولا يقوم.

ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم وهو يعدو في أثره يعتذر إليه ويقول: كف عنا ونكف عنك.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا أَكْفُ عَنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ أَوْ أَقْتُلُكَ».

قال: وأنت تقدر على قتلي؟

قال: «اللَّهُ يَقْتُلُكَ وَيَقْتُلُ هَؤُلَاءِ».

فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين.

عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة، إذ أقبل عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم البينات من ربكم؟

عن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد. فإنه كان يصلي ورهطاً من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه، فقالوا: مَنْ يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره.

قال: فقال عقبة بن أبي معيص: أنا. فأخذه فألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره.

142/1

---

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَعْقَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَعْقَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبِي بَنِي خَلْفٍ

أَوْ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ» .

قال عبدالله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القليب، غير أبي أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع.  
عن ابن إسحاق: لما أجمع المشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه عمه أبو طالب، فمشى جماعة من أشrafهم كعقبة، وشيبة، وأبي جهل إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيه.  
فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا.  
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، فشري الأمر بينه وبينهم، فحضر بعضهم بعضاً عليه، ثم عادوا إلى أبي طالب فقالوا: لا نصبر على هذا.  
فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا، فلا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق.  
فقال: «يَا عَمَّاهُ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ» .

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام، فلما ولّى ناداه أبو طالب: أقبل إلي يا ابن أخي. فأقبل.  
فقال: اذهب فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.  
فبدأت الحرب، ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، وقام أبو طالب في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى المنع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

143/1

---

وكانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب يستخفون من قومهم فقاتلوهم، فضرب سعد ابن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى جهل فشجّه.  
فكان أول دم أريق في الإسلام.  
عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب، فأناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودّه، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل وقعد فيه.  
قالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا.  
قال: ما شأن قومك يشكونك؟

قال: «يَا عَمِّ، أَرَدْتُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمُ الْعَرَبُ، وَيُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْجَزْيَةَ» .

قال: ما هي؟

قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً.

ونزل: {ص والقرآن ذي الذكر} فقرأ حتى بلغ {ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ} \* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ \* كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ مِنَّا بِآيَةٍ \* وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ \* وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأُولَى إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ \* أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ \* أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ \* جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ \* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ \* وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ \* إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ \*

144/1

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ \* وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ \* اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ \* وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَعْتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ \* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ \* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ \* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ \* يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ \* وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَالِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ \* أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ

145/1

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ \* كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ \* وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِاتُ الْجِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي؟ أَحْبَبْتُ

146/1

حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ \* رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ \*  
وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْغِي  
لَا حُدَّ مِنْ بَعْدِي؟ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينَ  
كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ  
لَهُ عِنْدَنَا لَلْزُلْفَى وَحُسْنَ مَنَابٍ \* وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ  
\* ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي  
الْأَلْبَابِ \* وَخَذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* وَاذْكُرْ  
عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ \*  
وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ \* وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ \* هَذَا  
ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَابٍ \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ \* مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ  
كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ \* إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا  
مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ \* هَذَا وَإِنَّ

147/1

لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ \* هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ \* وَعَاخِرُ مِنْ  
شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ \* هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ \* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ  
أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ \* قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ \* وَقَالُوا مَا لَنَا لَا  
نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ \* أَخَذْنَاَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ \* إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ  
تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ \* قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ \* قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ \* أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ \* مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ  
يَخْتَصِمُونَ \* إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \*  
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ  
اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ



مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ \* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى

148/1

يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا نَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ \* قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ \* إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ {ص: 1، 5.

#### الباب العشرون

في ذكر ما روي عن إيمان أكثم بن صيفي برسول الله صلى الله عليه وسلم: لما بلغه خروجه عن ابن عمير قال: بلغ أكثم بن صيفي مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه، فقال: مَنْ يبلِّغه عني ويبلغني عنه؟ فانتدب رجلاً فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك، مَنْ أنت، وما أنت، وبم جئت؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ثم تلا عليهما {س16ش90 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}

النحل: 90

الآية.

فقالا: ردَّ علينا هذا القول. فردّه عليهم حتى حفظوه.

وأتيا أكثم فقالا: سألناه عن نسبه، فوجدناه واسط النسب في مضر، وقد رمى إلينا كلمات. فلما سمعنا أكثم قال: يا قوم، أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملامتها، فكونوا في الأمر رؤوساً، ولا تكونوا أذناباً، وكونوا فيه أولاً، ولا تكونوا آخراً. فلم يلبث أن حضرته الوفاة. فقال أكثم: ويلٌ للشجّي من الخلي، يا لهف نفسي على أمر لم أدركه ولم يفتني، ما آسى عليك بل على العامة، يا مالك، إن الحق إذا قام دفع الباطل.

149/1

فتبعه مائة نفس، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان في بعض الطريق عمد حُبَيْش إلى رواحلهم، فحرها وشق ما كان معهم من مزادة وهرب، فجهد أكثَمَ العطش، فمات وأوصى مَنْ معه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهدهم أنه أسلم.

فأنزل فيه: {س4ش100} وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا { النساء: 100

#### الباب الحادي والعشرون

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة وقال: «إِنَّ بَهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ بِبِلَادِهِ، فَتَحَرَّزُوا عِنْدَهُ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِفَرَجٍ مِنْهُ». فخرج جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم.

والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة.

وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من حيث نُبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخرجت قريش في آثارهم ففاتوهم.

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم وسمعوا: تلك الغرانيق العُلى وإنما قالها بعض الشياطين لا أنها جرت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سجد في السورة سجد المشركون معه، ورفع الوليد كفاً من تراب إلى جبهته.

فبلغ ذلك أهل الحبشة، فقالوا: إذا كانوا قد آمنوا فلنرجع إلى عشائرننا.

فرجعوا، فلقيهم ركب فسألوهم، فقالوا: ذكر محمد آهتكم فبايعوه، ثم عاد عن ذكرها فعادوا له بالشر.

فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ إلا ابن مسعود، فإنه مكث قليلاً ثم رجع إلى أرض الحبشة.

فسطت بهم عشائره وآذوهم، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج مرة أخرى، فخرجوا، وخرج معهم خلق كثير.

150/1

قال ابن إسحاق: جميع مَنْ لحق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بها: نَيْفٌ وثمانون رجلاً، إن كان عمار بن ياسر منهم.

وقال الواقدي: كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة قُرَشِيَّة وسبع غرائب.

عن عمرو بن العاص قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجلاً من قريش كانوا يرون

مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت رأياً فما ترون فيه؟

قالوا: وما رأيت؟

قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يده أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن ممن عرفنا فلن يأتيهم إلا خير.

فقالوا: إن هذا الرأي.

قلت: فاجمعوا ما يُهدى له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً. ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده.

قال: قلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أبي قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبا بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً. قال: ثم قدمته إليه فأعجبه واشتراه، ثم قلت: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً قد خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مد يده فضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه.

فقلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

151/1

فقال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟

قلت: أيها الملك أكذلك هو؟

قال: ويحك يا عمرو أتعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على ما خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم.

فبسط يده فبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت.  
عن ابن مسعود قال: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا،  
وَبَعَثْتُ قُرَيْشَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ قَالَا:  
إِنْ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَنَا نَزَلُوا بِأَرْضِكَ وَرَغَبُوا عَنَا وَعَنْ مِلَّتِنَا.

قال: فَأَيْنَ هُم؟

قالا: فِي أَرْضِكَ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرُ: أَنَا خَطِيْبُكُمْ الْيَوْمَ. فَاتَّبَعُوهُ.

فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟

قال: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَنَا أَلَّا

نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

قال عمرو بن العاص: فَإِنَّهُمْ يَخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ.

قال: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ؟

قالوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ: هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحَهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَقْرَعْهَا  
ذَكَرٌ.

قال: فَرَفَعَ عَوْدًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبْشَةِ، وَالْقَسْيَسِينَ، وَالرَّهْبَانَ، وَاللَّهُ مَا تَزِيدُونَ عَلَى  
الَّذِي يَقُولُ فِيهِ مَا يَسَاوِي هَذَا.

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وإنه الذي بَشَّرَ بِهِ  
عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من المُلْكِ لَأَتَيْتَهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمَلُ نَعْلِيهِ  
وأمر بهدايا الآخرين فردَّت إليهم.

الباب الثاني والعشرون

في ذكر ما كتبه المشركون من التبرِّي من بني هاشم وبني المطلب

152/1

---

لَمَّا دَفَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَكَتَبُوا كِتَابًا  
تَعَاقدُوا فِيهِ أَلَّا يَنْكَحُوا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ وَلَا يَنْكَحُوهُمْ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ.  
وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ النَّبْوَةِ.

وَعَلَّقُوا ذَلِكَ الْكِتَابَ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا لِلْأَمْرِ.

فلما فعلوا ذلك انحاز بنو هاشم، وبني المطلب إلى أبي طالب فدخلوا عليه في شِيعِهِ، وخرج منهم أبو

هَبَ وظَاهَرَ الْمُشْرِكِينَ.

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سَنِينَ وَقَطَعُوا الْمِيرَةَ وَالْمَادَّةَ عَنْهُمْ، فَكَانُوا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مِنْ مَوْسَمٍ إِلَى مَوْسَمٍ، حَتَّى بَلَغَهُمُ الْجَهْدُ.

وَكَانَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ يُدْخِلُ إِلَيْهِمْ أَحْمَالَ طَعَامٍ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ.

ثُمَّ نَقِضَ حُكْمَ الصَّحِيفَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَفِي سَبَبِ نَقْضِهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرِ صَحِيفَتِهِمْ، وَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ أَكَلَتْ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرٍ وَظُلْمٍ، وَبَقِيَ مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَأَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: أَحَقُّ مَا تَخْبِرُنِي بِهِ يَا بَنَ أَخِي؟

قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا عَمَّ.

فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ لِأَخْوِيهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَّبَنِي قَطُّ.

قَالُوا: فَمَا تَرَى؟

قَالَ: أَرَى أَنَّ تَلْبَسُوا أَحْسَنَ ثِيَابِكُمْ وَتَخْرُجُوا إِلَى قَرِيْشٍ فَتَذَكُرُ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَهُمُ الْخَبَرُ.

فَخَرَجُوا حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّا قَدْ جِئْنَا فِي أَمْرٍ فَأُجِيبُوا فِيهِ، قَالُوا: مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا.

قَالَ: إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي قَطُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَى صَحِيفَتِكُمُ الْأَرْضَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرٍ أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قِطْعَةٍ رَحِمٍ، وَبَقِيَ فِيهَا كُلُّ مَا ذَكَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَ ابْنُ أَخِي صَادِقًا نَزَعْتُمْ عَنْ سُوءِ رَأْيِكُمْ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمْ فَتَقَاتَلْتُمُوهُ أَوْ اسْتَحْيَيْتُمُوهُ إِنْ شِئْتُمْ.

قَالُوا: قَدْ أَنْصَفْتَنَا.

153/1

---

فَأَرْسَلُوا إِلَى الصَّحِيفَةِ، فَلَمَّا فَتَحُوهَا إِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: هَلْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنْكُمْ أَوْلَى بِالظُّلْمِ وَالْقِطْعَةِ.

فَلَمْ يَرَا جَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. ثُمَّ انْصَرَفُوا.

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَشْيَاخٍ لَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْخَارِثِ الْعُمَرِيَّ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ

أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وَتَنْكَحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ لَا يَتَاعُونَ وَلَا

يُتَّاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ أَمَّا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ أَخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ

دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا.

قَالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ، فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ آخَرُ لَقِمْتُ فِي نَقْضِهَا.

قال: قد وجدت رجلاً.

قال: مَنْ هو؟

قال: أنا.

قال: ابغنا ثالثاً.

فذهب إلى المطعم بن عديّ، فقال له: يا مطعم، أرضيت أن تملك بطنان من بني عبد مناف، وأنت

موافق لقريش في ذلك

قال: ويحك ماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت ثالثاً.

قال: مَنْ هو؟

قال: زهير بن أمية.

قال: ابغنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام فقال له نَحْوَ ما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل من أحد يُعِين

على هذا؟

قال: نعم، زُهير، والمطعم، وأنا معك.

قال: ابغنا خامساً.

فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود فكلّمه. فقال: وهل على هذا الأمر أحد؟

قال: نعم. فسَمَّى له القوم.

فاتَّعدوا واجتمعوا، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها.

فعدا زُهير فطاف ثم قال: يا أهل مكة، إنا نأكل الطعام، ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم

هَلَكُوا، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة.

فقال أبو جهل: كذبت والله لا تُشَق.

فقال زَمْعَةُ: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كُتبت.

فقال أبو البختريّ: صدق زَمْعَةُ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرُّ به.

154/1

فقال: المطعم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نَبَرَأ إلى الله منها ومما كُتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نَحْوَ ما قال ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بليلى وتُشَوَّرَ فيه بغير هذا المكان.

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من «باسمك اللهم».

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم فشلت يده.  
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وهو بمنى: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ». .  
يعني بذلك: اخصب. وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### الباب الثالث والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع ضَمَاد الأَزْدِي الوافد  
عن ابن عباس: أن ضَمَاداً قدم مكة، وكان من أَزْدِ شَنْوَةَ، وكان يَرْقِي من الريح، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون.

فقال: لو أني رأيتُ هذا الرجل، لعل الله أن يشفيه على يدي  
قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّد، إِنِّي أَرْقِي مِنَ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيِّ مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْحَمْدَ دِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيثُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ» .

فقال: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ.  
فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعتُ قولَ الكهنة والسَّحرة والشعراء، فما سمعتُ مثلَ كلماتك هَؤُلَاءِ ولقد بلغتُ قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَعَلَى قَوْمِكَ؟» .  
قال: وعلى قومي.

**155/1**

---

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً فَمَرُوا بِقَوْمِهِ، فقال صاحب الجيش: هل أصبتم من هَؤُلَاءِ شيئاً؟

قال رجل: أصبت منهم مُظْهَرَةً.  
قال: رُدُّهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَاد.

### الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة  
عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر،  
فليأت هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا، وشئت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلّمه فلينظر ماذا يردّ عليه.  
فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة.

فقالوا: ائنه يا أبا الوليد.

فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت.

ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبثها، وإن كنت تزعم أنك خير  
منهم فتكلم حتى نسمع قولك، ما رأينا سخلّة أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشئت أمرنا،  
وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا  
مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الباه فاختر  
أي نساء قريش فلتزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى  
قريش رجلاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فرغت؟» .

قال: نعم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {حم تزيّل من الرحمن الرحيم. كتاب فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بشيراً ونذيراً} حتى قرأ: {س41ش13 فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ  
عَادٍ وَثَمُودَ} فصلت: 13

فقال له عتبة: حسبك، فما عندك غير هذا؟

قال: «لا» .

فرجع إلى قريش، فقالوا له: ما وراءك؟

قال: ما تركتُ شيئاً أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته.

قالوا: فهل أجابك؟

قال: نعم.

156/1

---

قال: لا والذي نصّبها بنّية ما فهمت مما قال غير أنه قال: «أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود».

قالوا: ويليك يكلّمك بالعربية ولا تدري ما يقول

قال: والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.



## الباب الخامس والعشرون

في ذكر ما أشار به الوليد على قريش في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن سعيد بن جبير: أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنٍ فيهم، وقد حضر  
الموسمُ.  
فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستَقْدُم عليكم فيه، وقد سمعوا  
بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فَيُكَذَّب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه  
بعضاً.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأَقِم لنا رأياً نقل به.  
قال: بل أنتم فقولوا واسمعوا.  
قالوا: نقول إنه كاهن.  
قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمَنتهم ولا سَجْعهم.  
قالوا: نقول إنه مجنون.  
قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هم بختقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته.  
قالوا: فنقول إنه شاعر.  
قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه، وهزجه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشاعر.  
قالوا: فنقول: ساحر.  
قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسِحرهم، فما هو بنَفْثه، ولا عَقْده.  
قالوا: فما نقول؟  
قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لَعَذَق وإن فرعه لَجَنَاة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف  
أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: هذا ساحر، يفرِّق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين  
المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرِّقوا عنه بذلك.

عن عمرو: أن الوليد بن المغيرة قال: قد سمعت الشعر رجزه وقريضه فما سمعت مثل هذا؛ يعني:  
القرآن، ما هو بشعر، إن عليه لطلاوة وإن له لنوراً، وإنه يعلو وما يُعَلَى.

157/1

---

عن عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له،  
فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: أي عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً.  
قال: ولم؟

قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما نقوله.

قال: قد علمت قريش أبي من أكثرها مالا.

قال: فقل له قولاً يُلْغِ قَوْمَكَ أَنْكَ مِنْكَرٍ لما قال وأَنْكَ كَارِهِ لَهُ.

قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطاوة، وإنه لثمر أعلاه مُعْدِقٌ أسفله، وإنه ليحطّم ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعلَى.

فقال: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى انظر إليه.

قال: فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر. أي: يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ. فترل فيه: {س74ش11 ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً}

المدثر: 11

#### الباب السادس والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه يَبْذُلُ لَهُمُ النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناسَ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ.

وكان الطفيل بن عمرو الدؤسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدِمْتَ بِلَادَنَا وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَغْضَلَ بَنَاءَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحَرِ، يَفْرِقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجَتِهِ، وَإِنَّمَا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تَكَلِّمْهُ وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ.

158/1

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ على ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوتُ أُذُنِي حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا، فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ.

قال: فغدوتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ.

قال: فقمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ.

قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وأتكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فاتبعته حتى دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا. للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سدّدت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني أمرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية لتكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال: فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بشية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح. قال: فقلت: اللهم اجعله في غير وجهي فأني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم.

قال: فتحول فوق في رأس سوطي. فجعل الحاضرون يترآون ذلك النور في سوطي كالتنديل المعلق وأنا أنهيط إليهم من الشية.

قال: حتى جنتهم فأصبحث فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً. قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني.

159/1

قال: ولم أي بني؟

قال: قلت: أسلمت وبايعت محمداً صلى الله عليه وسلم.

قال: أي بني، فديني دينك.

قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت.

قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

قال: ثم أتني صاحبي، فقلت لها: إليك عني فلست منك ولست مني.

قالت: ولم بأبي أنت وأمي؟

قال: قلت: فرّق بيني وبينك الإسلام. فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام، فأبطأوا عليّ ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت: يا نبي الله، إنه قد غلبتني دوس فادع الله عليهم.

قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْقُفْ بِهِمْ» .

قال: فرجعت فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقضى بدرًا وأحدًا والخندق، ثم قَدِمْتُ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس.

#### الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب عند موته

عن سعيد بن المسيَّب قال: لما احتَضِرَ أَبُو طالب أَتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله ابن أبي أمية، وأبو جهل بن هشام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمَّ، إِنَّكَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقًّا وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًا، وَلَأَنْتَ أَعْظَمُ عَلَيَّ حَقًّا مِنَ وَالِدِي، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِبُ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

فقالا له: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؟

فقال: أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَمَاتَ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتُكِّمْ أَنَّهُ عَنْكَ» .

160/1

فأنزل الله تعالى: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ } إلى قوله: { س9ش113/ش114 مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ \* وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } التوبة: 113 – 114  
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

فقال: لولا أن تعيرني قريش فيقولون إنما حمّله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينك.

فأنزل الله عز وجل: { س28ش56 إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }

القصص: 56

انفرد بإخراجه مسلم.

وهكذا روي لنا الجزع — بالجيم والراي — وأهل اللغة ينكرون ذلك. قال ثعلب: إنما هو الخزع —

بالخاء والراء — وهو الضعف والخور.

عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُدْرِي قال: قال أبو طالب: يا ابن أخي، لولا رهبة أن تقول قريش وهربي الجزع فتكون سبّةً عليك وعلى بني أبيك، لفعلت الذي تقول، وأقررت بما عينك لما أرى من شكرك ووجدك بي ونصحتك لي.  
ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم، وما اتبعتم أمره فأتبعوه وأعينوه ترشدوا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمْ تَأْمُرْهُمْ بِهَا وَتَدْعُهَا لِنَفْسِكَ؟» .

161/1

فقال أبو طالب: أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لباعتك على الذي تقول، ولكن أكره أن أجزع عند الموت فترى قريش أني أخذتها جزعاً ورددتها في صحي.  
عن علي قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب فبكى، ثم قال: «أَذْهَبَ فَاغْسِلْهُ وَكَفِّنْهُ وَادْفِنْهُ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ» .  
قال: ففعلت.

قال: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: {س9ش113 مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}

التوبة: 113

الآية.

قال علي: فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت.  
عن علي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن عمك الشيخ الضال مات.  
قال: «أذهب فواره ولا تُحدث شيئاً حتى تأتيني» .  
فأتيته فقلت له، فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني ما عرض بمن من شيء.  
عن ابن عباس قال: عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال: «وَصَلِّتْكَ رَحِمٌ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا عَمُّ» .

عن العباس بن عبد المطلب قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، عمك أبو طالب، كان يغضب لك ويمنعك، هل ينفعه ذلك؟

قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». أخرجه في الصحيحين.

عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قريش: يا أبا طالب، أرسل إلى ابن أخيك فيرسل إليك من هذه الجنة التي يذكر بشيء يكون لك شفاء.

162/1

قال: فخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر معه جالس، فقال: يا محمد، عمك يقول لك: يا ابن أخي إني كبير ضعيف سقيم، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيء يكون لي فيه شفاء. قال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين. فرجع إليهم فأخبرهم. فقال: قد بلغت محمداً الذي أرسلتموني فلم يُجز لي شيئاً، فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين. فسكت محمد.

فحملوا أنفسهم عليه حتى يرسل رسولا من عنده، فوجدت الرسول في مجلسه. قال: فقال له مثل ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرمها على الكافرين طعامها وشرابها».

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت فوجده مملوءاً رجالاً فقال: «خلوا عن عمي». فقالوا: ما نحن بفاعلين، وما أنت بأحق به منا، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك. فجلس إليه فقال: «يا عم، جزيت خيراً، كفلتني صغيراً وحضنتني كبيراً، فجزيت عني خيراً يا عماء، أعني على نفسك بكلمة واحدة، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة». قال: وما هي يا بن أخي؟ قال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

قال: إنك لي ناصح، والله لولا نُعير بها بعدي فيقال: جزع عمك عند الموت. لأقررت بها عينك. قال: فصاح القوم: يا أبا طالب، أنت رأس الحنيفة ملة الأشياخ. فقال: أنا على ملة الأشياخ، لا تحدث قريش أن عمك جزع عند الموت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أزال أستغفر لك ربّي حتى يرُدني».

163/1

فاستغفر له بعدما مات. فقال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قرابتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين حتى نزلت الآية: {س9ش113 مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} التوبة: 113 حتى فرغ من الآية.

#### الباب الثامن والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب وخديجة عن عبد الله بن ثعلبة بن صُقَيْر قال: لما توفي أبو طالب وخديجة، وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان، فلزم بيته وأقلَّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به. فبلغ ذلك أبا هب فجاء فقال: يا محمد، امض لما أردت، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا يُوصل إليك حتى أموت. وسبَّ ابنُ الغَيْطِلَةِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه أبو هب فنال منه، فوَلَّى يصيح: يا معشر قريش، صَبَّأَ أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي هب، فقال: ما فارتقُ دينَ عبد المطلب، ولكن أَمْنَعِ ابنَ أخي أن يُضَامَ حتى يمضي لما يريد. فقالوا: قد أحسنتَ وأَجَمَلْتَ ووصلتَ الرَّحْمَ.

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك، يذهب ويأتي، ولا يعترض له أحد من قريش، وهابوا أبا هب، إذ جاء عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط وأبو جهل إلى أبي هب فقالا له: أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخِلُ أبيك؟

فقال له أبو هب: يا محمد، أين مدخل عبد المطلب؟

قال: «مَعَ قَوْمِهِ» .

قال: فخرج أبو هب إليهما، فقال: قد سألتُهُ فقال: مع قومه.

فقالا: يزعم أنه في النار

فقال: يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى مِثْلِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ دَخَلَ النَّارَ» .

فقال أبو لهب: والله لا بَرِحْتُ لك عدوًّا أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. فاشتد عليه وسائر قريش.

عن محمد بن جبير بن مطعم قال: لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.

#### الباب التاسع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى الطائف  
عن محمد بن جبير بن مطعم قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليال بَقِين من شوال سنة عشر.  
قال محمد بن عمر، بغير هذا الإسناد: فأقام بالطائف عشرة أيام. وقال غيره: شهراً. لا يدَع أحداً من أشrafهم إلا جاءه وكلمه.

فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم، فقالوا: يا محمد، اخرج من بلدنا والحق بِمَحَابِّك من الأرض. وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة، حتى إن رجليه لتندمیان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شَجَّ في رأسه شجاجاً.

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة وهو محزون.  
فلما نزل نخلة قام يصلي من الليل، فانصرف إليه سبعة نفر من الجن أهل نَصِيبين فاستمعوا، فأقام بنخلة أياماً ثم أراد الدخول.

فقال له زيد: وكيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك. فأخرج رجلاً من خزاعة إلى مطعم ابن عدي: أدخل في جوارك؟

قال: نعم.

وقال محمد بن كعب القرظي: لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثَقِيف، هم سادة ثَقِيف وأشrafهم يومئذ، وهم إخوة ثلاثة عَبْد يالِيل، ومسعود، وحبیب، أولاد عمرو بن عمير، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله تعالى وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.



وقال الآخر: أما وجد الله رسولا يرسله غيرك  
 وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.  
 فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يتس من خير ثقيف، وأغرّوا به سفهاءهم وعبيدهم يسؤونه ويصبحون به، حتى اجتمعت عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعنة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه.  
 فعمد إلى حُبلة من عنب فجلس في ظلها، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، فلما اطمأن قال، فيما ذكر لي: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس».

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَتَيْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يُتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ تُجِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» .

فلما رأى ابنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقي، دَعَا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عَدَّاس فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه.  
 ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال: «بِسْمِ اللَّهِ» . ثم أكل.  
 فنظر عَدَّاس إلى وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِيْنُكَ؟» .

166/1

قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.  
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟» .  
 قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟  
 قال: «ذَاكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ» .  
 فأكَبَّ عَدَّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبَّل رأسه ويديه ورجليه.  
 قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك.  
 فلما جاءهما عَدَّاس قالوا له: ويلك يا عداس، ما لك تقبَّلَ رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه؟  
 قال: يا سيدي، ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي بِطَعَامٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ» .

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ومعناه: أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فاراً من مكة ومعه بلال، إنما كان مع بلال من الطعام ما يُحمل تحت إبطه.

#### الباب الثلاثون

في دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأخنس بن شريق، فقال: «هَلْ أَنْتَ مُجِيرِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟» .

فقال الأخنس: إن الحليف لا يجير على الصريح.

فقال للرسول: أيت سهيل بن عمرو فقل له: إن محمداً يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالة ربي؟ فأتاه، فقال له ذلك فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب.

قال: فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: أيت المطعم بن عدي. فقل له: إن محمداً يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالة ربي؟.

قال: نعم فليدخل.

فرجع إليه فأخبره.

167/1

---

وأصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه، فدخل المسجد، فلما رآه أبو جهل قال:

أهجير أم تابع؟

قال: بل مجير.

قال: أجرنا من أجرت.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنتهى إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، ومطعم وأولاده مطيفون به.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ ابْنِ عَدِي حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ، يَعْنِي أَسَارَى بَدْرٍ، لَأَطْلَقْتُهُمْ لَهُ» .

## الباب الحادي والثلاثون

في عَرَض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في الموسم على القبائل فيقول: «يَا بَنِي فُلَان، إِنِّي رَسُولُ  
الله إِلَيْكُمْ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .  
فكان يمشي خلفه أبو هُب ويقول: لا تطيعوه.  
وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدَةَ في منازلهم فلم يقبلوا منه.  
وأتى بني حَنِيفَةَ في منازلهم فردُّوا عليه أَقْبَحَ رَدٍّ.  
وأتى عامرَ بن صَعْصَعَةَ.  
وكان لا يدَعُ من العرب من له اسمٌ وشَرَفٌ إلا دعاه وعَرَضَ عليه ما عنده.

وقال جابر بن عبد الله: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم  
بعكاظ ومِجَنَّةَ وفي المواسم يقول: «مَنْ يُؤْوِيَنِي مَنْ يَنْصُرُنِي؟» .  
عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف ويقول: «أَلَا رَجُلٌ  
يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَتَّعُونِي أَنْ أَبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي» .  
فصل

ربما عَرَضَ للمحد أو قليل الإيمان فقال: ما وَجَّهَ احتياج الرسول أن يدخل في خفارة كافر، وأن يقول  
في المواسم: من يؤوييني؟  
فلو كان أمره حقًّا كان مُرْسَلُهُ ينصره.  
فيقال له: قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة.  
فإذا خفيت حكمة فِعْله عنا وجب علينا التسليم له.

168/1

---

وما جرى للرسول إنما صَدَرَ عن الحكيم الذي أقام قوانين الكليات، وأدار الأفلاك، وأجرى المياه  
وأرسل الرياح، بتدبير مُحْكَمٍ لا خلل فيه.  
فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَرَ من الجوع ويُقْهَرُ ويُؤَذَى، علمنا أن تحت ذلك حِكْمًا، إن تَلَمَّحْنَا بعضَهَا  
لاحت من خلال سُجُفِ البلاء حكمتان:  
إحدهما: اختبار المَبْتَلَى لِيَسْكُنَ قَلْبُهُ إلى الرضا بالبلاء، فيؤدِّي القلبُ ما كَلَّفَ من ذلك.  
والثانية: بثُّ الشبهة من خِلال الحُجَجِ لِيُثَابَ المجتهد في دفع الشبه.

## الباب الثاني والثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة  
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ كما كان يصنع في كل  
موسم.

فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ، فَقَالَ: «مَنْ أَنْتُمْ؟»

قَالُوا: مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أَكَلِّمَكُمْ؟»

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ.

وَكَانَ قَدَمَاؤُهُمْ يَسْمَعُونَ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ نَبِيًّا مِنْ بَنِي غَالِبٍ.

عَنْ ابْنِ جُمَيْعٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الْوَفَاةَ قَالُوا لَهُ: قَدْ كُنَّا  
نَأْمُرُكَ بِالتَّزْوِيجِ فِي شَبَابِكَ فَتَأْتِي، وَهَذَا أَخُوكَ الْخَزْرَجُ لَهُ خَمْسُ بَنِينَ، وَلَيْسَ لَكَ غَيْرُ مَالِكٍ.

فَقَالَ: لَنْ يَهْلِكَ هَالِكٌ تَرَكَ مِثْلَ مَالِكٍ.

وَأَنشَدَ:

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ اللَّهَ دَعَا

يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبِرِّ

إِذَا بُعِثَ الْمَبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ

بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ

هِنَالِكَ فَاْبْعُثُوا نَصْرَهُ بِبِلَادِكُمْ

بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

وَكَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُونَ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ  
زَمَانُ نَبِيِّ.

فَلَمَّا كَلَّمَهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَعِدُّكُمْ يَهُودٌ فَلَا يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ.

فَأَجَابُوهُ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ قَدْ آمَنُوا.

169/1

---

وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ  
عَامِرٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَّابٍ.

فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى  
فَشَا فِيهِمْ.

فلما كان من العام المقبل قدم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، منهم الستة الذين تقدم ذكرهم سوى جابر، ومُعَاذ بن عَفْرَاء، وَذَكْوَان بن عبد قيس، وعُبَادَة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عبادَة، وعُوَيْم بن ساعدة، وأبو الهيثم بن التَّيَّهَان. فبايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

قال عُبَادَة بن الصامت: بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة ونحن اثنا عشر رجلاً أنا أحدهم، فبايعناه بيعةَ النساء على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وذلك قبل أن تُفرض الحرب، فإن وفيتم بذلك فلکم الجنة، وإن غشيتم شيئاً فأمرُكم إلى الله، فإن شاء غفر وإن شاء عذَّب.

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم مُصْعَب بن عُمَيْر إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن. فأسلم خلقٌ كثير.

#### الباب الثالث والثلاثون

في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي عن رجاله: كان المَسْرَى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً. وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا: أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة. وهذا قول ابن عباس وعائشة. وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول: قال قوم: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة. وقال آخرون: قبل الهجرة بستة أشهر.

170/1

---

فمن قال لِسَنَةِ فيكون ذلك في ربيع الأول. ومن قال لثمانية أشهر فيكون ذلك في رجب. ومن قال لستة أشهر فيكون ذلك في رمضان.

قلت: وقد كان في ليلة سبع وعشرين من رجب.

عن أنس بن مالك أن مالك بن صَعْصَعَة حَدَّثَهُ: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسْرِيَ به قال:

«يَبْنَما أنا في الحَطِيمِ»، وربما قال قتادة: في الحجر. «مُضْطَجِعٌ إِذْ أَنَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَقُولُ لصَاحِبِهِ:

الأَوْسَطُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ» . قال: «فَأَتَانِي فَقَدْتُ» ، وسمعت قتادة يقول: «فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ» .

قال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟

قال: من ثغرة نحره إلى شعرته.

وقد سمعته يقول: من قصه إلى شعرته.

قال: «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي» . قال: «فَأُتِيتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، فَعَسَلَ قَلْبِي ثُمَّ

حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْبُضٌ» .

قال الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟

قال: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه.

قال: «فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ» .

قال: «فَانْطَلَقَ بَيْنَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ

مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ» .

قال: «فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلُصْتُ إِذَا فِيهَا آدَمُ. قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ

ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالتَّيِّبِ الصَّالِحِ» .

«ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:

مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَفَتَحَ» .

»

171/1

فَلَمَّا خَلُصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. قَالَ:

فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالتَّيِّبِ الصَّالِحِ» .

«ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:

مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَفَتَحَ» .

«فَلَمَّا خَلُصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا

بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالتَّيِّبِ الصَّالِحِ» .

«ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:

مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَفَتَحَ» .

«فَلَمَّا خَلُصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ

السَّلام، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ .  
 قَالَ: «ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟  
 قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَفَتَحَ فَلَمَّا  
 خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونَ. قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامُ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ  
 الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ .

172/1

قَالَ: «ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟  
 قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ .  
 «فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا  
 بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ .  
 «فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: غُلَامٌ بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا  
 يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي .

قَالَ: «ثُمَّ صَعَدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ. فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟  
 قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. قَالَ: فَفَتَحَ .  
 «فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا  
 بِالْأَبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .  
 قَالَ: «ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ. قَالَ: هَذِهِ  
 سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى. قَالَ: وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ:  
 أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ .  
 قَالَ: «ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ .

قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ  
 يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ.

173/1

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، قَالَ: فَأَخَذْتُ  
 اللَّبَنَ، قَالَ: هَذِهِ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ .

قال: «ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَى خَمْسُونَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ» .  
قال: «فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ» .

قال: «فَرَجَعْتُ فَوَضِعَ عَنِّي عَشْرًا آخَرَ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: بِأَرْبَعِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَرْبَعِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ» .  
قال: «فَرَجَعْتُ فَوَضِعَ عَنِّي عَشْرًا آخَرَ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِثَلَاثِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ثَلَاثِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ» .

174/1

قال: «فَرَجَعْتُ فَوَضِعَ عَنِّي عَشْرًا آخَرَ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِعِشْرِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ لِعِشْرِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ» .  
قال: «فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعِشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ لِعِشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ» .

قال: «فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ لِحَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ التَّخْفِيفَ لِأَمَّتِكَ» .  
قال: «قُلْتُ: قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. فَلَمَّا نَفَذْتُ نَادَى مُنَادٍ: قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيطَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» .

عن جابر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفَّقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» .  
أخرجهما .

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي فَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ



فَطَعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ .  
قال: «فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا» .

175/1

فمرَّ به أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم» .  
قال: وما هو؟  
قال: «إِنِّي أُسْرِي بِيَ اللَّيْلَةَ» .  
قال: إلى أين؟  
قال: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» .  
قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟  
قال: «نعم» .  
قال: فلم يره أنه مكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك  
أتحدثهم ما حدثني؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم» .  
قال: هيا معشر بني كعب بن لؤي. حتى انتفضت إليه اجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فقال:  
حدثت قومك بما حدثني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أُسْرِي بِيَ اللَّيْلَةَ» .  
قالوا: «إلى أين؟» .  
قال: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» .  
قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟  
قال: «نعم» .  
قال: فَمِنْ بَيْنِ مَصْفَقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِحٍ يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ .  
ثم قالوا: أو تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَا زِلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ» . قال:  
«فَجِئْتُ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظَرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عُقَيْلٍ أَوْ عُقَالٍ، فَتَعْتُهُ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ» .  
فقال القوم: أما النعت فقد والله أصاب.

وقد روى حديث المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم: ابن مسعود،

وعلي، وأبو ذر، وأبيّ، وحذيفة، وأبو سعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ. وقد ذكرنا في حديث أنس بن مالك، من رواية شريك عنه، وفي رواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أنه قال: «رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا وَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعْ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحْيَى عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا». .

176/1

وهذا من أفراد مسلم، والأول أصح؛ لأنه قد اتفق البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك، ومن حديث أنس عن نفسه أنه حط عشرًا. فهذه الرواية التي فيها «فَحَطَّ خَمْسًا خَمْسًا» غلط من الراوي. عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْبُرَاقِ مُسْرَجًا مُلْحَمًا، فَذَهَبْتُ لِأَرْكَبَهُ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيَّ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: أِبْمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ وَاللَّهِ مَا رَكِبْتُ نَبِيًّا أَكْرَمَ مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَارْفَضَ الْبُرَاقُ عَرَقًا». .

#### الباب الرابع والثلاثون

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة عن كعب بن مالك قال: خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق.

وكان معنا عبدالله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، وكنا نكنم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غداً.

ثم دعونا إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأئلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

فمنّا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلَّلَ الْقَطَا.

حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ومعهم امرأتان: نُسَيْبَةُ بنت كعب أم عُمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس، وهو على دين قومه يومئذ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

177/1

---

فلما جلس قال: يا معشر الخزرج، قال: وكانت العرب إنما يُسمون هذا الحيَّ من الأنصار الخزرج، أوسها وخزرجها: إن محمداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتهم إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه خاذلوه فمن الآن فدعوه في عزٍّ ومنعة من قومه.

فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله، وخُذْ لنفسك وربك ما أحببت.

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعا إلى الإسلام، ثم قال: «أبايُعمُكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع منه أؤرنا.

فبايعنا يا رسول الله، فتحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثاها كابراً عن كابر.

فاعترض القوم أبو الهيثم بن التّيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبلاً وإنا قاطعوها يعني: العهود فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «بَلِ الدِّمُ الدِّمُ، وَهَدْمَ الْهَدْمُ، أَنْتُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْكُمْ، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ». .

وقال: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيّاً يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ». .

فأخرجوا اثني عشر نقيّاً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال ابن إسحاق: فحدثني معبد في حديثه عن أبيه كعب قال: كان أولَ مَنْ ضَرَبَ على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم: البراء بن معرور، ثم تتابع الناس.

178/1

---

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا

أهل الجَبَابِ — والجَبَاب: المنازل — هل لكم في مُدَمِّمِ الصُّبَاةِ معه قد أجمعوا على حربكم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ. أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ. أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرُغَنَّ لَكَ». .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ». .

فقال له العباس بن عباد: والذي بعثك بالحق إن شئتَ لنمِلَنَّ غداً على أهل منى بأسيا فانا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَمْ أُؤَمِّرْ بِذَلِكَ». .

فرجعنا فمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانيث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه. وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا. قال: فبعضنا ينظر إلى بعض. عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الموسم: «مَنْ يُؤَيِّنِي». حتى بعثنا الله من يشرب فأويناه وصدقناه، ثم قلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل منا سبعون حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عنده فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟

179/1

فقال: «تُبايعوني عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالتَّفَقَّةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ لَوْمَةً لَأَيِّمٍ، وَعَلَى أَنْ تُنْصِرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ».

فقمنا إليه فبايعناه.

وأخذ بيده أسعد بن زُرارة، وهو من أصغرهم وقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم وأن تعصكم السيوف، فإما أنتم قوم تصيرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جنة فثبتوا فهو أعذر لكم عند الله.

فقالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً. فقمنا فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

الباب الخامس والثلاثون

في علم قريش ما جرى للأنصار، وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك قال كعب بن مالك: لما تفرق الناس من منى وتنطس القوم الخبر وجدوه قد كان. فخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عباد في أذاخر والمنذر بن عمرو.

فأما المنذر فأعجزَ القومَ، وأخذوا سعداً فربطوا يديه إلى عنقه ثم أقبلوا به إلى مكة، فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية. فقالوا: قد كان يُجيز تجارتنا. فخلصاه.  
قال ابن إسحاق: وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً، وأقام ينتظر أن يُؤذَنَ له، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين إلا من أخذ وفتن سوى أبي بكر وعليّ. وكان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول لا تعجل.

180/1

---

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً تمنع علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم.  
فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره، ودار الندوة هي دار قُصَي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلاّ فيها، فدخلوا يتشاورون ما يصنعون.  
قال ابن إسحاق: وحدثني من لا آتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل فوقف على باب الدار، فقالوا: مَنْ الشيخ؟  
قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتَّعَدْتُمْ له فحضر معكم، وعسى أن لا يَعدِمكم منه رأي ونصح. فقالوا: ادخل. فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة.  
فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن تبعه، فأجمعوا فيه رأياً.

فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهة من الشعراء.  
فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا برأي، والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فوثبوا فانترعوه من أيديكم.  
فقال قائل: نخرجه من بين أظهرنا.  
فقال النجدي: والله ما هذا برأي، ألم تروا حُسْنَ حديثه وحلاوة منطقته وغَلِيته على قلوب الرجال بما يأتي به، ولو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يحُلَّ على حي من العرب فيتغلب عليهم بقوله حتى يبايعوه، ثم يسير بهم إليكم.  
فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدئ. قالوا: ما هو؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتنى شاباً جلدًا كَسِيباً وسيطاً، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم

يَعْمَدُونَ فَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُونَهُ، فَنَسْتَرِيحُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، فَلَمْ تَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعاً وَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ لَا أَرَى لَكُمْ غَيْرَهُ.

181/1

فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ.  
فَأَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْتَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا كَانَتِ الْعَتَمَةُ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ، ثُمَّ تَرَصَّدُوهُ مَتَى يَنَامُ فَيَشُونَهُ عَلَيْهِ.  
فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَحَّ بِرُؤْيِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ فِي بَرْدِهِ ذَلِكَ.  
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} الْأَنْفَالُ: 30

قَالَ: تَشَاوَرَتْ قَرِيشُ لَيْلَةَ بَعْكَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالوُثَاقِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ اقْتُلُوهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ.  
فَأُطْلِعَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسِبُونَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي.  
فَاقْتَصَوْا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَّغُوا الْجَبَلَ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعَدُوا فِي الْجَبَلِ فَمَرُوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَهُنَا لَمْ يَكُنْ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ. فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ، فَخَرَجَ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابِ فَشَرَّهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَلَمْ يَرَوْهُ وَقَرَأَ: {س36ش9 وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} يَس: 9  
ثُمَّ انْصَرَفَ حَيْثُ أَرَادَ.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟  
قالوا: محمداً.

182/1

قال: والله قد خرج عليكم محمد. فجعلوا يطلعون فيرون علياً عليه السلام عليه بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: هذا محمد عليه بُرده. فأقام إلى الصباح.

قال علي: فقممت عن الفراش فرأوني.  
قال الواقدي عن أشياخه: إن الذين كانوا ينتظرونه: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والتضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، وابن الغيثلة، وزمعة بن الأسود، وطعمة بن عدي، وأبو هب، وأبي بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: بينا نحن جلوسٌ في بيت أبي بكرٍ في حرِّ الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها.  
قال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ.  
قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له.  
فدخل فقال لأبي بكر: «أخرج من عندك» .  
فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك يا رسول الله.  
قال: «فإني قد أذن لي في الخروج» .  
فقال أبو بكر: الصّحبة بأبي أنت يا رسول الله  
قال: «نعم» .

قال: فخذ إحدى راحلتيّ هاتين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بالتّمن» .

قالت عائشة: فجهزناهما أحبّ الجهاز، ووضعنا لهما سُفرةً في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب، فبذلك سمّيت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكنا فيه ثلاث ليال. يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن، فيُدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش كبايت، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

183/1

ويرعى عليهما عمر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما، حتى تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو ابن منحتهما، حتى ينقح بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو على دين كفار قريش فأمناه، ودفعنا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما. وقد روينا عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لما أراد أن يخرج، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى جبل ثور.

وروي الواقدي، عن أشياخه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمثل أبي بكر إلى الليل، ثم خرجا إلى الغار. وكان خروجهما وقد بقي من صفر ثلاث ليال.

#### الباب الثاني

في ذكر ما جرى في الغار

عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا.

فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِئُهُمَا» .

أخرجاه في الصحيحين.

عن أنس قال: لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، دعني أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء كان بي قبلك.

قال: «أدخل» .

فدخل أبو بكر، فجعل يلمس بيديه، فكلما رأى جُحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه.

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيْنَ تَوْبِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» .



فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فأوحى الله تعالى إليه: قد استجيب لك.

عن عمر بن الخطاب أنه قال: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من آل عمر.

هل لك بأن أحدثك بليته ويومه؟

قال: قلت: يا أمير المؤمنين حدثني.

184/1

قال: أمّا ليلته لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل مكة خرج ليلاً، فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن شماله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعْلِكَ».

فقال: يا رسول الله، أذكر الرّصد فأكون أمامك، وأذكر الطّلب فأكون خلفك، ومن عن يمينك وعن يسارك، لا آمن عليك.

قال: فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حَفِيت رجلاه، فلما رآها أبو بكر أمّا قد حَفِيت حملة على كاهله، وجعل يشتد به حتى أتى به الغار فأنزله.

ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، ففعل ولم ير شيئاً، فحمّله وأدخله.

وكان في الغار حرق فيه حيات وأفاع، فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقمه قدمه، فجعلن يضربنه ويلسعن الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تتحدر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». فأنزل الله سكينة — أي طمأنينة — لأبي بكر. فهذه ليلته.

وقال الواقدي، عن أشياخه: طلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ الطّلب، حتى انتهت إلى باب الغار، قالت: إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم. فانصرفوا.

وقالت أسماء بنت أبي بكر: لم ندر بالحال، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني غناء العرب والناس يتبعونه، يسمعون صوته ولا يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ

رَفِيقِينَ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ

وسأني ذكر القصة إن شاء الله تعالى.

### الباب الثالث

في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة

قال أبو الحسن البراء: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول.

185/1

وذكر محمد بن سعد: أنه خرج من الغار ليلة الاثنين لأربع خلون من ربيع الأول. قلت: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً، وخرج معه أبو بكر، وعامر بن فهيرة، ودليلهم عبدالله بن أريقط الليثي، وكان على دين قومه، فأخذ بهم طريق السواحل.

عن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً، فقال: مُرِ البراءَ فليَحْمِلْهُ إلى منزلي. قال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه؟ قال أبو بكر: خرجنا فأدْلَجْنَا فَأَحْشْنَا يَوْمَنَا وَلَيْسْنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهيرة، فضربتُ ببصري هل أرى ظلاً آوي إليه، فإذا أنا بصخرة، فأهويت إليها، فإذا هو بقية ظلها، فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروةً وقلت: اضطجع يا رسول الله. فاضطجع. ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش. فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم.

قلت: هل أنت حالب لي؟

قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاةً منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفه من الغبار، ومعني إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كئيباً من اللبن فصبيت على القَدَح حتى برد أسفله. ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: اشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت. ثم قلت: قد آن الرحيل.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. فقال: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» .

حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قيدُ رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. وبكيت.

قال: «لَمْ تَبْكِي؟» .

قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك.  
فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ» .

186/1

فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد، فوثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله عز وجل أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمهنَّ على مَنْ ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا» . ودعا له، فانطلق ورجع إلى أصحابه.  
عن عبد الرحمن بن مالك المدلجي أن أباه أخبره أنه سمع سُرَاقَةَ يقول: جاءنا رُسُلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.  
فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال: يا سراقَة، إني رأيت آنفاً أسوداً بالساحل أراها محمداً وأصحابه.

قال سراقَة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالةً لهم، ثم لبثتُ في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزُجَّه الأرض وخفَضْتُ عاليه، حتى أتيت فرسي، فركبتها فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت منه، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأُزْلَامَ فاستقسمتُ بها: أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي وعصيت الأُزْلَامَ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخَتُ يداً فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضت ولم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأُزْلَامَ فخرج الذي أكره، فناديتهم الأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جنتهم. ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

187/1

فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني شيئاً إلا أن قال: أخف عنا.

فسألته أن يكتب لي كتابَ أمن، فأمرَ عامرَ بنُ فُهَيْرَة فكتبَ في رقعة من أدم. ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الزهري: وأخبرني عروة بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبيرَ في رَكْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابَ بياض.

#### الباب الرابع

في ذكر حديث أم مَعْبِد

عن أبي مَعْبِد الخُزَاعِي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر، وعمار بن فُهَيْرَة، ودليلهم عبدالله بن أُرَيْقَط، فمروا بجيمتي أم مَعْبِد الخُزَاعِيَة، وكانت امرأة جَلْدَة بَرْزَة تَحْتَبِي وتَقْعِد بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم.

فسألوها تمراً ولحماً يشترونه، فلم يصيوا عندها شيئاً من ذلك، فإذا القوم مُرْمِلُونَ مُسْتَنُونَ، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القَرَى.

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسْرِ الخيمة، فقال: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِد؟». فقالت: هذه شاة خَلَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ.

قال: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟».

قالت: هي أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ.

قال: «أَتَأْذِينِي لِي أَنْ أَحْلِبَهَا؟».

قالت: نعم بأي أنت وأمي إن كان رأيتَ بِهَا حَلْباً.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاة، فمسحَ ضرعها، وذكر اسم الله وقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي شَاتِهَا».

قالت: فَتَفَاجَّتْ وَدَرَّتْ وَاجْتَرَّتْ، فدعا بإناء يُرْبِضُ الرَهْطَ فحلبَ فيه ثَجًّا حتى علاه الشَّامَلُ.

فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم، وشربوا جميعاً عَلَلًا بعدَ هَلٍ حتى أراضوا.

ثم حلبَ فيه ثانية عَوْدًا على بَدْءِ فِغَادِرِهِ عندها ثم ارتحلوا عنها.

188/1

فَقُلَّ مَا لَبَثَ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ أَعْتَرًا حَيْلًا عَجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزْلًا مُحْطَنَ قَلِيلٍ لَا نَقَى بَيْنَ.

فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لكم هذا، والشاة عازبة ولا حَلُوبَة في البيت؟

قالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجل مُبارك، كان من حديثه كيت وكيت.  
قال: والله إني لأراه صاحبَ قريش الذي تطلب، صفيه لي يا أم معبد.  
قالت: رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاءة، متبَّجِ الوجه، حسن الخلق، لم تعبُه نُجْلَة، ولم تُزِرْ به صُعْلَة، قَسِيمٌ  
وسيم، في عينيه دَعَج، وفي أشفاره وَطْف، وفي صوته صَحْل، أَحَوْر، أَكْحَل، أَزْجُ، أَقْرَن، شديد سواد  
الشعر، في عنقه سَطَع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، كأنَّ  
مَنْطِقَه خِرْزَاتٌ تُطْمِنُ بِتَحَدُّرِن، حلو المَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ، أَجْهَرُ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ،  
وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنَهُ مِنْ قَرِيبٍ، رُبْعَةٌ لَا تَشْنُوهُ عَيْنٌ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ  
غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَبْهَى الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنَهُمْ قَدًّا، لَهُ رَفَقَاءُ يَحْفَوْنَ بِهِ، إِذَا قَالَ اسْتَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِذَا أَمَرَ  
تَبَادَرُوا لِأَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنِدٌ.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر له من أمره ما ذكر، ولو كنت وافيته لالتمستُ أَنْ أَصْحِبَهُ،  
ولأفعلنَ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وأصبح صوتٌ بمكةً عاليًا بين السماء والأرض يسمعونَه ولا يرون من يقوله وهو يقول:

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ

رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمِّ مَعْبِدٍ

هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ

فَأَفْلَحَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ

فِيَالَ قُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمْ

بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَاوِزِي وَسُودِدَ

سَلُّوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا

فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ

دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ

لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزِيدٌ

فَعَاذَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالٍ

بَدَرَتْهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ

189/1

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم وأجدوا على خيمتي أم معبد. فأجابه حسان بن ثابت فقال:

لقد خاب قومٌ زالَ عنهم نبيهم

وَقُدَّسَ مِنْ يَسْرِي إِلَيْهِ وَيَعْتَدِي  
تَرْحَلَ عَنْ قَوْمٍ فَرَّالَتْ عَقُولُهُمْ  
وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُورٌ مَجْدِدٍ  
وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالٌ قَوْمٍ تَسْفَهُوا  
عَمَى وَهْدَاةٌ يَقْتَدُونَ بِمَهْتَدِي  
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ  
وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ  
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ  
فَتَصْدِيقُهَا فِي ضُحَاةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ  
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ  
بِصُحْبَتِهِ، مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يُسْعِدِ  
وَيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ  
وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَدٍ  
الْبِرْزَةِ: الْكَبِيرَةِ.

وَالْمُرْمَلُونَ: الَّذِينَ نَفَدَ زَادُهُمْ.  
وَالْمُسْتَنُونَ: مِنَ السَّيِّئَةِ وَهِيَ الْجَدْبُ.  
وَكِسْرُ الْخِيَمَةِ: جَانِبُهَا.  
وَالْجَهْدُ: الْمَشَقَّةُ.  
وَتَفَاجَّتْ: فَتَحَتْ مَا بَيْنَ رَجُلَيْهَا لِتَحْلُبَ.  
وَيُرْبِضُ الرُّهْطُ: يَثْقُلُهُمْ فَيَرِبْضُوا.  
وَالثُّمَالُ: الرِّغْوَةُ.  
وَالْعَلَلُ: مَرَّةٌ بَعْدَ أُخْرَى.  
وَأَرَاضُوا: أَيِ رَوَوْا.  
وَالْحَيْلُ: اللَّاتِي لَسَنَ بِجَوَامِلَ.  
وَالْعَازِبُ: الْبَعِيدُ فِي الْمَرْعَى.  
وَالْمَتَّبِعُ: الْمَشْرِقُ.  
وَالْتَجَلَّةُ: عَظَمُ الْبَطْنِ وَاسْتِرْخَاءُ أَسْفَلِهِ.  
وَالصُّعْلَةُ: صَغَرُ الرَّأْسِ.  
وَالْوَسِيمُ: الْحَسَنُ، وَكَذَلِكَ الْقَسِيمُ.  
وَالدَّعَجُ: سَوَادُ الْعَيْنِ.  
وَالْوُطْفُ: الطُّوْلُ.  
وَالصَّحْلُ: كَالْبَحَّةِ.

والأحور: الشديدُ سوادِ أصول الأهداب خلقةً.

والسَّطَع: الطول.

وقولها: «إذا تكلم سَمًا»: أي علا برأسه ويده.

وقولها: لا تقتحمه عين: أي تحتقره.

والمُفْنَد: الهرم.

والصريح: الخالص.

والضرة: لحم الضرع.

عن أم معبد قالت: طلع علينا أربعة على راحلتين، فتلوا بي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبحها له، فإذا هي ذات دَرٍّ، فأدنيته منه فلمس ضرعها ثم قال: لا تذبحيها. فأرسلتها وجئت بأخرى فذبحتها وطبختها لهم، فأكل هو وأصحابه، فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه، وزودتهم منها ما وسعت سُفُوقهم، وبقي عندنا لحمها أو أكثره.

190/1

وبقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها، حتى كان عام الرمادة زمن عمر، وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة. قالت: وكنا نحلبها صُبُوحاً وَغَبُوقاً، وما في الأرض قليل ولا كثير.

الباب الخامس

في تورية أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة عن أنس قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رَدِيفه. وكان أبو بكر يُعرف في الطريق لاختلافه إلى الشام، وكان يمر بالقوم فيقولون: مَنْ هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هادٍ يهديني إلى الطريق. فلما دَنَوْا من المدينة بعث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار، إلى أبي أمامة وأصحابه، فخرجوا إليهما فقالوا: ادخلا آمنين مطاعين. فدخلوا. قال أنس: فما رأيت يوماً قط أنورَ ولا أحسنَ من يوم دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر المدينة. وشهدت وفاته، فما رأيت يوماً قط أظلمَ ولا أقبحَ من اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## الباب السادس

في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة بُريدة الأسلمي، وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه

عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطيّر، وكان يتفاءل، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة.

فركب بُريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سَهْم، فتلقي نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْتَ؟». فقال: أنا بُريدة.

فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، بُرْدٌ أَمْرُنَا وَصَلُحٌ»، ثم قال: «مِمَّنْ أَنْتَ؟». قال: مِنْ أَسْلَم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «سَلِمْنَا». قال: «مَنْ؟».

قال: من بني سهم.

قال: «خَرَجَ سَهْمُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ».

191/1

فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَنْتَ؟

قال: «أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ».

فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فأسلم بُريدة وأسلم مَنْ كان معه جميعاً.

فلما أصبح قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ إِلَّا وَمَعَكَ لَوَاءٌ». فحلَّ عمامته ثم شدّها

في رمح، ثم مشى بين يديه. فقال: يا نبي الله، تَنْزِلْ عَلَيَّ.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ نَاقَتِي هَذِهِ مَأْمُورَةٌ».

فقال بُريدة: الحمد لله الذي أسلمتْ بنو سَهْم طائعين غير مُكرهين.

## الباب السابع

في ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها



عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع المسلمون بالمدينة بمُخْرَجِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة.

وكانوا يَعدُّون كل غداة إلى الحَرَّةِ ينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة. فأقبلوا يوماً بعد ما أطلوا انتظارهم، فلما أَوْوَا إلى بيوتهم أَوْفَى رجلٌ من اليهود على أُطْمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه، فَبَصُرَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبَيِّضِينَ يزولُ بهم السرابُ. فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدُّكم الذي تنتظرونه. فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْرِ الحَرَّةِ، فعدَّلَ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف. فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً.

#### الباب الثامن

في ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال الزُّهري: قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

192/1

وروى حَنَشُ الصنعاني، عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، ونَبِىَ يوم الاثنين، ورفَعَ الحَجَرُ يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وقُبِضَ يوم الاثنين، صلى الله عليه وسلم.

#### الباب التاسع

في ذكر المكان الذي نزل به صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة عن أبي بكر الصديق قال: مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قَدِمْنَا المدينة، فتلَقاه الناس فخرجوا في الطرق وعلى الأباعر، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، جاء محمد.

قال: وتنازع القوم أيهم يترل عليه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنْزَلُ اللَّيْلَةَ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ، أَخَوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأَكْرَمِهِمْ بِذَلِكَ» .

فلما أصبح غدا حيث أُمر.

قلت: بيان الخُزُولة أن هاشماً تزوج امرأةً من بني عدي بن النجار، فولدت له عبد المطلب.

وقد ذكرنا في حديث عائشة آنفاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في بني عمرو بن عوف وهم أهل قِباء.

قال ابن إسحاق: فترل على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف، وقيل: نزل على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسّس مسجدهم، ثم خرج عنهم يوم الجمعة. وقيل: مكث فيهم بضعة عشر يوماً.

ثم ركب ناقته، وأرخصي لها الزمام، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى التزول عندهم وقالوا: هلمَّ يا رسول الله إلى العدد والعُدَّة، فيقول لهم: «خَلُّوا زِمَامَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ».

193/1

---

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب المسجد، وهو يومئذ مرَّيد، فلم يترل عنها، فوثبت فسارت غير بعيد، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا الأول فبركت فيه، ووضعت جِرائِها، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب رَحْلَهُ.

فترل على أبي أيوب فأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه.

وقال الواقدي عن أشياخه: لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام ببني عمرو بن عوف، فلما كان يوم الجمعة ارتفاحَ النهار دعا براحلته، وركب والناس معه عن يمينه ويساره، فاعترضته الأنصار لا يمرُّ إلا قالوا: هلمَّ يا نبي الله إلى القوة والمنعة، فيقول لهم خيراً ويقول: «إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ».

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أبو أيوب فحطَّ رَحْلَهُ وأدخله منزله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ».

وجاء أسعدُ بن زُرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده.

وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يتناوبون، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب.

وكان مقامه فيه سبعة أشهر.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين، فقدمَا بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة زوجته وأسامة بن زيد.

وخرج عبدالله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة.

فلما قدموا المدينة أنزلهم في بيت جارية بن النعمان.

قال محمد بن حبيب الهاشمي: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بقباء على كلثوم، وكان

يتحدث في منزل سعد بن خيشمة وسمي منزل العزاب، وركب من قباء يوم الجمعة يؤم المدينة فجمع في بني سالم، وكانت أول جمعة جمعها في الإسلام.

#### الباب العاشر في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه

عن أنس قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحراهما فرحاً بذلك.

194/1

---

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجوارٍ من الأنصار، وهن يتغنين يُقُلْنَ:  
نحن جَوَارٍ من بني التجارِ  
وحبذا محمدٌ من جَارِ  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكُمْ» .  
عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:  
طَلَعَ البدرُ عَلَيْنَا  
من ثَنِيَّاتِ الوداعِ  
وجب الشكرُ عَلَيْنَا  
مَا دَعَا لَهِ دَاعٍ

الباب الحادي عشر  
في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام حين دخل المدينة  
عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس، وكنت فيمن أتى،  
فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب، فسمعتة يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا  
الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» .

الباب الثاني عشر  
في فضل المدينة  
عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ  
بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَاتِ» .  
وأخرجاه.

وفي أفراد مسلم: من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُثْبِتُ أَحَدٌ عَلَى لَأُؤَيِّهَا وَشِدَّتِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .  
عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ شَفَعْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ فِيمَا سِوَاهَا، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ بِالْمَدِينَةِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ بِمَا سِوَاهَا» .  
عن أبي ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غُبَارُ الْمَدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الْجُدَامِ» .

195/1

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَلْبُ الْإِيمَانِ، وَمَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ» .

#### الباب الثالث عشر

في ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم  
عن عائشة قالت: لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مريداً للتمر لسهّل وسُهَيْل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به: «هذا المنزل إن شاء الله» . ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نُبْهَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثم بناه مسجداً، وطفق ينقل معهم اللبن في بنائه، ويقول:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرُهُ

هَذَا أَكْبَرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُهُ

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ

فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

عن أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فترّل في حيّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف.

فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى بني النجار، فجاؤوا بالسيف، وكأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه، وملاً بني النجار حوله، حتى

ألقى بفناء أي أيوب، وكان يجب أن يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مراتب الغنم، وإنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى بني النجار فقال: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا» . قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.

196/1

قال أنس: فكان فيه ما أقول لكم، كان فيه قبور المشركين وخرب، وفيه نخل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخراب فسويت وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبل المسجد، وجعلوا عضادته حجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

عن ابن عمر قال: كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده الخشب من النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناءه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً. ثم غيّر عثمان وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج. انفرد بإخراجه البخاري.

#### الباب الرابع عشر

في فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ وَمَسْجِدِي؛ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» .

عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» .

قال ابن عقيل: قوله: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي» إشارة إلى ما كان مسجداً في زمانه لا إلى ما أدخل في المسجد من الزيادة.

عن أبي سعيد قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء. وقال الآخر: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُوَ مَسْجِدِي» .

أخرجه مسلم.

#### الباب الخامس عشر

في ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

197/1

عن عبدالله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ يَتِّي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» .

أخرجه.

عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ يَتِّي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» .

أخرجه.

عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ مَنْبَرِي عَلَى تَرَعَةٍ مِنْ تَرَاعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» .

والترعة: الروضة على المكان المرتفع.

#### الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

عن محمد بن عمر قال: سألت مالك بن أبي الرجاء: أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؟

فأخبرني عن أبيه عن أمه، أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام في وجه المنبر، هذا أبعد.

ولما توفيت زينب بنت خزيمة أدخل أم سلمة بيتها.

قال محمد بن عمر: كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله، فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوّل له حارثة عن منزله، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه.

قال ابن سعد: وأوصت سودة ببيتها لعائشة.

وباع أولياء صفية بنت حيي بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم.

واشترى معاوية من عائشة مئزها بمائة ألف وثمانين ألف، وقيل ثمانين ألف. وشرط لها سكنها حياتها، وحمل إليها المال، فما قامت من مجلسها حتى قسمته.  
وقيل: بل اشتراه ابن الزبير من عائشة، بعث إليها خمسة أجمال تحمل المال وشرط لها سكنها حياتها، ففرقت المال، فقيل لها: لو خبات منه درهما؟ فقالت: لو ذكركموني فعلت.

198/1

وتركت حفصة بيتها فورثه ابن عمر فلم يأخذ له ثنأ، فأدخل في المسجد.  
قال ابن سعد: قال عبدالله بن يزيد الهذلي: رأيت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حين هدمها عمر ابن عبد العزيز وهو أمير المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك وزادها في المسجد، كانت بيوتا مبنية بالبلن ولها حُجَر من جريد، عددتُ تسعة أبيات مُحَجَّرها، ورأيت بيتَ أم سلمة وحجرتها من لبن.  
قال ابن شهاب: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل؛ بنتُ أم سلمة حجرتها بلبن، فلما قدم قال: «مَا هَذَا الْبِنَاءُ؟». .  
فقالت: أردت أن أكفَّ أبصار الناس.  
فقال: «إِنَّ شَرَّ مَا ذَهَبَ فِيهِ مَالُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْبُتْيَانُ». .  
وقال عطاء الخراساني: أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ؛ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم

فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لو دِدْتُ أَنَّهُمْ تركوها على حالها حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ويقدم القادم، فيكون ذلك مما يرهّد الناس في النكاث والتفاخر

#### الباب السابع عشر

في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة  
عن عائشة قالت: قدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي بيئة، فمرض أبو بكر، فكان إذا أخذته الحمى يقول:

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله

والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أخذته الحمى يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً

بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخَرٌ وَجَلِيلٍ  
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ  
وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ  
اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمّية بن خلف، كما أخرجونا من مكة.

199/1

---

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا قال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدُّ،  
اللَّهُمَّ صَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ» .

#### الباب الثامن عشر

في صلاته صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وتحويل القبلة  
عن البراء قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة  
عشر شهراً، ثم صُرفنا إلى الكعبة.

#### الباب التاسع عشر

في ذكر الوقت الذي حولت فيه  
قال محمد بن حبيب الهاشمي: زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ بشر بن البراء بن معرور في بني  
سَلَمَةَ، وذلك في يوم الثلاثاء للنصف من شعبان، فتعدى هو وأصحابه، وجاءت الظهيرة فصلى  
بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام.  
ثم أمر أن يستقبل الكعبة، ودارت الصفوف خلفه، ثم أتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين.

قال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس السبعة عشر شهراً.  
وقال السُدِّي: حوِّلت على رأس ثمانية عشر شهراً.

#### الباب العشرون

في نزول فرض رمضان  
عن أبي سعيد الخدري قال: أنزل فرض رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر، وأمر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بركاة الفطر قبل أن تُفرض الركاة في الأموال.

#### الباب الحادي والعشرون



في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحرس بالمدينة  
عن عائشة قالت: أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال: اللهم آتني رجلاً صالحاً من  
أصحابي يحرسني الليلة. إذ سمعتُ صوتَ السلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا؟»

قال سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله أتيتُ أحرسك.  
قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيته.

200/1

وفي رواية عن عائشة: فتزلت: {س5ش67} يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا  
بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ { المائدة: 67. فأخرج رسول  
الله صلى الله عليه وسلم رأسه من قُبَّةِ أَدَمَ وقال: «انصَرَفُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى» .

#### أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدلُّ العقلاء على صدقه.  
ولهذا قال عبدالله بن سلام: فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب.  
ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك.  
وكان في صغره يُعرف بالأمانة، والصدق، وجميل الأخلاق.  
وقد قال قيصر في حديث أبي سفيان: لم يكن لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وسنذكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى.

#### الباب الأول

في ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز

لَمَّا غَلَبَ السَّحَرُ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِجَنَسِهِ فِي مَعْجَزَاتِهِ، فَفَلَقَ الْبَحْرَ، وَأَلْقَى الْعَصَا.  
وَلَمَّا غَلَبَ الطَّبُّ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِجَنَسِهِ، فَأَحْيَا الْمَوْتَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَةَ.  
وَلَمَّا غَلَبَتِ الْفَصَاحَةُ، وَقَوْلُ الشَّعْرِ، وَالنَّظْمِ، وَالنَّشْرِ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ بِالْقُرْآنِ.  
وهو مُعْجَزٌ مِنْ أَوْجِه:

أحدها: ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة. فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل، ثم  
يعيدها باللفظ الوجيز، فلا يخلُ بمقصود الأولى.  
والثاني: مفارقتها لأساليب الكلام وأوزان الأشعار.

وبهذين المعنيين تحدثت العرب، فعجزوا وتحيروا وأقرؤوا بفضلله، حتى قال الوليد بن المغيرة: والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة.

201/1

عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة اجتمع هو ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بصاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً.

قالوا: أنت فقل وأقم لنا رأياً نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمع.

فقالوا: نقول: كاهن.

فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان، فما هو بزمنة الكاهن وسحره.

فقالوا: نقول مجنون.

فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

فقالوا: نقول شاعر.

قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: نقول ساحر.

قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنقته ولا عقده.

قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لمعقد وإن فرعه لمثمر، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف

أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر. فقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأخيه.

فتفرقوا عنه بذلك.

وكان النضر بن الحارث بن كلدة يقول: يا معشر قريش، لقد نزل بكم أمر ما ابتليت به مثله، والله ما

هو بساحر ولا كاهن ولا شاعر ولا مجنون.

ولما حضر عتبة بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليه: {حم تزييل من الرحمن

الرحيم} إلى أن بلغ فقال: {س41ش13} فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ

{فصلت: 13

. فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أن يكف، وقال لأصحابه: خفت أن ينزل بكم العذاب.

قال المصنف رحمه الله: فلما تحيَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا نودي عليهم بالعجز عن مماثلته، بقوله تعالى: { فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ }، ثم قال: {س2ش24} فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ {

#### البقرة: 24

ومعلوم أن النفوس الأبيَّة إذا قُرعت بمثل هذا استفرغت الوُسْع. فلما عدلوا إلى المخاربة والقتال، ورضوا بسبِّي الذراري وأخذ الأموال، غلُم عَجْزُهم، وهم معدن البلاغة والفصاحة، والقرآن من جنس كلامهم. ولما أقدم مُقَدِّمهم على معارضته نظر إلى السُّور القصار فعارضها، لأن تأليف الطوال تبين به الفصاحة الزائدة على الحد. فعارض سورة الفيل فقال: الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وييل وخرطوم طويل، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل. وقال: يا ضفدع تأنيث ضفدعين نُقي كم تتقيّن، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. قال: ومن العجائب شاة سوداء تحلب لبناً أبيض.

فظهرت فضائحهم بمثل هذا، ولو سكتوا كان أصلح لهم. وممن طُمِس على قلبه أبو العلاء المَعْرِي، فإنه جمع كلاماً سماه: «الفصول والغايات» يعارض بزعمه السور والآيات، وقد رأيته فما رأيته أبرَد من ذلك الكلام ولا أسمع. وقد جعله على حروف المُعْجَم في آخر كلماته، فمن حرف الألف: «كان النعال على عصي الطَّلح يعارضون الركائب في الهوادج والظلماء تستغفر لهم، فخبَّ القمر وضياء الشمس، وهنيئاً لتاركي الثُّوق طلائح في غيطان الفلاة يحوم عليها ابن داية، ويطيف بها السرحان، وسانان أوراك، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء».

وكله من هذا الجنس البارد.

قال ابن عقيل: وحكى لي أبو محمد بن مسلم النحوي قال: كنا نتذاكر إعجاز القرآن، وكان ثمَّ شيخ كبير الفضل، فقال: ما فيه يَعْجز الفضلاء عنه.

ثم ترقى إلى غرفة ومعه صحيفة ومخبرة، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاث أيام بما يَعلمه مما يضاهاى القرآن.

فلما انقضت الأيام الثلاثة، صعد واحد فوجده مستنداً يابساً وقد جفت يده على القلم.  
قلت: وقد كان المرتضى العلوي يقول بالصرفة، وأن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثله، لا أنهم عجزوا.

قال ابن عقيل: الصرفُ عن الإتيان بمثله دالٌّ على أن القدرة لهم حاصلة، فإن كان في الصرف نوعٌ إعجاز، إلا أن كون القرآن في نفسه ممتنعاً على الإتيان بمثله لمعنى نعود إليه أكبر في الدلالة وأعلم لفضيلة القرآن.

وما قولُ مَنْ قال بالصرفة إلا بمثابة مَنْ قال: إن عيون الناظرين إلى عصى موسى تخيل لهم أنها حية وثعبان، لا أنها في نفسها انقلبت.

قال: والتحدّي للمصروف عن الشيء لا يحسن، كما لا يتحدثى العجم بالعربية.  
هذا قول ابن عقيل.

وأنا أقول: إنما يُصرفون عن الشيء بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله.  
فهل وجد لأحد منهم قبل الصرفة منذ وجد العرب كلاماً يقاربه مع اعتمادهم الفصاحة؟

والثالث في معجز القرآن: ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتب، مع كون الآتي بها أمياً لا يكتب ولا يقرأ، ولا علم بمجالسة الأخبار ولا الكهان، ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأخبار لم يُذكر ما أخبر به القرآن.  
والرابع: إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً لوقوعها على ما أخبر، كقوله: {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ} ثم قال: {س2ش94/ش95 قُلْ إِنْ كَأَنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} البقرة: 94، 95

204/1

وقوله: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} ثم قال: {س2ش23 وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة: 23

فما فعلوا.

وقوله: {س3ش12 قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكَوْنَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} آل عمران: 12  
وغلَّبوا:

وقوله: {س48ش27لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } {

### الفتح: 27

ودخلوا.

وقوله في أبي لهب: {س111ش3سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ }

### المسد: 3

وهذا دليل على أنهما يموتان على الكفر، وكذلك كان.

والخامس: أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض.

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً. وقال تعالى: {س15ش9إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }

### الحجر: 9

قال ابن عقيل: حفظ جميعه وآياته وسوره التي لا يدخل عليها تبديل، من حيث عجز الخلائق عن

مثله، فكان القرآن حافظ نفسه، من حيث عجز الخلائق عن مثله.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ، فَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

205/1

قال أبو الوفا علي بن عقيل: إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو مُلقًى إليه، فانظر إلى كلامه كيف يمتاز عن القرآن، وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبين، ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه وما للنبي صلى الله عليه وسلم كلمة تُشَاكِرُ نَمَطَ القرآن.

قال ابن عقيل: ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يستخرج منه آية قد أخذ معناها من كلام قد سبق، فإنه ما زال الناس يَكْشِفُ بعضهم عن بعض فيقال: المتبني أخذ من البحري.

قال: وقد سئل علي بن عيسى فقيل له: لو كان هذا الكتاب العزيز يترجم ما الذي كان ينبغي أن يترجم به؟

فقال: كان ينبغي أن يترجم بآية منه لا بشيء من كلامنا.

قالوا: وما هذه الآية التي يترجم بها؟

قال: قوله تعالى: {س14ش52 هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا؟} أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرَ  
أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءَ {إبراهيم: 52

قال ابن عقيل: ما أصاب ابن عيسى عندي، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفاً لئلا يختلط كتاب بكتاب،  
فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير سيوجد النظر في نفسه لا يختلط به غيره، فلماذا يترجم؟

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب مع تمييزه بإعجازه وعدم اختلاطه بغيره، وليُعلم كلام من هو،  
وتأليف من هو، كعادة آيات الكتب جاز أن يُكتب على جبهة الحيوانات: كالفرس، والبعير، وعلى  
جبهة الآدمي: هذا صنعة الله

فلما لم يحسن ذلك للعلة التي بينتها بطل أن الترجمة سائغة.  
وأنا لا أسوِّغ له ترجمة.

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ملقى في بَرِيَّةٍ، ما جاء به أحد، أخبرنا بما فيه من الدليل أنه من عند  
الله.

فكيف وقد جاء به المعصوم مؤيداً بالمعجزات؟

قال المصنف رحمه الله: وقد استخرجت معنيين عجيبين:

أحدهما: أن معجزات الأنبياء ذهبت بموقعهم، فلو قال ملحد اليوم: أي دليل على صدق محمد وموسى؟

206/1

ف قيل له: محمد شقَّ له القمر، وموسى شقَّ له البحر.

لقال: هذا محال.

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقَى أبداً، ليظهر دليل صدقه بعد  
وفاته، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء، إذ هو مصدق لهم ومخبر حالهم.

والثاني: أنه أخبر أهل الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل،  
وشهد لحاطب بالإيمان، ولعائشة بالبراءة، وهذه شهادات على غيب.

فلو لم يكن في التوراة والإنجيل صفة كان ذلك منفراً لهم عن الإيمان به، ولو علم حاطب وعائشة من  
أنفسهما خلاف ما شهد لهما به نفراً عن الإيمان.

الباب الثاني

في معجزه بشق القمر

قال ابن عباس: اجتمعت المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن كنت صادقاً فشقَّ

لنا القمر فرقتين.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فعلتُ تؤمنون؟» .

قالوا: نعم.

فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه أن يعطيه ما قالوا.

فانشق القمر فرقتين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: «يَا فُلَانُ، يَا فُلَانُ اشْهَدُوا» .

وذلك بمكة قبل الهجرة.

قال مجاهد: انشق القمر، فوقع فرقة فوق الجبل، وذهبت فرقة من وراء الجبل.

وقال ابن زيد: لما انشق كان يُرى نصفه على قيعان، والنصف الآخر على أبي قبيس.

عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْهَدُوا» .

أخرجاه.

وفي لفظ: انشق القمر شقة فوق الجبل وشقة يسترها الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اشهدوا» .

عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر

شقتين حتى رأوا حراءَ بينهما.

قال البخاري: عن ابن عباس: انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرجاهما.

207/1

عن عبدالله قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم: هذا سحرٌ سحرهم

ابن أبي كبشة، فاسألوا الذين يقدّمون عليكم، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق، وإلا فهو سحر.

فقدموا السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، قد انشق القمر.

عن ابن عمر في قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ

مُتَّبِعٌ \* وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ \* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ \*

حِكْمَةٌ بِالْعَمَىٰ ثَمَّ تَنْذُرٌ \* فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ \* خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ

مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ \* مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ \* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ

قَوْمٌ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ \* فدعا ربّه أني مغلوبٌ فانتصر \* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ \* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ \* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ

وَدُسِّرَ \* تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي  
وُنَذِرَ \* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ \* كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِرَ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا  
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ \* تَتَرَعَّى النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ \* فَكَيْفَ كَانَ  
عَذَابِي وَنَذِرَ \* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

208/1

مُدَكِّرٍ \* كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ \* فَقَالُوا: أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ \* أَعْلَقَى الذِّكْرُ  
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِيرٌ \* سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مِنَ الْكَذَّابِ

الْأَشِيرُ \* إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَمَيْهِمْ وَاصْطَبِرْ \* وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ  
مُحْتَضَرٌ \* فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِرَ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيَّحَةً وَاحِدَةً  
فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ \* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ \* كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ \* إِنَّا  
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ \* وَلَقَدْ  
أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ \* وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ فُذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِرَ \* وَلَقَدْ  
صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ \* فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِرَ \* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ \*  
وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ \* كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ \* أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ  
أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ \* أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ \* سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ \* بَلِ  
السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ \* إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ \* يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى  
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ \* إِنَّا

209/1

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ \* وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ \* وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ  
\* وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ \* وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ \* إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ {القمر: 1  
قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين.

الباب الثالث



في إظهار معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام  
عن جابر بن عبد الله قال: عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وكانت عندي شويهة  
عتر جذعة سمينة فقلت: لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.  
فأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير، وصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم.  
قال: فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصرافَ عن الخندق، قال: وكنا نعمل فيه  
نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا،  
وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير، فأحبُّ أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلي.  
وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده.  
فلما قلت له ذلك قال: «نعم».  
ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر. قال: قلت: إنا  
لله وإنا إليه راجعون.  
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه، فجلس فأخرجناها إليه. قال: فبارك وسَمِّي ثم  
أكل. وتواردوا الناسُ كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صَدَرَ أَهْلُ الخندق عنها.  
أخرجاه.

عن جابر بن عبد الله قال: توفي عبد الله بن عمرو بن حرام، يعني أباه، أو استشهد، وعليه دين.  
فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه أن يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ شيئاً، فطلب إليهم فأبوا.

210/1

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَذْهَبَ فَصَنَّفَ تَمْرَكَ أَصْنَأَ الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ وَعَدَقْتُ ابْنَ  
زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ وَأَصْنَأَهُ ثُمَّ أَبْعَثُ إِلَيَّْ» .

ففعلت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس في أعلاه أو في وسطه، ثم قال: «كِلَ لِلْقَوْمِ» .  
قال: فَكِلْتُ لَهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتَهُمْ، وبقي تمرى كأن لم ينقص منه شيء.  
انفرد بإخراجه البخاري.

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأصاب  
الناس مَخْمَصَةٌ، فاستأذن الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في نَحْرِ بعض ظَهْرِهِمْ وقالوا: يَبْلَغُنَا  
الله به.

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هَمَّ أن يأذن لهم في نحر بعض  
ظهرهم قال: يا رسول الله، كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جِيعاً رجالاً؟ ولكن إن رأيت يا رسول

الله أن ندعو الناس ببقايا أزوادهم نجمعها لهم، ثم تدعو الله فيها بالبركة، فإن الله تعالى سيبلغنا بدعوتك. أو قال: سيبارك لنا في دعوتك.

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم، فجعل الناس يحثون بالحثوة من الطعام وفوق ذلك، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر.

فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: فدعا ما شاء الله أن يدعو، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، وأمرهم أن يحثوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا مملوءة وبقي مثله.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حُجِبَتْ عَنْهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

عن عمر بن الخطاب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقلت: يا رسول الله، خرج إلينا الروم وهم شباع ونحن جياع، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم.

211/1

---

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس: «مَنْ كَانَ عَنْدهُ فَضْلٌ زَادِ فَلْيَأْتِنَا» .

فحزرنّا جميعاً ما جاؤوا به فوجدوه سبعاً وعشرين صاعاً.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فدعا فيه ثم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا وَلَا تَنْتَهُبُوا» .

فأخذوه في الجرب والغرائر حتى جعل الرجل يقدّم قميصه فيأخذ فيه، حتى صدروا وإنه نحو ما كانوا يحزرون.

عن أبي إياس قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأصابنا جهد حتى هممنا ننحر بعض ظهرنا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزادنا، فبسط له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، فبتاولت لأحزره فإذا هو كربضة العنز ونحن أربع عشرة مائة.

قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ثم حشونا جربنا.

انفرد بإخراجه مسلم.

عن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأُم سليم: لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء قالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها، فلقت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت ثوبي وردّتي بعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقممت عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُرْسَلْتُكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» .

فقلت: نعم.

قال: «يَطْعَامٌ؟» .

فقلت: نعم.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمن معه: «قُومُوا» .

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى

الله عليه وسلم حتى دخلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكَ» .

212/1

فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فُتَّتْ، وعصرت أم سليم عُكَّةً لها فَادَمَتْهُ.

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول: ثم قال: «إِنَّذَن لِعَشْرَةٍ» .

فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا فأكل القوم وشبعوا، والقوم ثمانون رجلاً.

أخرجاه.

عن أنس بن مالك قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله، قال: فصنعت أُمِّي أم

سليم حَيْسًا، فجعلته في تَوْرٍ فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل:

بعثت بهذا إليك أُمِّي، وهي تقرئك السلام وتقول لك: إن هذا لك منا قليل.

قال: فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أُمِّي تقرئك السلام، وتقول لك: إن

هذا لك منا قليل.

فقال: «ضَعْنِي» .

ثم قال: «أَذْهَبْ فَادْعُ فُلَانًا وَفُلَانًا، أَوْ مَنْ لَقِيتَ» . وسمي رجلاً.

قال: فدعوت مَنْ سَمِىَ ومن لقيت.

قال: قلت لأنس: كما كانوا؟

قال: زهاء ثلاثمائة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَنَسُ، هَاتِ التَّوْرَ» . فدخلوا حتى امتلأت الصُّفَّة والحجرة،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِيَتَخَلَّفْ عَشْرَةُ عَشْرَةٍ، لِيَأْكُلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ» .

قال: فأكلوا حتى شبعوا، وخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم.

ثم قال: «يَا أَنَسُ، ارْفَعْ» . فما أدري حين وُضعت كان أكثر أم حين رُفعت؟

عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، فقال النبي صلى

الله عليه وسلم: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فَعَجَنَ. ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ طويل بغم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَبْيَعًا أَمْ عَطِيَّةً؟» أو قال: «هَبَّةً» .

قال: بل بيع. فاشترى منه شاةً فَصُنَعَتْ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشَوَّى.

213/1

قال: وإم الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها، إن كان شاهداً أعطاه إياه وإن كان غائباً خبأ له. قال: وجعل منها قصعتين. قال: فأكلنا أجمعون وشبعنا، وفضل في القصعتين، فحملناه على بعير. أو كما قال. أخرجاه.

عن علي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بني عبد المطلب، ثم دعا بُعْسَ فشرَبوا حتى رَوُوا، وبقي الشراب كأنه لم يُمَسَّ أولُه بشرب، فقال: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنِّي هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟» .

قال: فلم يَقم إليه أحد. قال: فقامت إليه، وكنت أصغر القوم. قال: فقال: «اجْلِسْ» . ثم قال: ثلاث مرات، كلُّ ذلك أقوم إليه، فيقول لي: «اجلس» . حتى إذا كانت الثالثة ضرب يده على يدي.

عن سَمُرَةَ بن جُنْدَب قال: بيْنَا نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم أَيَّ بقصعة فيها ثريد. قال: فأكل وأكل القوم، فلم يزلوا يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل كل قوم، ثم يجيء قوم فيتعاقبون.

قال: قال له رجل: هل كانت تُمدُّ بطعام؟ قال: «أَمَّا مِنَ الْأَرْضِ فَلَا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ كَأَنْتَ تُمدُّ مِنَ السَّمَاءِ» . عن أبي أيوب الأنصاري قال: صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر طعاماً قَدَرَا ما يكفيهما، فأتيتهما به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ» .

قال: فشَقَّ ذلك عليَّ، ما عندي ما أزيد.

قال: وكأني تناقلت.

فقال: «أَذْهَبْ فَادْعُ لِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ». .  
فدعوتهم فجاءوا فقال: اطعموا، فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بايعوه قبل أن يخرجوا.

ثم قال: «أَذْهَبْ فَادْعُ لِي تِسْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ» .

214/1

قال: فأنا أخوف بالتسعين والستين مني بالثلاثين.  
قال: فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا. قال: فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً، كلهم من الأنصار.  
عن أبي هريرة قال: نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم ضيف، فالتمس له شيئاً يطعمه، فلم يجد له شيئاً، ثم وجد لقمة فجزأها أجزاء، ثم أتاه بها فقال: «سَمِّ وَكُلْ» . فأكل وفضلت فضلة، فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك لرجل صالح.

#### الباب الرابع

في ذكر معجزة صلى الله عليه وسلم في تكثير السمن  
عن أم أنس بن مالك قالت: كانت لي شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عُكَّةً، فقالت: يا زبيبة، امضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكة يأتدُم بها.  
فمضت بها إليه فقالت: يا رسول الله، إن أم سليم أرسلت إليك بهذه العكة لتأتدُم بها.  
فقال: «خُذُوهَا فَفَرِّغُوهَا وَرَدُّوهَا عَلَيْهَا» .  
فانصرفت بها وأم سليم غائبة عن المنزل، فعلقته على وتد، فلما رجعت أم سليم رأت العكة مملوءة سمناً تقطر، فقالت: يا زبيبة، ألم أتقدم إليك بحمل العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
فقالت: قد حملتها وإن لم تصدقني فاسأليه.  
فمضت فقالت: يا رسول الله، كنت وجهت إليك بعكة سمن لتأتدُم بها.  
قال: «قَدْ وَصَلْتُ» .

قالت: والذي بعثك بالهدى ودين الحق، لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر.  
قال: «أَفَتَعْجَبِينَ أَنْ أَطْعَمَكِ اللَّهُ كَمَا أَطْعَمَتِ نَبِيَّه؟ اذْهَبِي فَكُلِّي وَأَطْعِمِي» .  
فانصرفت ففرغت منها في عكة لنا، وأبقيت ما تأدمن به شهراً أو شهرين.

عن جابر: أن أم مالك الفهريّة كانت تهدي في عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما

بنوها يسألونها الإِدامَ وليس عندها شيء، عمدت إلى عُكَّتِها التي كانت تُهدِي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدت فيها سمناً، فما زال يأدم لها أُدمَ بيتها حتى عَصَرَتْه.

215/1

فأتت النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَعَصَرْتِيه؟» .

قالت: نعم.

قال: «لو تَرَكيه ما زالَ ذَلِكَ لَكَ مُقِيماً» .

انفرد بإخراجه مسلم.

#### الباب الخامس

في معجزه صلى الله عليه وسلم في تكثير التمر

عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة.

قال: فصهّهن بين يديه ثم دعا، وقال لي: «اجْعَلِهِنَّ فِي مِرْوَدِكَ وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَلَا تَنْشُرُهُ» .

قال: فحملتُ منه كذا وكذا وسَقاً في سبيل الله، وأكل وأطعم، وكان لا يفارق حَقْوِي، فلما قتل عثمان انقطع حقوي فسقط.

عن أبي هريرة قال: أُصِبْتُ بثلاث: موت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صُويجه وخويدمه، ومَقْتَل عثمان، وبالمِرْوَد.

قالوا: وما المِرْوَد؟

قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الناس مَخْمَصَةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟» .

قلت: نعم شيء من تمر في مِرْوَد.

قال: «فَأْتِنِي بِهِ» .

فأتيته به، فأدخل يده، فأخرج قبضةً فبسطها، ثم قال: «ادْعُ لِي عَشْرَةَ» .

فدعوت له عشرة، فأكلوا حتى شبعوا. ثم أدخل يده فأخرج قبضةً فبسطها، ثم قال: «ادْعُ لِي عَشْرَةَ» فدعوت له عشرة، فأكلوا حتى شبعوا.

فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كله وشبعوا.

ثم قال لي: «خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ، وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَأَقْتَصِرْ وَلَا تَكْبُهُ» .

قال أبو هريرة: فقبضت على أكثر ما جئت به، أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأطعمت، وحياة أبي بكر وأطعمت، وحياة عمر وأطعمت، وحياة عثمان وأطعمت، فلما قتل عثمان  
انتهب بيتي فذهب المزود.  
عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة وأصابهم عَوَزٌ من الطعام، فقال: «يَا  
أَبَا هُرَيْرَةَ، عِنْدَكَ شَيْءٌ؟». .  
قلت: نعم شيء من تمر في مزود لي.  
قال: «جِيءْ بِهِ» .

216/1

---

فجئت به على النطع فبسطته، فأدخل يده فقبض على التمر، فإذا هو واحد وعشرون ثمرة، ثم قال:  
«بِسْمِ اللَّهِ» . فجعل يضع كل ثمرة ويسمي حتى أتى على التمر، فقال به هكذا فجمعه.  
فقال: «ادْعُ فَلَانًا وَأَصْحَابَهُ» . فدعوت فلانًا وأصحابه فأكلوا، وشبعوا، وخرجوا. ثم قال: «ادْعُ  
فُلَانًا وَأَصْحَابَهُ» . فأكلوا وشبعوا وخرجوا.  
وفضل تمر، فقال لي: «اقْعُدْ» .  
فقعدت، فقال: «كُلْ» . فأكلت وأكل.  
وفضل تمر فأدخله في المزود فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِذَا أَرَدْتَ شَيْئًا فَأَدْخِلْ يَدَكَ وَلَا تَكُمًّا فَيَكُمًّا عَلَيْكَ»  
.

قال: فما كنت أريد تمرًا إلا أدخلت يدي فأخذت، ولقد جهزت منه خمسين وسقًا في سبيل الله، وكان  
معلقًا خلف رحلي فوقع زمن عثمان فذهب.  
عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: بعثني أُمِّي عَمْرَةَ بنت رواحة، فأعطتني تمرًا في  
ثوبي فقالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما.  
فانطلقت بذلك، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمس أبي وخالي، فقال: «تَعَالِي يَا بُنَيَّةُ  
مَا هَذَا مَعَكَ؟» .  
قلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثت به أُمِّي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديان به.  
قال: «هَاتِيهِ» .

قالت: فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما، وأمر بشوب فبسط ثم دحى التمر  
عليه، ثم قال لِإِنْسَانٍ: «اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ: هَلُّمُّوا إِلَى الْعَدَاءِ» .  
فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر عنه أهل الخندق وإنه ليسقط من  
أطراف الثوب.

## الباب السادس

في معجزته صلى الله عليه وسلم في تكثير الماء  
عن عمران بن حصين قال: كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعةً، ولا وقعة أحلى عند المسافرين منها، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس.

217/1

فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان، كان يسميهم أبو رجاء ونسيهم عوف، ثم عمر بن الخطاب الرابع.  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يُوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً أجوف جليداً، قال: فكبر ورفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ بصوته رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا إليه الذي أصابهم، فقال: «لَا ضَيْرَ أَوْ لَا تَضِيرُ، ارْتَجِلُوا» .

فارتحلوا فصار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء، فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس.  
فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال: «مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟» .

فقال: يا رسول الله، أصابتني جنابة ولا ماء.

قال: «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ» .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكا إليه الناس العطش، فترل فدعا فلاناً، كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف، ودعا علياً فقال: اذهب فابغيا لنا الماء.

قال: فانطلقا فلقيا امرأة بين مَزَادَتَيْنِ أو سَطِيحَتَيْنِ من ماء على بعير، فقالا لها: أين الماء؟  
فقال: عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفَرْنَا خُلُوفَ.

فقالا لها: انطلقني إذن.

قالت: إلى أين؟

قالا: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت: هذا الذي يقال له الصابي؟

قالا: هو الذي نَعْنِي، فانطلقني.



فجاءا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثاه الحديث، فاستنزلهما عن بعيرهما، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء، فأفرغ منه من أفواه المرأتين أو السطّيحيتين وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالي، ونودي في الناس: أن اسقوا واستقوا.  
فسقى مَنْ شاء واستقى مَنْ شاء، وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناءً من ماء، فقال: «أَذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ» .  
قال: وهي قائمة تنظر ما يُفعل بمائها.

218/1

قال: وأيم الله، لقد أفلح عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشدُّ ملئنةً منها حين ابتداء فيها.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجْمَعُوا لها» .  
فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً، وجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها.  
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ مَا رَزَيْنَا مِنْ مَائِكَ شَيْئاً، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَقَانَا» .  
قال: فأنت أهلها وقد احتبست عنهم، فقالوا: ما حبسك يا فلانة؟  
قالت: العجب لقيني رجلاً فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابيء، ففعل بمائي كذا وكذا، فوالله إنه لأَسْحَرُ مَنْ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ. وقالت ياصبيها السبابة والوسطى فرفعتهما إلى السماء؛ تعني: السماء والأرض، أو إنه لرسول الله حقاً.  
قال: فكان المسلمون يُغيرون على مَنْ حولها من المشركين ولا يصيبون الصَّرمَ الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟  
فأطاعوها فدخلوا في الإسلام.  
أخرجاه.  
عن البراء قال: انتهينا إلى الحديبية، وهي بئر قد نُزحت، ونحن أربع عشرة مائة.

قال: فترع منها دلوّاً، فتمضمض النبي صلى الله عليه وسلم منه ثم مَجَّ فيه ودعا. قال: فروينا وأروينا.  
عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدْيَ وأشعره وأحرم بالعمرة، فسار يعلل بهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضاً، فلم يلبثه الناس أن نزحوه.

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه.  
قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالرّي حتى صدّروا عنه.

219/1

عن البراء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فأتينا على ركيّ زمة، يعني قليلة الماء  
فترل فيها ستة أنا سادسهم، فأدليت إلينا دلو ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شقة الركيّ،  
فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثها، فرُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغمس يده فيها وقال  
ما شاء الله أن يقول، فعادت إلينا الدلو بماء فيها.  
قال: فلقد رأيت أحداً أخرج بثوب خشية الغرق.  
قال: ثم ساحت حتى جرت نهراً.

عن زياد بن الحارث الصدائي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام، ثم أتى وفد  
من قومي بإسلامهم، فقالوا يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتمعنا إليه، فإذا  
كان الصيف قلّ ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا، وإننا لا نستطيع أن نتفرق اليوم، كلٌّ من حولنا لنا  
عدو، فادع الله أن يسعنا ماؤها، فدعا بسبع حصيات ففرقهن في يده ودعا ثم قال: «إِذَا أَتَيْتُمُوهَا  
فَالْقُوهَا وَاحِدَةً وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى». فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد.

عن أبي إياس قال: جاء رجل بإداة فيها نقطة من ماء، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
قدح، فتوضأنا كلنا نُدَغِفُّهُ دَغْفَقَةً أَرْبَعِ عَشْرَ مِائَةٍ، ثم جاء بعدُ ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ فَرَّغَ الْوَضُوءُ» .  
انفرد بإخراجه مسلم.

عن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ،  
وَتَأْتُونَ الْمَاءَ عَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» .

فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى انبهار الليل وأنا  
إلى جنبه، فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمال عن راحلته، فأتيت فدعمته قبل أن أوقظه حتى  
اعتدل على راحلته.

220/1

ثم سار حتى قَمَوَّرَ الليل، فمال عن راحلته فدَعَمْتَهُ من غير أن أوقفه حتى اعتدل.  
ثم سار حتى كان من آخر السَّحَرِ مال مَيْلَةً أَشَدَّ من المِائَتَيْنِ الأولتين حتى كاد يَنْجفل، فَأَتَيْتَهُ فدَعَمْتَهُ.  
فرفع رأسه فقال: «مَنْ هَذَا؟» .

قلت: أبو قتادة.

قال: «مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرُكَ مِنِّي؟» .

قال: ما زال هذا مسيري منذ الليلة.

قال: «حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ» .

ثم قال: «هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ؟» ثم قال: «هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ؟» .

قلت: هذا راكب. ثم قلت: هذا راكب آخر حتى اجتمعنا فكنا سبعة رُكَبَ.

فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق، فوضع رأسه ثم قال: «احْفَظْ عَلَيْنَا صَلَاتَنَا» .

فكان أول مَنْ استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمسُ في ظَهْرِهِ، فَقُمْنَا فَرَعَيْنِ، ثم قال:  
«اركبوا» .

فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بِمِضْأَةٍ كانت معي فيها شيء من ماء، فتوضأ منها،  
وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: «احْفَظْ عَلَيْنَا مِضْأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ» .

ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان  
يصنع كل يوم وركب وركبنا معه.

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟

فقال: «أَمَّا لَكُمْ فِي أَسْوَةٍ؟» ثم قال: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ التَّفْرِيطُ فِي النَّوْمِ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ  
الصَّلَاةَ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الأُخْرَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلْيَصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهَ لَهَا» .

فانتبهنا إلى الناس وهم يقولون: يا رسول الله، هلكنَا عطشاً.

فقال: «لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ» .

221/1

ثم قال: «أَطْلِقُوا لِي غُمَرِي» . ودعا بالمِضْأَةِ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب، وأبو  
قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماءً في المِضْأَةِ فتكأبوا عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ كُلُّكُمْ سَيْرَوِي» .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم، حتى ما بقي غمري وغير رسول الله صلى الله  
عليه وسلم.

ثم صبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «اشْرَبْ». .  
قلت: لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
قال: «إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرْبًا». .  
فشربتُ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى الناس الماءَ جامِّينَ رَوَاءً.

#### الباب السابع

في ذكر نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم  
عن أنس بن مالك: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوراء، فأتي بإناء فيه ماء لا يَغْمُرُ أصابعه،  
فأمر أصحابه أن يتوضَّؤوا، فوضع كفه في الماء، فجعل الماء يَنبُعُ من بين أصابعه وأطراف أصابعه، حتى  
توضَّأ القوم.  
فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.  
أخرجاه.

عن عبد الله قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم: «اطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ مَاءٌ». .  
ففعَلنا، فأتي بماء، فصبه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه. ثم قال: «حَيَّ عَلَى  
الطَّهْورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ». . فمَلَأْتُ بطني منه واستقى الناس.  
أخرجه البخاري.  
عن ابن عباس قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في العسكر ماء، فأَتَاه رجل فقال: يا  
رسول الله، ليس في العسكر ماء.  
قال: «هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟». .  
قال: نعم.  
قال: «فَأْتِي بِهِ». .  
قال: فأَتَاه بإناء فيه شيء من ماء قليل.

222/1

---

قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه في فم الإناء وفتح أصابعه، فانفجرت من أصابعه  
عيون، وأمر بلالاً فقال: «نَادِ فِي النَّاسِ الْوَضُوءَ الْمُبَارَكُ». .  
عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فلم يجدوا ماء فأتي بتور من ماء،  
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم فيه يده وفرَّج بين أصابعه قال: فرأيت الماء يتفجر من بين أصابع

رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: «حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ وَالْبَرَكَاتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى». .  
قال الأعمش: فأخبرني سالم بن أبي الجعد قال: قلت لجابر بن عبد الله: كم كان الناس يومئذ؟ قال:  
قال: كنا ألفاً وخمسمائة.  
أخرجه البخاري.

عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة، فتوضأ  
منها ثم أقبل على الناس نحوه فقال: «مَا لَكُمْ؟». .  
قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ما يتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك.  
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.  
قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟  
قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.  
أخرجه.

عن جابر قال: أتينا العسكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا جَابِرُ، نَادِ تَوَضَّؤُوا». .

فقال: «أَلَا وَضُوءٌ أَلَا وَضُوءٌ». .  
فقلت: يا رسول الله، ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يُبْرِدُ لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم الماء في أَشْجَابٍ لَهُ، فقال لي: «انْطَلِقْ إِلَيْهِ». .  
فانطلقت فلم أجد إلا قطرة في عزلاء شَجَبٍ لو أُنْفِئَ لفرغه لشربه يابسه، فقال: «اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِ». .  
فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء ما أدري ما هو ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، وقال: «يَا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ» .

223/1

---

فقلت: يا جفنة الركب. فَأَتَيْتُ بِهَا تُحْمَلُ، فوضعتها بين يديه، فقال بيده في الجفنة، فبسطها وفرَّق بين  
أصابعي، ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: «يَا جَابِرُ، صُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ». . فصبت عليه وقلت:  
بسم الله.

فأريت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال: «يَا  
جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ». .  
فأتى الناس فسقوا حتى رووا، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة.

الباب الثامن

في معجزه صلى الله عليه وسلم في تكثير اللبن  
عن أبي هريرة قال: والله إني كنت لأعتمد على كبدي بالأرض من الجوع، ولقد قعدت على طريقهم  
الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله، ما سأله إلا لِيَسْتَبْعِنِي، فلم يفعل. فمر  
عمر فسأله فلم يفعل.

فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فعرف ما بوجهي وما في نفسي، فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ». .  
فقلت: لبيك يا رسول الله.  
قال: «إِلْحَقْ». فأتبعته، فاستأذنت فأذن لي، فوجد لنا في قرح فقال: «مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا اللَّبَنُ؟». .  
فقالوا: أهدها فلان وآل فلان.  
قال: «أَبَا هِرَ». .  
قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ». .  
قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لم يأتوا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءت الصدقة أرسل بها إليهم ولم يُصَبْ منها.  
قال: فأخزني ذلك، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً أتقوى بها بقية يومي وليلي، فقلت: أنا  
الرسول إذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، فما يبقى لي من هذا اللبن.

224/1

---

ولم يكن بد من طاعة الله وطاعة رسوله، فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا  
مجالسهم من البيت، ثم قال: «أَبَا هِرَ، خُذْ فَأَعْطِهِمْ». فأخذت القدر فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل  
القدر فيشرب حتى يروي ثم يرد القدر، وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروي ثم يرد القدر، حتى أتيت  
على آخرهم.

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ القدر، فوضعه في يده وبقي فيه فضلة، ثم رفع  
رأسه فنظر وتبسم وقال: «أَبَا هِرَ». .  
قلت: لبيك يا رسول الله.  
قال: «بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ». .  
فقلت: صدقت يا رسول الله.  
قال: «اقْعُدْ وَاشْرَبْ». .  
قال: فقعدت فشربت. ثم قال لي: «اشْرَبْ». فشربت. فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت: لا  
والذي بعثك بالحق ما أجد لها في مسلكتي.

قال: «نَاوِلْنِي الْقَدَحَ». فرددت إليه القدح فشرب الفضلة.  
عن نافع وكانت له صُحْبَةٌ قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وكنا زُهَاءً أربعمائة رجل، فترلنا في موضع ليس فيه ماء، فشقق ذلك على أصحابه، فقالوا: يا رسول الله، العطش.  
قال: فجاءت شُوبِهة لها قرنان، فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها، فشرب حتى رُوي وسقى أصحابه حتى رُووا، ثم قال: «يَا نَافِعُ، امْلِكْهَا اللَّيْلَةَ وَمَا أَرَاكَ تَمْلِكُهَا».

قال: فأخذتها فوتدت لها وتداً، ثم ربطتها بحبل، ثم قمت في بعض الليل فلم أر الشاة، ورأيت الحبل مطروحاً، فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألني، فقال لي: «يَا نَافِعُ، ذَهَبَ بِهَا الذي جَاءَ بِهَا».

#### الباب التاسع

في ظهور معجزته صلى الله عليه وسلم بمحيي الشجر إليه  
عن يعلى بن مِرَّةٍ الثقفي قال: بَيْنَا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فترلنا متراً فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها.

225/1

فلما استيقظ ذكرت ذلك له فقال: «هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنْتْ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْ تُسَلَّمَ عَلَيَّ فَأَذِنَ لَهَا»

عن يعلى بن مِرَّةٍ قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبانة حتى أبرزنا.

قال: «وَيْحَكَ، انْظُرْ هَلْ تَرَى مِنْ شَيْءٍ يُوَارِيَنِي؟» .

قلت: ما أرى شيئاً يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك.

قال: «فَمَا قُرْبُهَا؟» .

قلت: شجرة مثلها أو قريباً منها.

قال: «فَاذْهَبْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى» .

قال: فاجتمعنا، فبرز لحاجته، ثم رجع فقال: «اذْهَبْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا إِلَى مَكَانِهَا» فرجعت.

عن جابر بن عبد الله قال: سِرْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أَفْحَحَ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر به، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «أَتَقَادِي مَعِيَ يَا ذَنْ اللَّهِ تَعَالَى». فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائدَه، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «أَتَقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْ اللَّهِ تَعَالَى». فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لام بينهما فقال: «إِلْتِمَا يَا ذَنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ». فالتأمتا.

قال جابر: فخرجت أخضر مخافة أن يحسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُرْبِي فيبتعد، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق.

226/1

---

عن جابر قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجننا حتى نزلنا موضعاً ليس فيه شجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا جَابِرُ، اتَّبِعْنِي بِمَاءٍ». فاتبعته حتى انتهينا إلى موضع فيه شجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا جَابِرُ، آتِ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكُمَا انْضَمَّا».

فأقبلتا تَخْذُلَانِ الْأَرْضَ خَذّاً حتى انضمتا، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «يَا جَابِرُ، ابْتِهَمَا فَقُلْ لَهُمَا يَعُودَانِ إِلَيَّ مَوْضِعَهُمَا». عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، قد أسلمتُ فأرني شيئاً أزدد به يقيناً. قال: «فَمَا الَّذِي تُرِيدُ؟». قال: ادع تلك الشجرة فلتأتك. قال: «ادْهَبْ فَادْعُهَا».

فأتاها الأعرابي فقال: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمالت على جانب من جوانبها ففقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر ففقطعت عروقها، حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: السلام عليك يا رسول الله.

فقال الأعرابي: حسبي حسبي. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «ارْجِعِي». فرجعت فجلست على عروقها. عن ابن عمر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيْنَ تُرِيدُ؟». قال: إلى أهلي. قال: «فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟».



قال: وما هو؟

قال: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» .

قال: ومن يشهد على ما تقول؟

قال: «هَذِهِ الشَّجَرَةُ» .

227/1

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تحضُّ الأرضَ خدًّا، حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال. ثم رجعت إلى منبتها. ورجع الأعربي إلى قومه وقال: إن أتبعوني أتيتكم بهم، وإلا رجعت فكنت معك.

عن ابن عباس، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، بم أعرف أنك رسول الله؟

قال: «أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ فَجَاءَ، تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» .  
قال: نعم.

فدعاه فجعل يترل من النخلة حتى سقط في الأرض ثم جعل يَتَقَرَّضُ حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «عُدْ» . فعاد إلى مكانه.

قال: أشهد أنك رسول الله. وآمن.

عن أبي عبيدة بن عبد الله قال لي مسروق: أخبرني أبوك أن شجرة أُنذرت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن.

فإن قال أهل الإلحاد: هذا سحر.

قلنا: السحر خيال وشعبذة لا حقيقة.

قال الله تعالى: {س20ش66 قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى }

طه: 66

قال ابن عقيل: لو كان السحر قلباً للأعيان لساوى الإعجازَ وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المعجز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه، فمتى قلنا إن الساحر يقلب الأعيان كما نقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم لم تبق ميزة، وانسدَّ الطريق إلى حصول التحقيق.

قال: فإن قال قائل: فأى ثقة تبقى لنا بالمدرَكَات مع قوله: {س4ش157 وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ

مَنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {النساء: 157  
. وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره؟

228/1

فالجواب: أن القادر سَلَبَ حينئذِ المداركَ حسبَ الأصلح، على ما اقتضت الحكمة صيانتَه، وتعجيز الكفار عما عزموا عليه، ولو عُدِمَت الثقة بالمدارك جاز عدم الثقة بحلاوة العسل، لما يتطَرَّقُ من الغرض من المطاعم والأمزجة، فيدرك في حالٍ مُرًّا.  
فإن قال قائل: فما فائدة وقوع ما يجانس المعجزة من السَّحر، والكهانة، وغير ذلك.  
فالجواب: أن المراد التكليف، لتخليص المعجزة من الشعبة ليَحْطَى الفارقُ بثواب الاجتهاد، وما يزال السحرة يطعن بعضهم في بعض، والرسُلُ متساعدون.

#### الباب العاشر

في تحرك الجبل لأجله وسكونه لأمره صلى الله عليه وسلم  
عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حراء، فتحرك الجبل فضربه برجله، ثم قال: «اسْكُنْ حِرَاءُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ». .  
ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطَلْحَة، والزُّبَيْرُ، وسعد، وعبد الرحمن، ولو شئت أن أسمى التاسع لسمَّيتُ.

فأكثرُوا عليه: أخبرنا.

فقال: أنا.

#### الباب الحادي عشر

في ذكر شكوى البهائم إليه وذل المستصعب منها له صلى الله عليه وسلم  
عن عبد الله بن جعفر قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حائطاً من حيطان الأنصار وإذا جمل، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سرائره وذِفْرَاهُ، فسكن، فقال: «مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟» .  
فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يا رسول الله.  
قال: «أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْنِبُهُ» .  
انفرد بإخراجه مسلم.

عن يَعْلَى بن مَرَّة قال: كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ جاء جمل فخبث حتى ضرب بجرانه بين يديه، ثم ذرفت عيناه، فقال: «وَيْحَكَ، انْظُرْ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ، إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا» .

فخرجت أَلْتَمَسَ صاحبه، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه.

فقال: «مَا شَأْنُ جَمَلِكَ هَذَا؟» .

قال: لا أدري والله ما شأنه، عملنا عليه حتى عجز عن السقاية، فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسّم لحمه.

قال: «فَلَا تَفْعَلْ، هَبْهُ لِي أَوْ بَعْنِيهِ» .

قال: بل هو لك يا رسول الله.

قال: فوسّمه بميسم الصدقة، ثم بعث به إليه.

عن أنس قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْتُون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه استصعابه، وقالوا: قد عطش الزرع.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قُومُوا» .

فقاموا فدخلوا الحائط والجمل في ناحيته. فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصارية: إنه يا نبي الله قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته.

فقال: «لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ» .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كان حتى أدخله في العمل.

فقال له أصحابه: يا نبي الله، هذا بهيمة لا يعقل يسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك.

قال: «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ أَنْ يَسْجُدَ بَشَرٌ لِبَشَرٍ؛ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرُؤُوسِهَا مِنْ عَظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» .

عن جابر بن عبد الله قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار، وإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدّ عليه.

قال: فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء حتى أتى الحائط، فرغا البعير وجاء واضعاً شَفْرَه إلى الأرض، حتى برك بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَاتُوا خِطَامًا» فخطمه، ودفعه إلى صاحبه.

قال: ثم التفت إلى الناس فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَاصِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» .

عن جابر قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فإذا جمل بادٍ حتى إذا كان بين السماطين خرَّ ساجداً.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس: «مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟» .  
فإذا فتية من الأنصار قالوا: هذا لنا يا رسول الله.  
قال: «فَمَا شَأْنُهُ؟» .

قالوا: سنينا عليه منذ عشرين سنة، وكانت به شحمة، فأردنا أن ننحره فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا.

قال: «تَبِعُونِي؟» .

قالوا: لا، بل هو لك يا رسول الله.

قال: «أَمَّا لَا فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ» .

فقال المسلمون عند ذلك: يا رسول الله، نحن أحق بالسجود لك من البهائم.

قال: «لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ لِشَيْءٍ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ النَّسَاءُ لَأَزْوَاجَهُنَّ» .

وفي رواية أخرى، أنه قال: «إِنَّ بَعِيرَكُمْ هَذَا يَشْكُوكُمْ، يَزْعُمُ أَنَّكُمْ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ شَابًّا حَتَّى إِذَا كَبُرَ أَرَدْتُمْ نَحْرَهُ» .

#### الباب الثاني عشر

في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم التي ظهرت في المركوب

عن أنس قال: فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ الصَّوْتِ عَلَى فَرَسٍ عُرِّيَ لِأَبِي طَلْحَةَ، وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا» .

قال أنس: وكان الفرس يُبْطَأُ، فما سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ.

عن جابر قال: كنت أسير على جمل فأعيا، فأردت أن أسيبه، فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربه برجله ودعا له، فسار سيرا لم يسر مثله. أخرجهما.

#### الباب الثالث عشر

في رميه صلى الله عليه وسلم في وجوه المشركين بكف من تراب فملاً أعينهم

عن أنس قال: انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها «دُلْدُل»، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دُلْدُلُ الْبَيْدِي». فألزقت بطنها بالأرض، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب، فرمى بها في وجوههم، وقال: «حم لا يُنْصَرُونَ» فانهزم القوم، وما رمينا بسهم ولا طعنا برمح. وفي رواية: فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً. وسنذكر طرق هذا الحديث في غزاة حنين إن شاء الله تعالى.

#### الباب الرابع عشر

في إشارته صلى الله عليه وسلم إلى الأصنام فوقعت عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ستون وثلاث مائة صنم، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا». أخرجه.

عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتح مكة وحول البيت ثلاث مائة وستون صنماً، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب، فجعل يشير إليها ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ». فجعلت تستلقي من غير أن يمسه.

#### الباب الخامس عشر

في إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغائبات قال المصنف رحمه الله: قد سبق ذكر أشياء منها: أنه أخبر بأن الأرضة أكلت ما في الصحيفة التي كتبها المشركون بالبراءة من بني هاشم من ظلم وجور. عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ».

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإِيمُ اللَّهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

أخرجهما في الصحيحين.

قال المصنف رحمه الله: وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل: فقد مَلَكَ بعد كسرى وقيصر جماعة سُمُّوا بهذا الاسم، فَإِنَّ كُلَّ مَلِكٍ كَانَ لِفَارِسٍ يَسْمَى كِسْرَى، وكل ملك كان للروم يسمى قيصر.

فالجواب: أنه ما مَلَكَ مَنْ كَانَ لِلْمَلِكَةِ طَائِلٌ وَلَا ثُبُوتٌ، وما زال مُلْكُهُمْ مَتَزَلِلاً حَتَّى انْمَحَقَ.

عن أنس قال: كنا مع عمر بن مكة والمدينة، فتراءينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيتنه، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟

قال: سأراه وأنا مستلقٍ على فراشي.

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُرِينَا مَصَارِعَهُمْ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» .

قال: فجعلوا يُصْرَعُونَ عَلَيْهَا.

قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أخطؤوا تيك، كانوا يصرعون عليها.

انفرد بإخراجه مسلم.

عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجلٍ مِّنْ يَدْعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» .

فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقليل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِلَى النَّارِ» .

233/1

فكاد بعض القوم أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراح شديد. فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُّسْلِمَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ، بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» .

أخرجاه من حديث سهل بن سعد.

عن أبي حميد الساعدي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك فقال: «إِنَّهَا سَتَهَبُ عَلَيْكُمْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ فِيهَا رَجُلٌ، وَمَنْ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُوثِقْ عِقَالَهُ» .  
قال أبو حميد: فعقلناها، فلما كان من الليل هبَّت علينا ريح شديدة، فقام فيها رجل فألقته في جبل طيء.  
أخرجاه.

عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيُلْغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ» .  
قال المصنف رحمه الله: هذا قاله وهو محسورٌ ولا سلطان له على بلد، فكان كما قال، وقد بلغ ملكُ أُمته من أول المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بلاد البربر وبحر الأندلس.  
عن أبي سعيد الخدري قال: أخبرني أبو قتادة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» .  
انفرد بإخراجه مسلم.

عن أبي ذر قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع في المسجد، فغمزني برجله، فاستويت جالساً فقال لي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا؟» .  
فقلت: أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتي.  
قال: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُمَا» .

234/1

---

فقلت: إذن آخذ سيفي أضرب به مَنْ يخرجنِي.  
فقال: «عَقْرًا بَلْ تُقَادُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَادُواكَ، وَتُسَاقُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَاقُواكَ وَلَوْ عَبْدٌ أَسْوَدٌ» .  
قال أبو ذر: فلما نُفِيت إلى الرَبْذَةِ أَقَمْتُ الصَّلَاةَ، فتقدم رجل أسود كان على نَعَمِ الصَّدَقَةِ، فلما رَأَيْتُ أَخَذَ لِي رَجْعَ وَلِيقْدَمَنِي، فقلت: كما أنت، بل أُنْقَادُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «مَنْ يُبْسَطُ ثَوْبُهُ حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ حَدِيثِي ثُمَّ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْسَى شَيْئاً سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا» .  
قال: فبسطت ثوبي، أو قال: نمرتي، ثم حدثنا، فقبضته إليّ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه.  
أخرجاه.

عن عبد الله بن رافع أنه سمع علياً يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا، والزيبر، والمقداد

فقال: «اُطْلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» .

فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجني الكتاب.

قالت: ما معي من كتاب.

فقلنا: لتخرجين الكتاب أو لتلقيين الثياب.

فأخرجت الكتاب، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن بلعنة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» .

قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من كان من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من التَّسب فيهم أن اتخذ فيهم يداً يَحْمُونَ بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا أَرْضَى بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُم» .

فقال عمر: دَعْنِي أَضْرِبْ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

235/1

فقال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذَرًا، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذَرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» .

أخرجاه.

عن أبي بكر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وكان الحسن بن علي يشبُّ على ظهره إذا سجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» .

عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِمَ من سَفَرٍ، فلما كان قُرْبَ المدينة هاجت ريح تكاد تدفع الراكب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَبَّتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ» .

فقدم المدينة، فإذا منافق عظيم من المنافقين مات ذلك اليوم..

عن عدي بن حاتم قال: بَيْنَا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قَطْعَ السَّيْلِ.

فقال: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟» .

قلت: لم أرها وقد أنبت عنها.



فقال: «إِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةً لَتَرَيْنَ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيَرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» .

قلت، بيني وبين نفسي: فأين دُعَار طيء الذين قد سَعَرُوا البلاد؟.

قال: «وإِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةً لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى» .

قلت: كسرى بن هُرْمَزْ؟.

قال: «كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ» .

«وإِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةً لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ ذَهَبًا وَفِصَّةً، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ» .

قال عدي: فرأيت الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيَرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرْمَزْ.

وإن طالت بكم حياة لتروُنَّ ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ. أخرجاه.

236/1

عن أبي موسى: أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل يستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَفْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فإذا هو أبو بكر رضي الله عنه، ثم استفتح رجل آخر فقال: «أَفْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فإذا عمر، ففتحت له وبشَّرتَه بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، وكان متكئاً فجلس، فقال: «أَفْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلَوَى تُصِيبُهُ» . فإذا عثمان، ففتحت له وبشَّرتَه بالجنة، فأخبرته بالذي قال: فقال الله المستعان. أخرجاه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الثُّرُكُ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمُرُ الْوُجُوهِ، ذُلْفُ الْأَنْوَفِ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ» .

عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً إذ جاءه ذو الحَوَيْصَرَةِ وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله، اعدل.

قال: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَقَدْ خَبِتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» .

فقال عمر: ائذن لي فيه فأضرب عنقه.

فقال: «دَعَهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَضْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضْيِهِ وَهُوَ قَدْ حُدَّ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَصْدِيهِ مِثْلُ تَنْدِي الْمَرَأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرَدُرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينٍ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» .

قال أبو سعيد: وأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس، فأُتِيَ به حتى نظرت إليه على نَعْتِ النبي صلى الله عليه وسلم الذي نَعْتَهُ.  
والرِصَافُ: جمع رِصْفَةٍ، وهي عَقَبَةٌ تُلَوَّى عَلَى مَدْخَلِ النِّصْلِ فِي السَّهْمِ.  
وَالنَّضْيُ: الْقِدْحُ قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَ.  
وَالْقُدْزُ: رِيَشُ السَّهْمِ.  
وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ مَرَقَ عَاجِلًا فَلَمْ يَلْقَ بِهِ دَمٌ.

عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بصفية يوم خير، وأُتِيَ بزوجه وأخيها، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتما شيئاً فإن كتماه استحلّ دماءهما، فأما أحدهما فصدقه ولم يكتمه، وأما كنانة وهو زوج صفية فكتمه مسك الجمل، وكان فيه حلي كثير، فقال: «يَا كِنَانَةَ، إِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ أَنْ لَا تَكْتُمَنِي شَيْئًا، فَأَيْنَ مُسِكَ الْجَمَلُ؟» .  
فقال: ما كتمتك شيئاً.  
فأتاه جبريل فأخبره بمكانه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «اذْهَبُوا فَإِنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا» .  
فلما أُتِيَ به أمر بهما، فضربت أعناقهما، وقال لبلال: «خُذْ يَدَ صَفِيَّةَ» .

فأخذ بيدها فمر بها بين القبيلتين، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخبرها بين أن يعتقها فترجع إلى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا، أو تسلم فيتخذها لنفسه.

فقال: أختار الله ورسوله.

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس: «انصروا عن أكم». حتى إذا كان على ستة أميال من خير مال يريد أن يعرس بها، فأبت فوجد عليها في نفسه، فلما كان بالصهباء مال إلى هناك فطاوعته، فقال: «ما حملك على إباتك؟» .

قالت: خشيت عليك قرب يهود.

فأعرس بها، وبات أبو أيوب يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور حول خبائه، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطء قال: «من هذا؟» .

قال: خالد بن زيد.

قال: «ما لك؟» .

فقال: ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك.

فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع.

عن عبدالله بن عباس قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان في الطواف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا سفيان، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا؟» . فقال أبو سفيان في نفسه: أفشت علي هند سرّي، لأفعلن بها ولأفعلن.

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه لحق أبا سفيان فقال: «يا أبا سفيان، لا تظلم هنداً، فإنها لم تُفش إلي من سرّك شيئاً» .

فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله، فمن أنباك بما في نفسي

عن عاصم بن كليب قال: حدثني أبي قال: حدثني رجل من الأنصار قال: خرجت مع أبي وأنا غلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقانا رجل فقال: يا رسول الله، فلانة تدعوك وأصحابك إلى طعام.

239/1

---

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، ففقدنا مقاعد الغلمان من آبائهم، فجيء بالطعام، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وضعوا أيديهم، فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك أكلة فكفوا أيديهم.

قال: فلاك الأكلة ثم لفظها، وقال: «لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها» .

فقامت المرأة فقالت: يا رسول الله، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام، فبعثت إلى البقيع، فلم أجد شيئاً يباع، فبعثت إلى أخي أن ابعث إلي شاتك، فلم يكن أخي ثم فدفعت أهله إلي الشاة.

عن أنس قال: نعى النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب مؤتة على المنبر، فبدأ يزيد، ثم بجعفر، ثم ابن رَوَاحَة.

ثم قال: وأخذ اللواء خالد بن الوليد، وهو سيف من سيوف الله تعالى.  
عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عائشة إلى امرأة فقالت: ما رأيت طائلاً.  
قال: «لَقَدْ رَأَيْتِ خَلاًّ بِخَدِّهَا أَقْشَعَتْ مِنْهُ ذَوَابْتُكَ» .  
فقالت: ما دونك سرٌّ، ومَنْ يستطيع أن يَكُنْكُمْ  
عن سليمان بن صُرْد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «نَعُزُّوهُمْ وَلَا يَغُزُّونَا» .  
قال أبو نعيم: فحقق الله ذلك فغزاهم، ولم يُغَزَ بعد ذلك.

عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُظْهَرُ الدِّينُ حَتَّى يُجَاوِزَ  
الْبَحَارَ، وَحَتَّى تُنْخَاضَ الْبَحَارُ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .  
عن عثمان بن صهيب، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً لعلّي: «مَنْ أَشَقَى  
النَّاسِ؟» .

قال: الذي عقر الناقة يا رسول الله.  
قال: «صَدَقْتَ، فَمَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ؟» .  
قال: لا علم لي يا رسول الله.  
قال: «الَّذِي يَضْرِبُ عَلَى هَذِهِ» وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى يافوخه.  
فكان عليّ رضي الله عنه يقول لأهل العراق: أما والله لوددت أنه انبعث أشقاها فخصب هذه — يعني  
لحيته — من هذه، ووضع يده على مُقَدَّم رأسه.

240/1

---

عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف  
فمررنا بقبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ، وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ؛ وَكَانَ مِنْ  
تَمُودَ، وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ أَصَابَتْهُ النَّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ، فَدُفِنَ  
فِيهِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ» .

فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن.  
عن ابن عمر قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء في الليلة التي قتل فيها العنسي  
ليشترنا، فقال: «قُتِلَ الْأَسْوَدُ الْبَارِحَةَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ» .  
قيل: مَنْ؟

قال: «فيروز بان فيروز» .

عن أم ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال: لا تبكي وابشري فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» . وليس من أولئك نفر أحدٌ إلا وقد مات في قرية أو جماعة، وأنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كذبتُ ولا كُذِبتُ فأبصري الطريق.

قالت: فقلت: إنه قد ذهب الحاج وتقطعت الطريق.

قالت: فكنت أشتد إلى الكتيب، ثم أرجع إليه فأمرضه، فإذا أنا برجال على رواحلهم، فَأَلَحْتُ بثوبي فأسرعوا وقالوا: ما لك؟

قلت: رجل من المسلمين يموت.

قالوا: ومن هو؟

قلت: أبو ذر.

قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قلت: نعم. فَفَدَّوْهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَكَفَنَهُ أَحَدُهُمْ وَدَفَنُوهُ.

241/1

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» .  
عن أبي نوفل قال: لما قتل ابن الزبير أرسل الحجاج إلى أمه أسماء فقالت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبِيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المُبِير فلا أخالك إلا إياه.  
انفرد بإخراجه مسلم.

والكذاب هو: المختار بن عبيد.

عن أبي هارون العبدى قال: كنا إذا دخلنا على أبي سعيد الخدري قال: مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رِجَالٌ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَيَنْتَفِقَهُوا فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا» .

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِنْ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ» .

عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها كل جمعة، وإنما قالت يوم بدر: أتأذن لي فأخرج معك، أمرض مرضاكم، وأداوي جرحاكم، لعل الله يهدي لي شهادة؟ قال: «قري، فإن الله عز وجل يهدي لك شهادة». .  
وكانت اعتقت جارية لها وغلاماً عن دبر منها، فطال عليهما، فغمماها في قطيفة حتى ماتت، وهربا. فأتى عمر فقبل له: إن ورقة قتلها غلامها وجاريتهما وهربا.  
فقام عمر في الناس فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور أم ورقة ويقول: «انطلقوا تزور الشهيذة» وأتي بهما فصليا.

242/1

عن ابن عباس قال: لما أسر العباس وطلب منه الفداء قال: ليس لي مال.  
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل وأيس معكم أحد، وقُلت: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وأنتم كذا ولعبد الله كذا». .  
قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرك، وإني أعلم أنك رسول الله.  
وقد روى محمد بن إسحاق: أن عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير وهو في الحجر.

وكان عمير من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة، وكان ابنه وهب ابن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله ما في العيش بعده من خير.

فقال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة، ابني أسير في أيديهم.  
فقال صفوان: فعلي دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أسوقهم كأسوقهم.

قال عمير: فاکتم عليّ شأني وشأنك.

قال: أفعّل.

ثم إن عميراً أمر بسيفه فشُحذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فرآه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا عدو الله عمير قد جاء ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرّش بيننا وحزّنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: «فادخله عليّ». فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها وقال لرجال من الأنصار:

ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجلسوا عنده، واحذروا هذا الخبيث عليه، فإنه غير مأمون.

ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه وعمر آخذ بمحالة سيفه في عنقه قال: «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، اذْنُ يَا عُمَيْرُ» .

243/1

فدنا ثم قال: انعم صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم. فقال رسول الله: «قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ؟» .

قال: جئتُ في فداء أسير لي في أيديكم فأحسنوا إليه.

قال: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟» .

قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنتُ شيئاً.

قال: «اصْدُقْنِي فِي الَّذِي جِئْتَ لَهُ» .

قال: ما جئت إلا لذلك.

فقال: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلَيْبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَلِي عِيَالٍ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحْمَلَ لَكَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِدِينِكَ وَعِيَالُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» .

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله قد كنا نكذبك، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا صفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداي للإسلام وساقني هذا المساق. ثم تشهد شهادة الحق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَقْهَرُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَعَلِّمُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ» . ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله وإلى دين الإسلام، لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك.

فأذن له، فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر.

وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

فلما قدم مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه، فأسلم على يديه ناس.  
قال المصنف:

244/1

قال أبو الوفا بن عقيل: إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبلات فيه مخاطرة عظيمة، لأن الأسود ومسيلمة فضحهما تخمينهما، فخرج الخبر على خلاف ما أخبرا به.  
وبينا صلى الله عليه وسلم يقول: {س111ش3 سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ }

المسد: 3

فلو أنه أسلم كان في هذا ما فيه، وإنما طالع العواقب، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة، فالحمد لله الذي ثبته على ذلك، وأنه بان لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام.

الباب السادس عشر

في إلانة الصخر له صلى الله عليه وسلم  
عن جابر قال: مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً لم يذوقوا طعاماً، فقالوا: يا رسول الله، إن ههنا كُدْيَةً من الجبل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُشُّوْهَا بِالمَاءِ». .  
ثم أخذ المعول وقال: «بِسْمِ اللَّهِ». فضربها ثلاثاً فصارت كثيراً تنهال.  
قال جابر: فحانت مني التفاتة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدَّ على بطنه حجراً.  
أخرجاه.

عن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، فعرضت لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول وقال: «بِسْمِ اللَّهِ». وضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». .  
ثم قال: «بِسْمِ اللَّهِ». وضرب ضربة أخرى، فكسر ثلث الحجر وقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسٍ، وَاللَّهُ إِنِّي لأَنْظُرُ المَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْبَيْضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». .

245/1



---

ثم قال: «بِسْمِ اللَّهِ» وضرب ضربة أخرى، فقطع بقية الحجر فقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِلَيَّ لَا أَنْظُرُ إِلَّا إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» .

#### الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم  
عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة، فقالت امرأة من الأنصار  
كان لها غلام نجار: يا رسول الله، إن لي غلاماً نجاراً، أفلا أمره يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟  
قال: «بلى» .

قال: فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر.  
قال: فَأَنَّ الْجَذْعَ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا يَتَنُّ الصَّيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا  
بَكَّى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ» .  
عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه  
يوم الجمعة حتى يراك الناس وتُسمِعهم خطبتك؟

قال: «نعم» .  
فصنع له ثلاث درجات، فلما صنع المنبر ووضع في موضعه، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يقوم على المنبر، فمرَّ إليه، خارَ الجذع حتى كاد أن ينشق، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر. فلما هدم المسجد وغيره؛ أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب،  
فكان عنده في داره حتى بلى وأكلته الأرضة، وعاد رُفَاتاً.  
عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره  
إليها، فلما كثر الناس قال: «اثْبُوا لِي مِنْبَرًا» .  
فبنوا له منبراً له عتبتان، فلما قام على المنبر يخطب حَتَّتْ الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
قال أنس: وأنا في المسجد، فسمعت الخشبة تحنُّ حنين الواله، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها  
فسكتت.

246/1

---

فكان الحسن إذا حَدَّثَ بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه، لمكانه من الله عزَّ وجلَّ، فأنتم أحقُّ أن تشتااقوا إلى لقائه.

عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحنَّ الجذع، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسحه. أخرجه البخاري.

عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فأثاه رجل رومي فقال: «اصْنَعْ لِي مِثْرًا أَخْطُبُ عَلَيْهِ» .

فصنع له منبره هذا الذي ترون، فلما قام عليه يخطب حنَّ الجذع حين الناقاة إلى ولدها، فترل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضمَّه إليه فسكت، فأمر به أن يُدفن ويحفر له.

عن ابن بريدة، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب قام فأطال القيام، فكان يشق عليه قيامه، فأتى بجذع نخلة، فحفر له وأقيم إلى جنبه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب، وطال القيام عليه استند إليه فاتكأ عليه، فبصر به رجل كان ورد المدينة، فقال لمن يليه من الناس: لو أعلم أن محمداً يَحْمَدُنِي في شيء يرفُق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه، فإن شاء جلس ما شاء، وإن شاء قام.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِثْنُونِي بِهِ» . فأُتي به فأمره أن يصنع له هذه المراقي، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحةً.

فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذع، وعمد إلى الذي صنَّع له، جَزَعَ الجذع فحنَّ كما تحن الناقاة حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم.

247/1

فسمع بريدة عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع رجع إليه فوضع يده عليه وقال: «اخْتَرْتُ أَنْ أَعْرِسَكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَتَكُونُ كَمَا كُنْتُ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَعْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا، فَيَحْسُنُ بَيْتُكَ، وَتُثْمِرُ، فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ — فَعَلْتُ» .

فرعم أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «نَعَمْ فَعَلْتُ» . مرتين.

فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَحَبُّ أَنْ أَعْرِسَهُ فِي الْجَنَّةِ» .

عن أبي بن كعب، عن أبيه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع وكان عريشاً، وكان يخطب إلى ذلك الجذع.

فقال رجل من أصحابه: ألا نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك؟

قال: «نَعَمْ» .

فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فأصغى إليه الجذع فقال له «اسْكُنْ» .

ثم التفت، فقال: «إِنْ تَشَأْ أَغْرِسْكَ فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنْكَ الصَّالِحُونَ، وَإِنْ تَشَأْ أَعِدُّكَ رَطْبًا كَمَا كُنْتَ» . فأختار الآخرة على الدنيا، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم دُفع إلى أبي فلم يزل عنده إلى أن أكلته الأرضة.

قال ابن عقيل: لا ينبغي أن يُتَعَجَّبَ من حين الجذع ومجيء الأشجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مَنْ جَعَلَ في المغناطيس خاصيةً تجذب الحديد إليه، يجوز أن يجعل في الرسول خاصيةً تجذب إليه.

#### الباب الثامن عشر

في تسييح الحصى في يده

عن أبي ذر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مكان هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حَصِيَّاتٍ فَسَبَّحْنَ، حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن.

ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فَسَبَّحْنَ حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل. ثم وضعهن فخرسن.

248/1

---

ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر حتى سمع لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن.  
ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فَسَبَّحْنَ حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن.

#### الباب التاسع عشر

في ستره عمن قصد أذاه من المشركين

عن ابن عباس قال: {س111ش1 تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }

المسد: 1

جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر، فلما رآها قال: يا رسول الله، إنها امرأة بَذِيَّةٌ فلو قمتَ لا تؤذيك.

قال: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» .

فجاءت فقالت: يا أبا بكر، صاحبك هَجَانِي بشعره.

قال: لا، ما يقول الشعر.

قالت: أنت عندي مصدَّق وانصرفت.

فقال: يا رسول الله، إنما لم ترك.  
قال: «لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي مِنْهَا بِجَنَاحِهِ» .  
امرأة أبي لهب هي: أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

## الباب العشرون

في دفع من أراد أذاه صلى الله عليه وسلم من الإنس  
عن جابر بن عبد الله قال: غَزَوْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ نَجْدٍ، فلما قفل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قفلتُ معهم، فأدركتُ القائلة في وادٍ كثير العِصَاهِ، فترل أصحابُ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم تحت الشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمْرَةٍ فعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.  
قال جابر: فَنَمْنَا نَوْمَةً، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، فجئناه فإذا أعرابي عنده جالس،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ، وَهُوَ فِي يَدِهِ  
صَلَاتًا فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ. هُوَ ذَا جَالِسٌ» .  
ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
أخرجاه.

249/1

---

عن جابر بن عبد الله قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزاة بني محارب، جاءه رجل  
يقال له غورث بن الحارث، حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟  
قال: «اللَّهُ» . فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟  
كُنْ خَيْرَ آخِذٍ» . قال: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» .  
قال: لَا، ولكن أعاهدك أن لا أفاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله.  
عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه فيكم بين أظهركم؟  
قال: فقليل: نعم.  
فقال: واللات والعزى، إن رأيتَه يفعل ذاك لأطأنَّ على رقبته ولأعفرنَّ وجهه في التراب.  
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ عنقه.  
قال: فما فجأهم منه إلا وهو يَنْكُصُ على عَقْبِيهِ ويتقي بيده، فقالوا له: ما لك؟  
قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَا خَتَطَفْتُهُ عُضْوًا عُضْوًا» .  
انفرد بإخراجه مسلم.

حكى الواقدي عن أشياخه قال: جاء الظهر يوم الفتح، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يؤذن بالظهر فوق الكعبة، وقريش فوق الجبال وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا. فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله. يقول جويرية بن أبي جهل: لعمرى، لقد رفع لك ذكرك، أما الصلاة فنصلي، ووالله ما نحب من قتل الأحبة. وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: واثكلاه ليتني متُّ قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص: هذا واللات والحادث الجليل، يصيح عبدُ بني جَمَحٍ ينهق على بنية أبي طلحة.

وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره. وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، ولو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصة.

250/1

---

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم، فأقبل حتى وقف عليهم فقال: «أَمَّا أَنْتَ يَا فُلَانُ فَقُلْتَ كَذًا، وَأَنْتَ يَا فُلَانُ فَقُلْتَ كَذًا». فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن عكرمة قال: قال شيبه بن عثمان: لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم حُنَيْنًا: فذكرت أبي وعمي قتلهما عليٍّ وحزرة، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد. فجنّته من خلفه، فدنوت منه ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف سورة رُفِعَ إِلَيَّ شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ كَأَنَّهُ الْبَرْقُ، فنكصت القهقري، فالتفت إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «تَعَالَى يَا شَيْبَةَ». فوضع يده على صدري، واستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري وهو أحبُّ إليّ من سمعي وبصري.

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده فِهْرٌ يرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفهر ليدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبيست يده فرجع إلى أصحابه فقالوا: جَبِئْتَ عَنِ الرَّجُلِ؟ قال: لا، ولكن هذا في يدي لا أستطيع أرسله. فتعجبوا من ذلك ووجدوا أصابعه قد بيست على الفهر فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا هذا شيء يراد.

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا في حديث الحكم قالوا له: ما رأينا أعجز منك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: لا تلومونا لقد تواعدنا له، فلما دنونا منه سمعنا صوتاً خلفنا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبال إلا ألقيت، ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصفا والمروة التقتا فحالتا بيننا وبينه.

#### الباب الحادي والعشرون

في كيفية هلاك بعض من آذاه صلى الله عليه وسلم  
عن أنس قال: كان رجل نصراني فأسلم، وكان يقرأ البقرة وآل عمران. وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له.

251/1

فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منه نبشوا عن صاحبنا. فألقوه فحفروا له وأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا على صاحبنا. فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا، فأصبحوا وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.

قال المفسرون قوله تعالى: {س15ش95 إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}

الحجر: 95

بين أنهم قوم كانوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمر بهم الوليد بن المغيرة. فقال جبريل: كيف تجد هذا؟

قال: «بئس عبد الله» .

قال: قد كُفيت.

وأوماً إلى ساقه فمرَّ برجل يريش نبلاً، فتعلقت شظية من نبله بإزاره، فمنعه الكبر أن يُطامن ليزعها فمرض فمات.

ومرَّ العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟

قال: «بئس عبد الله» . فأشار إلى أخمص قدمه فمات.

ومرَّ الأسود بن عبد يغوث فقال: كيف تجد هذا؟

قال: «بئس عبد الله» . فأشار إلى بطنه فمات حبناً.

ومرَّ الحارث بن قيس فقال: كيف تجد هذا؟

قال: «بَسَّ عَبْدُ اللَّهِ». فأومأ إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات.

قال عكرمة: هلك المستهزون قبل بدر.

قال ابن السائب: هلكوا في يوم وليلة.

## الباب الثاني والعشرون

في دفع من قصد أذاه صلى الله عليه وسلم من الشياطين

252/1

عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عَفْرِيئًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ فَقَطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَدَعْتُهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ {س38ش35} قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي؟ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ {

ص: 35

». قال: «فَرَدَّ اللَّهُ خَاسِنًا».

ومعنى فدعته: خنفته.

عن أبي التَّيَّاح قال: قلت لعبد الرحمن بن حُبَيْش: كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

كادته الشياطين؟

قال: تحدّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه جبريل فقال: يا محمد، قل.

فقال: «مَا أَقُولُ».

قال: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَرْجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ».

قال: فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى.

## الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له صلى الله عليه وسلم شيطان

عن عائشة قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فغرّت عليه، فجاء فعرف ما أصنع فقال:

«مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ، أَغْرَتِ؟» .

قالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك.

قال: «أَفَأَخَذَكَ شَيْطَانُكَ؟» .

قلت: أو معي شيطان؟

قال: «نَعَمْ» .

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: «نَعَمْ» .

قلت: ومعك يا رسول الله؟

253/1

قال: «نَعَمْ، لَكِنَّ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ» .

انفرد بإخراجه مسلم.

وأكثر الرواة يقولون: «أَسْلَمَ» بفتح الميم، إلا سفيان بن عُيَيْنَةَ قال: فأسلم، بضمها وليس بصحيح؛

لأنه في بعض الألفاظ قال: «فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» .

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْتُ عَلَى آدَمَ بِخَصْلَتَيْنِ: كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، وَكُنَّ أَرْوَاجِي عَوْنًا لِي. وَكَانَ شَيْطَانُ آدَمَ كَافِرًا وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا عَلَيْهِ» .

#### الباب الرابع والعشرون

في دفع أذى الهوام عنه صلى الله عليه وسلم

عن أبي أمامة قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفّيه يلبسهما، فلبس إحدهما ثم جاء غراب،

فاحتمل الأخرى، فرمى بها فخرجت منها حيّة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبِسُ حُفْيَهُ حَتَّى يَنْقُضَهُمَا» .

#### الباب الخامس والعشرون

في إعادته عين بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم وقد خرجت فاستقامت

عن الهيثم بن عدي، عن أبيه قال: أصيبت عينُ أبي قَتَادَةَ بن النعمان الطُّفْرِي يوم أحد، فأتى النبي

صلى الله عليه وسلم وهي في يده فقال: «مَا هَذَا يَا أَبَا قَتَادَةَ؟» .

قال: هذا ما ترى يا رسول الله.



قال: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتُهَا وَدَعَوْتُ اللَّهَ لَكَ فَلَمْ تَفْقِدْ مِنْهَا شَيْئاً» .  
قال: يا رسول الله، إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل، ولكني رجل مُبتلى بحب النساء، إن يقلن أعور فلا يُردنني، ولكن تردها لي وتسأل الله لي الجنة.  
فقال: «أَفْعَلُ يَا أَبَا قَتَادَةَ» . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأعادها إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات، ودعا الله له بالجنة.  
قال: فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: مَنْ أَنْتَ يَا فَتَى؟  
فقال:

254/1

أنا ابنُ الذي سألت على الخد عينه  
فرُدَّت بكفِّ المصطفى أحسن الردِّ  
فعادت كما كانت لأحسن حالها  
فيا حُسنَ ما عَيْنٍ ويا طيبَ ما يَدٌ  
فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون.  
ثم قال:

تلك المكارم لا قَعَبَان من لبنٍ  
شِيبًا بماءٍ فعادًا بعدُ أبوالاً

#### الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته صلى الله عليه وسلم  
عن أبي أسيد الساعدي البَدْرِي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب: «يَا  
أَبَا الْفَضْلِ، لَا تَرَمْ مَنَزِلَكَ غَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ، فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً» .  
فانتظروه فجاء فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» .  
قالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.  
قال: «كَيْفَ أَصَبَحْتُمْ؟» .  
قالوا: بخير.  
قالوا: كيف أصبحت يا رسول الله؟  
قال: «بِخَيْرٍ أَحْمَدُ اللَّهَ» .

فقال: «تَقَارَبُوا لِيَرْحَفَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ» . ثلاثاً.

فلما أَمَكَنُوهُ اشتمل عليهم بملاءته وقال: «هَذَا الْعَبَّاسُ عَمِّي وَصِنُو أَبِي، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ اسْتَرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسْتَرِي إِيَّاهُمْ بِمِلَّةَتِي هَذِهِ» .  
قال: فَأَمَنْتُ أُسْكِفُ الْبَابَ وَحَوَائِطَ الْبَيْتِ آمِينَ ثَلَاثًا.

#### الباب السابع والعشرون

في تكليم الطيبة له صلى الله عليه وسلم  
عن أبي سعيد الخدري قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطيبة مربوطة إلى خباء فقالت: يا رسول الله، حُلِّني حتى أذهب فأرضع خَشْفِيَّ ثم أرجع فتربطني.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَيْدُ قَوْمٍ وَرَبِيطَةُ قَوْمٍ» . فأخذ عليها فحلفت له، فحلَّها، فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها، فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم، فوهبها له، فحلَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

255/1

---

عن ابن عباس قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في بعض شأنه، فإذا هو بطيبة في رحل قوم، فنادته: يا رسول الله. فوقف، وقال: «مَا شَأْنُكَ؟» .  
قالت: إن لي خَشْفَيْنِ، وهما جِيع فأطلقني لأنطلق فأرويهما وأرجع إليك فتشدني.  
قال: «أَتَفْعَلِينَ؟» .  
قالت: نعم، وإلا يعذبني الله عذاب العَشَّارِ.  
فحلَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلس مكانه، فما لبث أن جاءت وضرعها فارغ من اللبن، ففرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبها من الرجل فوهبها له فأطلقها.  
عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء، فإذا مناد ينادي: يا رسول الله. فالتفت فلم ير شيئاً. ثم التفت فإذا طيبة موثوقة فقالت: يا رسول الله، أدنُ مني.  
فدنا منها فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟» .  
قالت: نعم، إن لي خَشْفَيْنِ في ذلك الجبل، فحلَّني حتى أذهب فأرضعهما ثم أرجع إليك.

قال: «وَتَفْعَلِينَ؟» .

قالت: عذبني الله عذاب العَشَّارِ إن لم أفعل.  
فأطلقها فذهبت فأرضعت خَشْفِيَّها ثم رجعت، فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم، وانتبه الأعرابي فقال: ألك حاجة يا رسول الله؟  
قال: «نَعَمْ تُطَلِّقُ هَذِهِ» . فأطلقها فذهبت تعدو وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

## الباب الثامن والعشرون

في كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن ابن عمر: أن أعرابياً صاد ضباً فجعله في كُمه يريد أن يجيء إلى أهله فيذبحه ويشويه ويأكله، فإذا هو بجماعة، فقال: ما هذه الجماعة؟  
قالوا: على رجل يذكر أنه نبي، وهو محمد بن عبد الله.  
فجاء حتى شق الناس، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: واللات والعزى، ما سلّمتُ على ذي مُهْجَةٍ أبغض إليّ منك، ولولا أن يُسمّي قومي العَجُول لعجلت عليك فقتلتك، فسَرَرْتُ بقتلك الأسود والأبيض، وأرجتُ بني هاشم وغيرهم، إذ تسبُّ آهتنا.

256/1

---

فعرّفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا أَخَا بَنِي سُلَيْمٍ، مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي قُلْتَ وَلَمْ تُكْرِمْنِي فِي مَجْلِسِي؟» .  
قال: وثكّلتني أيضاً اللات والعزى، لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب. فطرح الضب بين يديه.  
فقال عمر: ائذن لي أضرب عنقه.  
فقال: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَلِيمَ كَادَ يَكُونُ نَبِيًّا» .  
ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب، فقال له: «يَا ضَبُّ» .  
قال: لِيَيْكَ وَسَعْدِيكَ. لسان عربي مبين يُفهم القوم جميعاً.  
فقال له: «يَا ضَبُّ مَنْ تَعْبُدُ؟» .  
قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحته، وفي النار عقابه.  
قال: «فَمَنْ أَنَا؟» .  
قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك.

قال الأعرابي: لا أبتغي أثراً بعد عين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله بشعري، وبشري، وسري، وعلاتي، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إليّ منك، ولأنت الآن أحب إليّ من سمعي، وبصري، ووالدي، وولدي.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ بِي» .  
عن ابن عباس قال: خرج أعرابي من بني سُلَيْمٍ يتبدّى في البرية، فإذا هو بضب، فاصطاده ثم جعله في كُمه، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فناده: يا محمد، أنت الساحر، ولولا أني أخاف أن قومي يسموني العَجُول لضربت بك بسيفي هذا.

فوثب له عمر ليبطش به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجْلِسْ أَبَا حَفْصٍ، فَقَدْ كَادَ الْحَلِيمُ يَكُونُ نَبِيًّا» .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعراي، فقال له: «أَسْلِمَ تَسْلَمُ مِنَ النَّارِ» .

257/1

فقال: واللوات والعزى لا أومن حتى يؤمن بك هذا الضب. ثم رمى الضب من كفه. فولى الضب هارباً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا الضَّبُّ أَقْبِلْ» . فأقبل، فقال له: «مَنْ أَنَا؟» .

قال: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم أنشأ الضب يقول:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ  
فَبُورَكَتَ مَهْدِيًّا وَبُورَكَتَ هَادِيًّا  
شَهَرْتَ لَنَا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَعْدَمَا  
عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاغِيَا  
فِيَا خَيْرَ مَدْعَوْ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ  
إِلَى الْجَنِّ ثُمَّ الْإِنْسِ لَبَّيْكَ دَاعِيَا  
أَتَيْتَ بَبْرَهَانٍ مِنَ اللَّهِ وَاضِحٍ  
فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا  
فَبُورَكَتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتًا  
وَبُورَكَتَ مَوْلُودًا وَبُورَكَتَ نَاشِيَا

ثم سكت الضب، فقال الأعراي: واعجباً ضبٌ اصطدته من البرية ثم أتيت به في كمي، يكلم محمداً بهذا الكلام ويشهد له بهذه الشهادة أنا لا أطلب أثراً بعد عين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فأسلم وحسن إسلامه. ثم التفت إلى أصحابه. فقال: «عَلِّمُوا الْأَعْرَابِيَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» .

فصل

فإن قال قائل: ما رويتم من المعجزات لم يُنقل نقل التواتر.

قلنا: مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً كشجاعة علي وجود حاتم.

ثم عندنا القرآن الذي لا يُرتاب فيه، فمعجزه قائم أبداً ينادي على منار التحدي: { فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ } .

ثم إذعان الملك لبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه، وإقرار أهل الكتاب بصفته من أكبر

## الباب التاسع والعشرون

في إجابته صلى الله عليه وسلم اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي  
عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدَمَهُ المَدِينَةَ، فقال: يا رسول الله،  
إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمهن إلا نبي.  
قال: «سَلْ» .

قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة؟ ومن أين يُشَبِّه الولد أباه وأمه؟

258/1

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَخْبِرْنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ أَنْفَاءً» .  
قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة.  
قال: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: فَتَارَ تَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ تَخْرُجُ مِنَ الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ مِنْهُ  
أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَاذَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ» .  
«وَأَمَّا شَبَّهُ الْوَلَدِ أَبَاهُ وَأُمَّهُ: فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ إِلَيْهِ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ  
الرَّجُلِ نَزَعَ الْوَلَدُ إِلَيْهَا» .  
فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْت، وإهم إن يعلموا بإسلامي يَبْهَتُونِي عِنْدَكَ، فأرسل إليهم  
فأسألهم عن أي رجل ابن سلام فيكم.  
فأرسل إليهم فقال: «أَيُّ رَجُلٍ ابْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟» .  
قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وعالمنا وابن عالمنا، وأفقهنا وابن أفقهنا.  
قال: «رَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟» .  
قالوا: أعاده الله من ذلك  
قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.  
فقالوا: شرُّنا، وابن شرِّنا، وجاهلنا، وابن جاهلنا.  
فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.  
انفرد بإخراجه البخاري.

عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم، نحن  
نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنت أنبأتنا بها عرفنا أنك نبي واتبعاك.

قال: فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا: {س28ش28} قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا  
الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ {

القصص: 28

قالوا: حدثنا عن علامة النبي.  
قال: «تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» .  
قالوا: أخبرنا كيف تَوَثَّتِ المرأة، وكيف تُذكر؟

259/1

قال: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ فَإِنْ عَلَا مَاءَ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ أُنْثَتْ، وَإِنْ عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أُذْكَرَتْ» .  
قالوا: صدقت.

قالوا: ما حَرَّمَ إسرائيل على نفسه.  
قال: «كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النِّسَاءِ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاقِيهِ إِلَّا الْبَانَ الْإِبِلَ، فَحَرَّمَ لِحُومَهَا» .  
قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هو الرعد.  
قال: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ وَيُصْرِقُهُ  
حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى» .  
قالوا: فما هذا الصوت الذي يُسمع؟

قال: «صَوْتُهُ» .  
قالوا: صدقت.  
إنما بقيت واحدة وهي التي إن أخبرتنا بما اتبعناك، إنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء،  
فمن يأتيك بالخبر من صاحبك؟  
قال: «جِبْرِيلُ» .

قالوا: جبريل ذاك الذي يترل بالحرب والقتال، ذاك عدونا من الملائكة، لو قلت ميكائيل الذي يترل  
بالرحمة والنبات والقطر

فأنزل الله تعالى: {س2ش97} قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ  
يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {

البقرة: 97

الآية.

عن عبد الله قال: مرَّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه. فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي.

قال: لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي.

قال: فجاء حتى جلس، ثم قال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟

قال: «يَا يَهُودِيُّ، مِنْ كُلِّ يُخْلَقُ، مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ وَمِنْ نُطْفَةِ الْمَرْأَةِ، فَأَمَّا نُطْفَةُ الرَّجُلِ فَتُطْفَأُ غَلِيظَةً مِنْهَا الْعَظْمُ وَالْعَصَبُ، وَأَمَّا نُطْفَةُ الْمَرْأَةِ فَتُطْفَأُ رَقِيقَةً مِنْهَا الدَّمُ وَاللَّحْمُ». .  
فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَكَ.

260/1

عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟

فقلت: ألا تقول يا رسول الله

فقال اليهودي: إنما أدعوه باسمه الذي سماه به أهله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي». .  
فقال اليهودي: جئت أسألك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ يَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟». .  
قال: أسمع بأذني.

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه. فقال: «سَلْ». .

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجِسْرِ». .

قال: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟

قال: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ». .

قال اليهودي: فما تُخَفَّتْهم حين يدخلون الجنة.

قال: «زِيَادَةُ كَبِدِ الثُّونِ». .

قال: فما غذاؤهم في أثرها.

قال: «يُنْحَرُّ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا». .

قال: فما شراهم عليه؟

قال: «مَنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا» .

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.

قال: «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» .

قال: أسمع بأذني، جئت أسألك عن الولد.

قال: «مَاءُ الرَّجُلِ أَيْضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِي الرَّجُلِ مَنِي الْمَرْأَةِ أَذْكَرُ يَأْذَنُ اللَّهُ،

وَإِذَا عَلَا مَنِي الْمَرْأَةِ مَنِي الرَّجُلِ أَتْنَا يَأْذَنُ اللَّهُ» .

فقال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لني. ثم انصرف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ،

ثُمَّ أَتَانِي اللَّهُ بِهِ» .

انفرد بإخراجه مسلم.

261/1

#### الباب الثلاثون

في رؤيته الأشياء من وراء ظهره صلى الله عليه وسلم

عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ، فيقول: «تَرَاصُّوا

واعتدلوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَرَوْنَ قِبَلَتِي هَا هُنَا، فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى

عَلَيَّ خَشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» .

الحديثان في الصحيحين.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي» .

#### الباب الحادي والثلاثون

في أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في

الضوء.

#### الباب الثاني والثلاثون



في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

عن سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خير: «أَيْنَ عَلِيٍّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ؟» .

ف قيل: هو يشتكي عينيه.

قال: «فَارْشُلُوا إِلَيْهِ» فَأَتِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرِئَ كَأَن لَمْ يَكُن بِهِ وَجَع.

أخرجاه.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان أبي يَسْمُرُ مع علي، وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء و ثياب الشتاء في الصيف. ف قيل: لو سألتَه فسأله، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليّ وأنا أَرَمَدُ العين يومَ خير، فقلت: يا رسول الله، إني أَرَمَدُ العين. فتفل في عيني وقال: «اللهم أذهبْ عنه الحرَّ والبردَ». فما وجدتُ حرًّا ولا برداً منذ يومئذ.

عن يَعْلَى بن مُرَّة قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله، هذا أصابه داء يؤخذ في النوم ما أدري كم مرة.

262/1

قال: «نَاوِلْنِيهِ» . فدفعته إليه. فجعله بينه وبين واسطة الرَّحْلِ، ثم فغر فاه فتفل فيه ثلاثاً، وقال: «بِسْمِ اللَّهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، احْسَبْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، ثُمَّ نَاوِلْهَا إِيَّاهُ، وَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرِنَا مَا فَعَلَ» .

قال: فذهبنا ورجعنا، فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث. فقال: «مَا فَعَلَ صَبِيُّكَ؟» .

قالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجترأ هذه الغنم.

قال: «انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدِّ الْبَقِيَّةَ» .

عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله، إن به كَمْماً، وإنه يأخذه عند طعامنا.

قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا، فَنَعَّ ثَعَّةً، فخرج من فيه مثلُ الجَرَوِ الأسود. فسعى.

عن أنس بن مالك قال: أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المألُ، وجاع العيال، فادعُ الله أن يسقينا.

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قَرَعَةً، فثار السحابُ أمثال الجبال، ثم لم

يُزَلُّ عَنْ مَنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْنَا الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لَحِيَّتِهِ.  
قال: فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا، وَمِنْ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى.

فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهْدِمُ الْبَنَاءَ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادَعِ اللَّهَ لَنَا.  
فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوِّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا» .  
قال: فَمَا جَعَلَ يَشِيرُ بِيَدَيْهِ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، حَتَّى صَارَتْ الْمَدِينَةُ فِي مِثْلِ الْحَوْبَةِ حَتَّى  
سَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا.  
قال: وَلَمْ يَجِءْ أَحَدٌ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ.  
أَخْرَجَاهُ.

عن أنس بن مالك أنه سئل: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء؟

263/1

---

قال: نعم، بينا هو في جمعة يخطب الناس، فقليل له: يا رسول الله، قحط المطر، وأجذبت الأرض، فادع الله عز وجل.

فرفع يديه حتى رأينا بياض إبطيه، فاستسقى وما في السماء سحابة، فما قضينا الصلاة حتى إن الشاب القريب الدار ليهمهم الرجوع إلى أهله، فدامت جمعة، فلما كانت الجمعة الأخرى قالوا: يا رسول الله، تهدمت البيوت، واحتبس الركب، وهلك المال.  
فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده هذا، ففرّق بين يديه: «اللَّهُمَّ حَوِّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا» .  
قال: فتكشّطت عن المدينة.

عن عائشة بنت سعد: أن أباهما حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً ذهساً لا ماء به، وسبقه المشركون إلى القلب فزلوا عليها، وأصاب المسلمين العطش، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونجم النفاق، وقال بعض المنافقين: لو كان نبياً كما يزعم لاستسقى لقومه كما استسقى موسى.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَوْ قَالُوها عَسَى أَنْ يَسْقِيَكُمْ» .  
ثم بسط كفيه وقال: «اللَّهُمَّ جَلَّلْنَا سَحَاباً كَثِيفاً مُغْدُوْدِقاً تَضَحْكُ مِنْهُ الْأَرْجَاءُ تُمَطِّرُنَا مِنْهُ رِذَاذاً قَدْ قُطِعَ سَجْلاً نَعَاقاً، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

فما ردّ يديه من ردائه حتى أظلتنا سحابة تلون في كل صفة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب.

قال: ثم أمطرتنا الضروب التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفعم السيل الوادي، فشرب الناس وارتووا.

264/1

عن أنس قال: لما كان يوم الحُدَيْبِيَّة، هبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم، يريدون غرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عليهم، وأخذوا مال عفان فعفا عنهم ونزلت هذه الآية: {س48ش24 وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } .

الفتح: 24

عن عمرو بن أخطب قال: استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً، فأتيته بقدح فيه ماء، وكانت فيه شعرة فأخذتها، فقال: «اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ» .  
قال: فرأيت أنه وهو ابن أربع وتسعين سنة ليس في لحيته شعرة بيضاء.  
عن أنس قال: دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ حَيَاتَهُ» .  
فأكثر الله مالي حتى إن كثر مالي يحمل في السنة مرتين وولدي لصلبي مائة وستة.  
عن نوفل، عن أبيه قال: كان ابن أبي هب يسب النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه غُثْبَة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ» .  
فخرج يريد الشام في قافلة مع أصحابه، فترلوا متراً فقال: والله إني لأخاف دعوة محمد.  
قال: فقالوا له كلاً.  
قال: فحطوا المتاع وقعدوا حوله بحرسونه.  
قال: فجاء السبع فانتزعه فذهب به.  
عن جابر، عن بلال قال: أذنتُ بالصبح في ليلة باردة، فلم يأت أحد، ثم أذنتُ فلم يأت أحد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا شَأْنُهُمْ يَا بِلَالُ؟» .  
قلت: كبدهم البرد.  
فقال: «اللَّهُمَّ اكْسِرْ عَنْهُمْ الْبَرْدَ» .  
قال بلال: فلقد رأيتهم يتروّحون.  
عن أنس أن أبا طالب مرض؛ فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا بن أخي، ادع ربك الذي تعبده أن يعافيني.

قال: «اللَّهُمَّ اشْفِ عَمِّي». فقام أبو طالب كأنما أنشط من عقال. قال: يا بن أخي إن ربك الذي تعبده ليطيعك. قال: «وَأَنْتَ يَا عَمَاهُ لَوْ أَطَعْتَ اللَّهَ لَأَطَاعَكَ».

### فصل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه المؤمنون عملاً بالدليل لا تقليداً. ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب، فيقولون: واصلتَ ونهيتنا وفعلتَ كذا. فيبين لهم سبب ذلك. فلما أذعنت له القلوب وشاع الإسلام ضنيت قلوبُ مكذبيه وحاسديه.

فرضي اليهود بالخلود في النار اتباعاً لمقتضى الحسد، ومع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخذ قوم يقولون بزعمهم، مثل القرآن: كمسيلمة، فإنه قال: يا ضفدع نُقِّي كم تنقّين. وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي فنبت شعره، فمسح على رأس صبي ففزع.

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق في بئر فجاشت بالريّ فبصق هو في بئر فيست. فلما فشا الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتحت البلدان، اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا: لا طاقة لنا بالمسلمين، فهلّموا حتى نظهر الإسلام ونُدخل فيه الآفات.

وهم الباطنية، يظهرون الإسلام والتعبد ومقصودهم الجهال واصطيادهم، فإذا تملّكوا منهم كاشفوا بالإلحاد.

قال ابن عقيل: لو اجتمعتُ برئيس الباطنية سلكتُ معه طريقَ الإزراء على عقله وعقول أتباعه. فكنت أقول: للآمال طرق ووجوه، ووَضْعُ الأمل في جهة الإياس حُمَقٌ. وقد طبقت شريعة الإسلام الأرض وتمكنت. فلها مَجْمَعُ كلِّ سنة بعرفه، وكل أسبوع في الجمعة، ومجامع في المساجد. فمتى تحدّثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحّيق هذا الأمر الظاهر في الآفاق، وكلَّ يوم يؤدّن على مائتي ألف منار باسم هذا الرسول.

وغاية ما أنتم عليه حديثٌ في خلوة، لو ظهر لم يؤمن هلاك قائله.

فلا أعرف أحقَّ منكم

هذا إلى أن يجيء باب المناظرة

قال المصنف: وقد اندس جماعة من الملحدين في المسلمين، كأبي العلاء المعري، وابن الراوندي قبله، فماتاً على أقبح صفة.

واندس منهم جماعة في الخدثين، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شين الشريعة وتناقضها. فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم، ويبينون الصواب من الخطأ. وأظهر قوم التكهن، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب، وأخذ قوم يتكلمون على ما في القلوب، والمنجم عما يكون غداً.

كل ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأت بمعجزة.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

قال ابن عقيل: ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم، أن الباري سبحانه إنما يُمهّل الكذاب يسيراً ثم يستأصله بالعذاب.

فيجوز أن يُمهّل من يكذب عليه سنين، ثم يثبت شريعته بعده؟ وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله، وحلّل السبّ، ثم ينصر أتباعه على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز؟ حاشاه أن يفعل ذلك، إذ لو فعله لم يُتّين الصدق من الخال.

ألم تسمعه تعالى يقول: {س69ش44 وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ {الحاقة: 44

فمن طعن في صدقه طعن في عدل الباري وحكمته؛ لأن الطعن يتوجه على المعين. قال: ولقد فاضت أشعة معجزاته على أصحابه، فكتب عمر إلى نيل مصر ونادى سارية فأسمعه، وجيء بكنوز كسرى فقسّمت في مسجده صلى الله عليه وسلم.

أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام، وخصائصه ومثل ما بعث به، ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس صلى الله عليه وسلم

## الباب الأول

في ذكر فضله على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام

اعلم أن الله تعالى أنشأ النفوس مختلفة، فمنها الغاية في جودة الجوهريّة، ومنها الكدر وفي كل رتبة درجات.

فالأنبياء هم الغاية، خلقت أبدانهم سليمة من العيب، فصّلحت لخلول النفوس الكاملة، ثم يتفاوتون. فكان نبينا صلى الله عليه وسلم أصح الأنبياء مزاجاً، وأكملهم بدنأً، وأصفاهم روحاً.

وبمعرفة ما نذكره من أخلاقه وصفاته يبين ذلك.

ولذلك قدمه الله عز وجل على الكل.

فمن ذلك خلق نفسه قبل خلق نفوسهم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ» .

وقد ذكرنا كيف خلقت طينته في أول الكتاب.

ومن ذلك: أنه أخذ له الميثاق على الأنبياء.

فقال عز وجل: {س3ش18 شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

آل عمران: 81

فجعل الأنبياء كالأتباع له، وأهمهم الانقياد، فلو أدركوه وجب عليهم اتباعه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» .

وقد ذكره على الأنبياء فقال عز وجل: {س4ش163 إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا }

النساء: 163

وخاطب كل نبي باسمه فقال تعالى: {س2ش35 وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }

البقرة: 35

، {س11ش48 قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ }

هود: 48

، {س11ش76 يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ }

هود: 76

، }

س19ش12يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحکم صيّا {

مريم: 12

، {س38ش26يادأوؤد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى  
فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب {

ص: 26

{س5ش110إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس  
تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين  
كهينة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ نخرج الموتى  
إذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر  
مبين {

المائدة: 110

، {س19ش7يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً {

مريم: 7

، {س19ش12يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحکم صيّا {

مريم: 12

ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيماً له، بل قال: {س33ش1ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين  
والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً {

الأحزاب: 1

، {س5ش67ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك  
من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين {

المائدة: 67

269/1

فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة، فقال تعالى: {س3ش14وما محمد إلا رسول قد خلت  
من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً  
وسيجزي الله الشاكرين {

آل عمران: 144

، {س48ش29} مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {

الفتح: 29

، {س47ش2} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ {

محمد: 2

ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب، فقال تعالى: {س3ش68} إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ {

آل عمران: 68

وأخبر الله تعالى أن الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم، كقولهم: {س11ش35} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ {

هود: 53

، {

270/1

س11ش62} قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {

هود: 62

، {س7ش38} قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ {

الأعراف: 38

. {س5ش112} إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ {



وهي أمته أن يخاطبوه باسمه، فقال تعالى: {س24ش63} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {

النور: 63

عن ابن عباس في قوله تعالى: {س24ش63} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {

النور: 63

قال: لا تقولوا يا محمد، قولوا يا رسول الله.

وقد كانت الأنبياء يجادلون أممهم عن أنفسهم.

يقول قوم نوح: {س7ش60} قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {

الأعراف: 60

271/1

فقال دافعا عن نفسه: {س7ش61} قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

الأعراف: 61

وقال قوم هود: {س7ش66} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {

الأعراف: 66

فقال: {س7ش67} قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

الأعراف: 67

وقال فرعون لموسى: {س17ش101} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا {

فقال موسى: {س17ش102} قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا {

فتولى الله عز وجل المجادلة عن نبيه صلى الله عليه وسلم.  
فلما قالوا: هو شاعر قال الله تعالى: {س36ش69} وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ {

وقالوا: كاهن، فقال تعالى: {س69ش42} وَلَا يَقُولِ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {

وقالوا: ضال. فقال الله تعالى: {س53ش2} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {

وقالوا: مجنون. فقال الله تعالى: {س68ش2} مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {القلم: 2

وأقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته، وإنما يقع القسم بالمعظم.

عن ابن عباس قال: ما خلق الله تعالى وما ذرأ نفساً هي أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم.  
وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد غيره، فقال: {س15ش72} لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ {

قال ابن عقيل:

وأعظم من قوله لموسى: {س20ش4} تَتَرَبَّلَا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى {طه: 4  
قوله: {س48ش10} إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {

وقوله: {س90ش1/ش2} لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ { البلد: 1، 2

المعنى: أقسم لا بالبلد، فإن أقسمت بالبلد فلأنك فيه.

يا موسى اخلع نعليك ولا تجيء إلا ماشياً.

يا محمد اركب البراق ولا تجيء إلا راكباً

وقد أشار الله تعالى إلى أحوال الأنبياء ثم ذكر التوبة عليهم.

وقال في حق موسى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}

القصص: 33

ثم قال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي} فغفر له.

وقال في حق داود: {س38ش24قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ

لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ

فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ }

ص: 24

ثم قال: {س38ش25فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّوَابٍ }

ص: 25

وقال: {س38ش34وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ }

ص: 34

، ثم قال: {ثم أناب} .

وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا من غير أن يذكر له ذنباً، فقال: {س48ش2لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا }

الفتح: 2

273/1

ومن بيان فضله على الأنبياء: أن آدم سأل ربه بجرمة محمد أن يتوب عليه، كما ذكرنا.

وأن نوحا دعا على قومه، ونبيينا قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» .

ثم قد اتخذ خليلاً كما اتخذ إبراهيم، فقال عليه السلام: «وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» .

عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» يعني نفسه.

ثم جعله حبيباً، وهذه ليست لغيره.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ربه: «قد اتخذتك خليلاً، وهو في التوراة

مكتوب: محمد حبيب الرحمن» .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَمُوسَى نَجِيًّا، وَاتَّخَذَنِي حَبِيبًا، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي لِأَوْثَرَنَ حَبِيبِي عَلَى خَلِيلِي وَنَجِيِّي» .  
قال المصنف رحمه الله: فإن كان إبراهيم كَسَرَ الأصنام، فقد رمى نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هُبْلَ من أعلى الكعبة، ثم أشار يوم الفتح إلى ثلاثمائة وستين صنماً فوقعت.  
وإن كان هود نُصِرَ على قومه بالدُّبُور، فقد نُصِرَ نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصِّبَا.  
فمزَّقت أعداءه يوم الخندق.

وإن كان لصالح ناقة، فقد سجدت الإبل لنبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
وإن كان يوسف مليح الصورة، فقد كان نبينا كالقمر ليلة البدر.  
وإن كان الحجر انفجر لموسى، فقد نبع الماء من بين أصابع نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أَعْجَبُ، لأن الماء ما يزال يخرج من الحجارة.  
وخوار النخل وحنينه إلى نبينا أعجب من حالات عصا موسى.  
وقد دعا نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجرة فشَقَّتْ الأرض وجاءت إليه.  
وإن كانت الجبال سَبَّحت مع داود، فقد سَبَّحَ الحَصَا في كفِّ نبينا صلى الله عليه وسلم.  
وإن كان الحديد لَيَّنَ لداود فقد لان الصخر لنبينا صلى الله عليه وسلم.

274/1

---

وقال أبو نُعيم الأصبهاني: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم، فلَيَّنَ الله الجبل حتى أدخل فيه رأسه، واستروح إلى حجر من جبل أَصَمَّ فَلَانَ له حتى أَثَّرَ فيه ذراعُه وساعده.

وذلك مشهور يقصده الحاج ويرويه.  
وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين، فربط به دابته، والناس يلتمسون ذلك الموضع إلى اليوم.  
قال المصنف رحمه الله: وإن كان سليمان أُعْطِيَ ملكَ الدنيا، فقد جِئَ لنبينا صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض فأبأها زُهْدًا.  
وإن كانت الرياح سُخِّرَتْ لسليمان، غدوُّها شهر ورواحها شهر، فنبينا صلى الله عليه وسلم سار إلى بيت المقدس مسيرة شهر في بعض ليلة.  
وسارَ الرُّعْبُ بين يديه مسيرة شهر.  
وعرج به مسيرة خمسين ألف سنة إلى العرش.  
وإن كان سليمان فهم كَلَامَ الطير، فقد فهم نبينا صلى الله عليه وسلم كَلَامَ البعير والذئب والشجر والحجر.

وإن كانت الجن سُخِّرَتْ لسليمان، فقد جاءت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم طائفة من الجن مؤمنة به. وقد كان سليمان يصفد من عصاه منهم، فلما تفلت عفريت على نبينا صلى الله عليه وسلم تمكن منه وأسرّه.

وقد كانت الجن أعواناً لسليمان يخدمونه، ونبينا صلى الله عليه وسلم أعوانه الملائكة يقاتلون بين يديه ويدفعون أعداءه.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن أبا جهل لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على عنقه نكس على عقبيه وقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة. وإن كان عيسى يخبر بالغُيوب، فقد شاركه نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك.

275/1

---

وقد قرَنَ الله تعالى اسمَ نبينا صلى الله عليه وسلم باسمه عزَّ وجلَّ عند ذكر الطاعة والمعصية، فقال تعالى: {س4ش59 يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء: 59

وقال: {س9ش71 وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} التوبة: 71

وقال: {س4ش59 يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء: 59

وقال: {س8ش41 وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنفال: 41

276/1

وقال: {س9ش74} يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {  
التوبة: 74

وقال: {س33ش57} إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا {  
الأحزاب: 57

وقال: {س9ش36} إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُفَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {  
التوبة: 63

وقال: {س9ش29} قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ {  
التوبة: 29

وقد ذكرنا أن الله تعالى قال لنبينا صلى الله عليه وسلم: «لا أذكر إلا ذكرت معي» .  
وأما الأحاديث المنقولة في تفضيله على الأنبياء صلوات الله عليهم:

277/1

عن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَيَنِينَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» .  
الحديثان في الصحيحين.

وجوامع الكلم: أن يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة.